

# فتح الحريين

في

# نفس القرآن

تأليف

الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنيلي

الولود سنة (٨٦٠ هـ) - والتوفي سنة (٩٢٧ هـ)

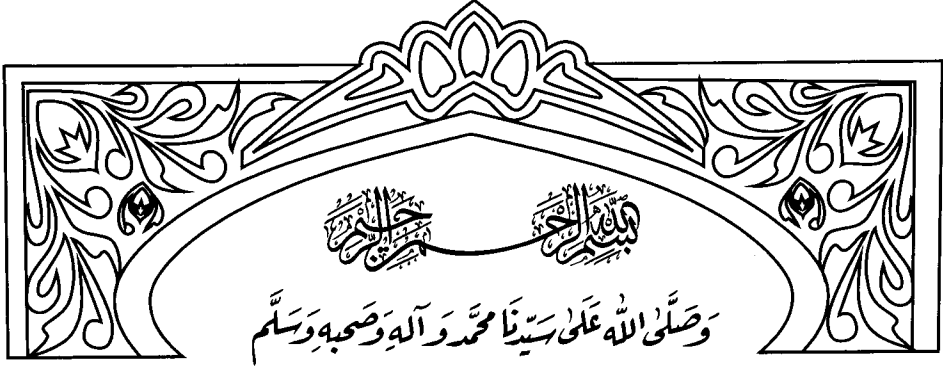
رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

إعتقابه

تحقيقاً و ضبطاً و تحريراً

نور الدين ظالم





الحمدُ لله الذي نَزَلَ الفرقانَ على عبده، حمداً يليقُ بجلالِ عظمته ورفيعِ  
مجده .

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له، إلهٌ سَبَّحَ كلُّ شيءٍ بحمده .  
وأشهدُ أن سيدنا محمداً عبدهُ ونبِيُّه الذي أرسله رحمةً للعالمين وأيَّدهُ  
بملائكةٍ من عنده، وصَلَّى اللهُ وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه وأنصاره  
وجنده .

أما بعد :

فهذا كتابٌ لخصته مختصراً، وهذبتُ لفظه محرراً، يتضمَّنُ نبذةً من  
تفسيرِ القرآنِ العظيمِ، وتأويلِ ما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ .  
اعتمدتُ في نقله على كتبِ أئمةِ الإسلامِ، وانتقيته من فوائدِ العلماءِ  
الأعلامِ .

وذكرتُ فيه خلافاً القراءِ العشرةِ المشهورينَ الذين تواترتْ قراءتُهُم،  
واشتهرتْ روايتُهُم من طرقِ الرواةِ الثقاتِ، والأئمةِ الأثباتِ .

وهم : أبو رُوَيْمٍ نافعُ بنُ عبدِ الرحمنِ، وأبو جعفرٍ يزيدُ بنُ القَعْقَاعِ  
المدنيانِ، وأبو معبدٍ عبدُ اللهِ بنُ كثيرِ المكيُّ، وأبو عمرو زبَانُ بنُ العلاءِ  
المازنيُّ، وأبو محمدٍ يعقوبُ بنُ زيدِ الحضرميُّ البصريانِ، وأبو عمرانِ

## جنة السنة

عبد الله بن عامر الشامي، وأبو بكرٍ عاصم بن أبي النجود الأسيدي، وأبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات، وأبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفيون.

ويدخل معهم أبو محمد خلف بن هشام البزاز؛ لموافقته لهم - رضي الله عنهم أجمعين -.

وذكرت فيه أربعة وقوف: التام، والكافي، والحسن، والقبیح مما اختاره الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني - رحمه الله - وغيره. وكتبت لفظ الكتاب العزيز بالأحمر، وتفسيره بالأسود، وإشارة الوقوف بين الأسطر بالأصفر، فالتام (ت)، وللکافي (ك)، وللحسن (ح) وللقبیح (ق)<sup>(١)</sup>.

فالوقف التام هو الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده؛ لأنه لا يتعلق بشيء مما بعده<sup>(٢)</sup>.

والکافي هو الذي يحسن الوقف عليه أيضاً، والابتداء بما بعده، غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ.

والحسن هو الذي يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده؛ لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعاً، ويسمى هذا الضرب: صالحاً؛ إذ لا يمكن القارئ أن يقف في كل موضع على تام ولا كاف؛ لأن نفسه ينقطع دون ذلك.

وأما الوقف القبیح، فهو الذي لا يُعرف المراد منه، وذلك نحو الوقف

---

(١) وهذه الرموز ظاهرة في النسخة التركية (ت)، وقد تم إغفالها في عملنا هنا، نظراً لصعوبة إدخالها على رسم المصحف الحالي، ولعل الله تعالى يهين لنا إدخالها بطريقة فنية معينة في الطبقات القادمة، إن شاء الله تعالى.

(٢) في «ن»: «لا يتعلق شيء مما بعده به».



## جنة السنة

على قوله: (بِسْمِ) و(مَالِكِ) و(رَبِّ) و(رُسُلِ) وشبهه، والابتداءً بقوله: (الله) و(يَوْمِ الدِّينِ) و(العَالَمِينَ) و(السَّمَوَاتِ) و(اللهِ)؛ لأنه إذا وقف على ذلك لم يعلم إلى أي شيء أُضيف، وهذا يسمّى وقف الضرورة؛ لتمكين انقطاع النفس عنده، والجلّة<sup>(١)</sup> من القراء وأهل الأداء ينهون عن الوقف على هذا الضرب، وينكرونه، ويستحبون لمن انقطع نفسه عليه أن يرجع إلى ما قبله حتى يصله بما بعده، وغيره يستسمحون الوقف على القبيح؛ لأنّ القارئ يقدّر على تفقّده وتجنّبه.

وإذا كان في الآية الشريفة حكمٌ متفقٌ عليه، أو مختلفٌ فيه بين الأئمة الأربعة، وهم: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد - رضي الله عنهم - ذكرته ملخصاً، ولم ألتزم استيعاب الأحكام، بل أذكر المهم حسب الإمكان، ولم أعرّض لاختيار غيرهم من الأئمة المتقدمين، وحيث أقول في الحكم: بالاتفاق، فالمراد: اتفاق الأربعة المشار إليهم.

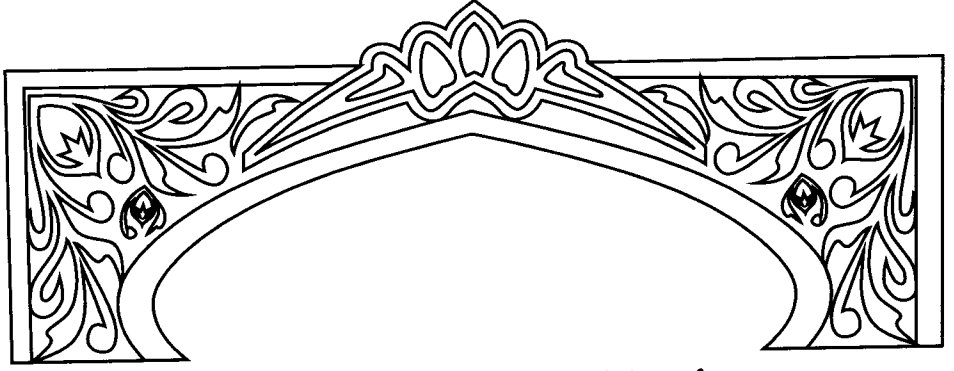
وربما ذكرت مذاهبهم في شيء من أصول الدين والفقهاء على سبيل الاختصار في محلّ يناسبه، والله الموفق.

وقد جعلت في أوله قبل الشروع في التفسير عشرة فصولٍ ضمّنتها فوائد مما يتعلّق بفضائل القرآن العظيم، وما ورد في تفسيره وجمعه وكتابه، وغير ذلك مما يحسن ذكره إن شاء الله تعالى.

والله سبحانه المسؤول أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به بيمينه وكريمه، إنّه منان كريم.

\* \* \*

(١) في «ن»: «الجل».



## فَصَّلْ فِي ذِكْرٍ مَا وَرَدَ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَتَعْلِيمِهِ وَتِلَاوَتِهِ وَوَعِيدِ مَنْ قَالَ فِيهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنْ أَحَدًا أُوتِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ، فَقَدِ اسْتَصْغَرَ مَا عَظَّمَ اللَّهُ» (١).

وعنه ﷺ أنه قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» (٢).

وعنه ﷺ أنه قال: «مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، كُتِبَ لَهُ حَسَنَةٌ مُضَاعَفَةٌ، وَمَنْ قَرَأَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣).

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٢٧٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٥٩/٧) - «مجمع الزوائد» للهيتمي، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٥٩٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٩٦/٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢٥/٦٨)، عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال الهيتمي: فيه إسماعيل بن رافع، وهو متروك.

(٢) رواه البخاري (٤٧٣٩)، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، عن عثمان - رضي الله عنه -.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٤١/٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٩٨١)، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

## جنة السنة

وعنه عليه السلام أنه قال: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَلْيَتَّبِعْهُ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٥٠)، كتاب: التفسير، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، وقال: حسن صحيح، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٠٨٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٢٣٣/١)، وغيرهم، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .



رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهاً كَثِيرَةً»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو العالية في تفسير قوله - عز وجل -: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] قال: الحكمة: الفهم في القرآن<sup>(٢)</sup>.

وقال إياس بن معاوية: مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره، كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً، وليس عندهم مصباح، فتداخلتهم روعة<sup>(٣)</sup> ولا يذرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير، كمثل رجل جاءهم بالمصباح، وقرؤوا ما في الكتاب<sup>(٤)</sup>.

\* \* \*

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف»، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠١٦٣)، لكن عن أبي الدرداء موقوفاً عليه من قوله.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٩٠/٣).

(٣) «و» سقط من «ن».

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٦/١)، و«تفسير الثعالبي» (١١/١)، و«فتح القدير» للشوكاني (١٤/١).



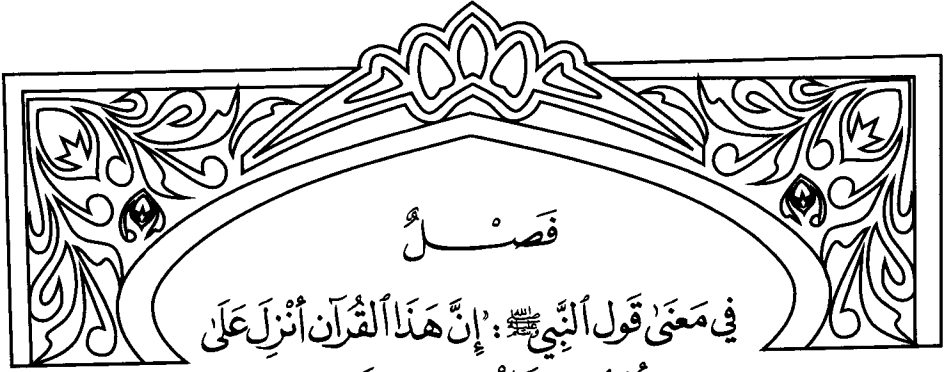
التفسيرُ أصلُه: الكشفُ والإظهارُ، وهو علمُ نزولِ الآيةِ وشأنِها وقصبتها  
والأسبابِ التي أنزلتَ فيها، والأقوامِ الذين أريدوا بها.  
والتأويلُ: مِنَ الأولِ، وهو الرجوعُ، يقال: أوْلئْتُهُ فَالَ؛ أي: صرفتُهُ  
فانصرفَ، فتأويلُ الآيةِ: صرفُها إلى معنَى تحتملُه موافقاً لما قبلها أو  
ما بعدها.

ويروى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَكَلَّمَ<sup>(١)</sup> فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَاصَابَ، فَقَدْ  
أَخْطَأَ»<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

---

(١) في «ن»: «من تعلم».  
(٢) رواه أبو داود (٣٦٥٢)، كتاب: العلم، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن  
برأيه، وغيره، عن جندب بن عبد الله - رضي الله عنه - .



## فَصْلٌ

فِي مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَيَّ  
سَبْعَةَ أَحْرَفٍ، فَأَقْرَأُ وَأَمَّا تَيَسَّرَ مِنْهُ

اختلف العلماء في معنى هذا الحديث، وأكثرهم على أن المراد به: أنزل على سبع لغات؛ أي: فيه عبارة سبع قبائل، بلغة جملتها نزل القرآن، فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش، ومرة بعبارة هذيل، ومرة بعبارة أسد، ومرة بغير ذلك بحسب الأوضح والأوجز في اللفظ.

وقد وهم بعض الناس فظن أن المراد بالسبعة أحرف الواردة في الحديث الشريف هي: قراءة الأئمة السبعة المشهورين، وهم: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وهو خطأ؛ فإن أئمة القراءة خلق كثير، ومن جملتهم هؤلاء السبعة، وأول من جمع قراءتهم الأستاذ الرحلة أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد التميمي البغدادي بعد المئة الثالثة، واقتصر عليهم فقط، فظن من لا علم له أن هذه هي السبعة المذكورة في الخبر النبوي لا غير، وليس الأمر كذلك، بل هي لغات للعرب متفرقة في القرآن، مختلفة الألفاظ، متفقة المعاني.

- (١) رواه البخاري (٤٧٠٦)، كتاب: فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، ومسلم (٨١٨)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

## جنة السنة

فالقراءات السبع متواترة بالاتفاق، وكذا الثلاث الزائدة عليها على الصحيح، وما لم يتواتر، فليس بقرآن، وهو ما خالف مصحف عثمان - رضي الله عنه -، وتكره قراءة ما صح منه، ولا تصح الصلاة به بالاتفاق، ويجوز عند أبي حنيفة أن يقرأ بالفارسية إذا أدت المعاني على كمالها من غير أن يخرم منها شيئاً، وعنه: لا تجوز القراءة بالفارسية إلا للعاجز عن العربية، وهو قول صاحبيه، وعليه الاعتماد، وعند الثلاثة: لا تجوز بغير العربية، والله أعلم.

ومصحف عثمان أحد الحروف السبعة، وهو قول أئمة السلف - رضي الله عنهم -.

والتواتر لغة: التتابع بمهلة، واصطلاحاً: خبر جمع مفيد للعلم.

والآحاد: ما لم يتواتر.

وللراوي شروط منها: الإسلام والعقل والبلوغ والضبط بالاتفاق، وكذا العدالة، وهي: صفة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة، وترك الكبائر والردائل بلا بدعة مغلظة.

وعن<sup>(١)</sup> أبي حنيفة: تقبل رواية مجهول العدالة، والله أعلم.

\* \* \*

---

(١) في «ن»: «عند».

## فصل في ذكر جمع القرآن وكتابته

كان القرآن في مدة رسول الله ﷺ متفرقاً في صدور الرجال، وقد كتب الناس منه في صحف، وفي جريد، وفي خزف وغير ذلك، فلما توفّي رسول الله ﷺ، وقام بالأمر بعده أحنّ الناس به أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -، وقاتل الصحابة - رضوان الله عليهم - أهل الردّة، وأصحاب مسيلمة، وقتل من الصحابة نحو الخمس مئة، أشير على أبي بكر بجمع<sup>(١)</sup> القرآن في مصحف واحد خشية أن يذهب بذهاب الصحابة، فتوقّف في ذلك من حيث إنّ النبي ﷺ لم يأمر<sup>(٢)</sup> في ذلك بشيء، ثم اجتمع رأيه ورأي الصحابة على ذلك، فأمر زيد بن ثابت - رضي الله عنه - بتتبع القرآن وجمعه، فجمعه في صحف غير مرتّب<sup>(٣)</sup> السور بعد تعب شديد منه.

وكانت الصحف عند أبي بكر رضي الله عنه حتى توفّي، ثم عند عمر - رضي الله عنه - بعده، ثم عند حفصة - رضي الله عنها - في خلافة عثمان - رضي الله عنه -، وانتشرت في خلال ذلك صحف في الآفاق كتبت عن

(١) في «ن»: «جمع».

(٢) في «ن»: «يأمره».

(٣) في «ن»: «مرتبة».



## جنة السنة

الصحابة؛ كمصحف ابن مسعود، وما كُتِبَ عن الصحابة بالشام، ومصحف أبي - رضي الله عنه -، وغير ذلك، وكان في ذلك اختلافٌ حسب السبعة الأحرَفِ التي أنزل القرآنُ عليها.

ولما كان في حدود سنة ثلاثين من الهجرة النبوية<sup>(١)</sup> الشريفة في خلافة عثمان - رضي الله عنه - حضر حذيفة بن اليمان فتح أرمينية وأذربيجان، فرأى الناس يختلفون في القرآن، ويقول أحدُهم للآخر: قراءتي أصحُّ من قراءتك، فأفرعه ذلك، وقدم على عثمان - رضي الله عنه -، وقال: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة؛ أن أرسلني إلينا بالصُّحف ننسخها، ثم نردّها إليك، فأرسلتها إليه، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف، وقال: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، فكتب منها عدة مصاحف؛ فوجّه بمصحف إلى البصرة، ومصحف إلى الكوفة، ومصحف إلى الشام، وترك مصحفاً بالمدينة، وأمسك لنفسه مصحفاً الذي يقال له: الإمام، ووجّه بمصحف إلى مكة، وبمصحف إلى اليمن، وبمصحف إلى البحرين، وأمر بما سواها من المصاحف أن تحرق - بحاء مهملة -، أو تحرق - بخاء معجمة على معنى، ثم تدفن<sup>(٢)</sup>.

(١) «النبوية» زيادة من «ن».

(٢) رواه البخاري (٤٧٠٢)، كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن، عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - نحوه.

## جنة السنة

قال ابن عطية: ورواية الحاء غير منقوطة أحسن<sup>(١)</sup>.

ولما جمعت المصاحف وعُرضت، نظر فيها عثمان رضي الله عنه، فقال: قد أحسنتم وأجملتم، غير أنا نرى فيها لحنًا، وسنُقيمه بالسنتنا<sup>(٢)</sup>.

ووجه ذلك: أنه وجدهم كتبوا حروفًا على خلاف ما اقتضاه اللفظ.

ومنها ما كان على الأصل، ولو تلفظ به لكان لحنًا.

ومنها ما كان من طغيان القلم بحيث علمَ عثمان أنه لا يعرض في مثله ريبٌ، من نحو ما كتبوا: (الرَّبوا) بالواو في جميع القرآن، إلا ما في سورة الروم، من قوله: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا﴾ [الروم: ٣٩] وهو في الأصل من ربا يربو، وتظهر الواو في التثنية، فيقال: رَبَوَان، وكأنه كان في الأصل رَبَوِي على وزن فِعَلٍ، فكَرِهت الحركةُ على الواو، وطلَبَ منها السكون، فإذا سُكِّت، التَقَّتْ مع التنوين، وهو ساكن، فتسقط الواو؛ لسكونها وسكون التنوين.

فكأن الكاتب حمل ما هو الأصل، فخرجَ عمَّا يطابقه اللفظ، وكذلك: (الصلوة والزكوة) كُتبتا بالواو، وهي الأصل، والجمع يُظهر ذلك، إذا قيل: صلوات وزكوات، كأنها كانت في الأصل صَلَوَةٌ وَزَكَوَةٌ، ولكنه لما كُرِهت حركةُ الواو، وكانت قبلها فتحةً، انقلبت ألفًا، وكذلك (الحياة) كتبت بالواو، وهي الأصل، ولكنَّ اللفظ المعروف في أهل اللسان يخالف ذلك.

وأسقطت الألفُ في قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٩]، وحُذفت

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤٩/١).

(٢) رواه أبو داود في «المصاحف» (٧٤٥/٢) - «الدر المنثور» للسيوطي.

## جنة السنة

في قوله تعالى: ﴿ وَقَدِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَةً ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وكتب الحرفان بغير ألف، ولو قرىء به لكان لحناً، ثم أثبتت الألف في قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ ﴾ [التوبة: ٤٧] بزيادة الألف بعد (لا) وكذلك كتب<sup>(١)</sup> في بعض المصاحف في سورة النمل: ﴿ أَوْ لَا أَذْبَحْنَهُ ﴾ [النمل: ٢١] بزيادة ألفٍ بعد (لا)، ولو قرىء به، لكان لحناً فاحشاً.

وكتبوا في سورة الكهف: ﴿ وَلَا نَقُولَنَّ لِشَأَىءٍ ﴾ [الكهف: ٢٣] بألف بين الشين والياء، ولم يكتبوا ذلك في سائر القرآن.

وكتبوا في الأنعام: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤] بياء بعد الألف المهموزة، وفي سائر القرآن بغير ياء.

وكتبوا في النحل: ﴿ وَإِنِّي ذِي الْفُرُوفِ ﴾ [النحل: ٩٠] بياء بعد الألف، وفي الشورى: ﴿ أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ ﴾ [الشورى: ٥١] بالياء، وفي الأحزاب: ﴿ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] بغير ياء، وكتبوا في النور: ﴿ وَإِنِّي أَرْكُوعٌ ﴾ [النور: ٣٧]، وفي يونس: ﴿ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي ﴾ [يونس: ١٥] بياء بعد الألف؛ وذلك كله سبق القلم، أو لعل الكاتب قصد تقوية الهمزة المكسورة بالياء، وليس يحسن ذلك؛ لأنه يشبهه بالإضافة إلى النفس.

وكتبوا (سَمَوَاتٍ) بغير ألف بين الواو والتاء، إلا في موضع واحد في حم السجدة قوله: ﴿ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت: ١٢]، فهذه ونحوها هو اللحن الذي قال عثمان - رضي الله عنه -: سَنُقِيمُهُ بِالسُّنَنِ.

ولا يُظن به أنه رأى لحناً يُخاف فيه الغلط، ثم تركه في المصحف.

(١) في «ن»: «كتبت».

[وأما الحروف التي كُتبت بعضها على خلاف بعض في المصحف] (١)، وهي في الأصل واحدٌ:

فأول ذلك: ﴿يَسْمِ اللّٰهَ﴾ كُتبت بحذف الألف التي قبل السين، وكُتبت: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ﴾ [العلق: ١]، و﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ﴾ [الأعلى: ١]، و﴿يَسْ أَلِاسْمُ﴾ [الحجرات: ١١].

و﴿مَنْهُ أَسْمُهُ﴾ [آل عمران: ٤٥] بالألف، والأصل في ذلك كله واحدٌ، وهو: أن يُكتب بالألف، وإنما حُذفت من ﴿يَسْمِ اللّٰهَ﴾ فقط؛ لأنها أَلْفٌ وصلٍ ساقطةٌ من اللفظ، كَثُرَ استعمالُ الناسِ إياها في صدور الكتب، وفواتح السور، وعند كلِّ فعل يُبتدأ فيه من مأكِلٍ أو مشربٍ أو ملبسٍ أو غير ذلك، فأمنوا أن يجهل القارىء معناها، فحذفوها إيجازاً، ولو كُتبت: باسمِ الله، بالألف، لكان صواباً؛ لأنهم لم يحذفوا ألفها لعلّة موجبة لحذفها، بل تخفيفاً.

ومما كتب: في سورة يوسف: ﴿لَدَا أَلْبَابٍ﴾ [يوسف: ٢٥] بالألف، وفي الطول: ﴿لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨] بالياء، وفي مصحف الشام في سورة البقرة [٢٢١]: ﴿وَلَا أُمَّةَ مُؤْمِنَةٍ﴾ بزيادة ألف، وكتب ﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ في النور [٣١]، و﴿يَتَأَيُّهُ السَّاجِرُ﴾ في الزخرف [٤٩]، و﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ في الرحمن [٣١]؛ بغير ألف، وما سواها: ﴿يَأَيُّهَا﴾ و﴿يَأَيُّهَا﴾ بالألف.

ومن غرائب الهجاء ونوادره: ما كتب في الفرقان: ﴿وَعَتَوُوعَتُوا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١] بغير ألف، وفي سبأ: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْ﴾ [سبأ: ٥] بغير ألف أيضاً، وفي الحشر: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ [الحشر: ٩] بواوین من غير ألف، وفي آخر

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

عم: ﴿ كُنْتُ تُرْبَابًا ﴾ [النبا: ٤٠] بغير ألف، وفي القلم: ﴿ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُونُ ﴾ [القلم: ٦] بياءين، وفي آل عمران: ﴿ أَفَأَيْنَ مَاتَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] بالياء، وفي الأنبياء [٣٤]: ﴿ أَفَأَنْ مَتَ ﴾ بغير ياء، واختلف فيه، وفي يس [١٩]: ﴿ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ ﴾ بغير ياء، وفي التوبة [٣٨]: ﴿ أَتَأْتَلْتُمْ ﴾ ونحوه بالألف، وفي البقرة: ﴿ فَأَدْرَأْتُمْ ﴾ [البقرة: ٧٢] ليس بين الدال والراء ولا بين الراء والتاء ألف في جميع المصاحف.

وكتب في الحاقة لبيان الحركة: (كِتَابِيَهْ، حِسَابِيَهْ، مَالِيَهْ، سُلْطَانِيَهْ)، وفي القارعة: (ما هيه) بإثبات الهاء، واختلف في قوله تعالى: (لَمْ يَتَسَنَّهْ) و(فِيَهْدِيَهُمْ اقْتَدِهْ) أن الهاء فيهما لبيان الحركة أو لغير ذلك.

وكتب في سورة النساء: ﴿ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ﴾ [النساء: ٧٨]، وفي الكهف: ﴿ مَالِ هَذَا الْكِتَابِ ﴾ [الكهف: ٤٩]، وفي الفرقان: ﴿ مَالِ هَذَا الرَّسُولِ ﴾ [الفرقان: ٧]، وفي المعارج: ﴿ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [المعارج: ٣٦] كتبت هذه الأربعة الأحرف اللام مع (ما) مقطوعة مما بعدها؛ وسنذكر كل شيء من ذلك في محله عند تفسيره - إن شاء الله تعالى -.

واعلم أن هجاءات المصاحف واختلاف كتابتها أكثر من أن يؤتى عليها كلها، وفيما ذكرته كفاية، وإنما كتبت هذه الحروف بعضها على خلاف بعض، وهي في الأصل واحدة؛ لأن الكتابة بالوجهين فيها كانت جائزة عندهم، فكتبوا بعضها على وجه، وبعضها على وجه آخر، إرادة الجمع بين الوجهين الجائزين فيها في الكتاب عندهم، على أنهم كتبوا أكثرها على الأصل، فالواجب على القراء والعلماء والكتّاب والأدباء: أن يعرفوا هذا الرسم في خط المصحف، ويتبعوه، ولا يجاوزوه؛ فإنه رسم زيد بن ثابت رضي الله عنه -، وكان أمين رسول الله ﷺ، وكتب وحده، وعلم من هذا

العلم بدعوة النبي ﷺ ما لم يعلمه غيره، فما كتب شيئاً من ذلك، إلا لعلّة لطيفة، وحكمة بليغة.

وفي خط المصحف عجائب وغرائب تحيرت فيها عقول العلماء، وعجزت عنها آراء الرجال البلغاء، والله الموفق.

وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف المنسوخة بأمر عثمان - رضي الله عنه -، وترك ما خالفها من زيادة ونقص، وإبدال كلمة بأخرى؛ مما كان مأذوناً فيه توسعة عليهم، ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن.

وجردت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل؛ ليحتملها ما صحّ نقله، وثبتت تلاوته عن النبي ﷺ، إذ كان الاعتماد على اللفظ لا على مجرد الخط، وكان من جملة الأحرف السبعة التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله: «أُنزِلَ القرآن على سبعة أحرف»<sup>(١)</sup>، فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقرّ عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله ﷺ، فإن النبي ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل - عليه السلام - في كل عام مرة، فعرض عليه القرآن في العام الذي قبض فيه رسول الله ﷺ مرتين، ونسخ منه، وغُيّر فيه في العرضة الأخيرة، واستقرّ منه ما كتب في المصاحف العثمانية.

قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: لو وليت في المصاحف ما ولي عثمان، لفعلت كما فعل<sup>(٢)</sup>.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤٢/٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩/٢٤٣-٢٤٤).

## جنة السنة

وقرأ أهل كلِّ مِصرٍ بما في مُصحفهم، وتلقَّوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقَّوه من في رسولِ الله ﷺ.

قال شيخُ الإسلام ابنُ حجرٍ - رحمه الله - في «شرح البخاري»: واختلفَ هل رتَّب القرآنُ الصحابةُ بتوقيفٍ عن النبي ﷺ، أو باجتهادٍ منهم؟ قال القاضي أبو بكر: الصحيحُ: الثاني، وأما ترتيب الآيات، فتوقيفيٌّ بلا خلاف، وحكاه ابنُ عطية في «تفسيره»، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢/٢٥٧).

## فصل في ذكر شكل القرآن ونقطه

قد تقدم أن المصاحف العثمانية كانت مجردة من النقط والشكل، فلم يكن فيها إعرابٌ، وسبب ترك الإعراب فيها - والله أعلم - : استغناؤهم عنه؛ فإن القوم كانوا عرباً لا يعرفون اللحن، ولم يكن في زمنهم نحوٌ.

وأول من وضع النحو، وجعل الإعراب في المصاحف: أبو الأسود الدؤليّ التابعي البصريّ، حُكي أنه سمع قارئاً يقرأ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٢] بكسر اللام، فأعظمه ذلك، وقال: عزَّ وجهُ الله أن يبرأ من رسوله<sup>(١)</sup>. ثم جعل الإعراب في المصاحف، وكانت علاماته نقطاً بصبغ لونه غير لون المداد، وهو الحُمْرة؛ فكانت علامة الفتحة نقطة فوق الحرف، وعلامة الضمة نقطة في نفس الحرف، وعلامة الكسرة نقطة تحت الحرف، وعلامة الغنة نقطتان.

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٩٢/٢٥)، والقراءة التي سمعها أبو الأسود، هي قراءة الحسن، كما في «الكشاف» للزمخشري (١٧٣/٢)، و«إملاء ما من به الرحمن» للعكبري (٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/٣)، وقد وجهها بعض الأئمة بأن الواو للقسم، ومع كل التوجيهات فهي غاية في الشذوذ.



## جنة السنة

ثم أحدث الخليل بن أحمد الفراهيدي بعد هذا هذه الصور: الشدة، والمدّة، والهمزة، وعلامة السكون، وعلامة الوصل، ونقل الإعراب من صورة النقط إلى ما هو عليه الآن.

وأما النقط: فأول من وضعها بالمصحف نصر بن عاصم الليثي بأمر الحجاج بن يوسف أمير العراق وخراسان، وسببه: أن الناس كانوا يقرؤون في مصحف عثمان نيماً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان، ثم كثرت التصحيف، وانتشر بالعراق، فأمر الحجاج: أن يضعوا لهذه الأحرف المشتبهة علامات، فقام بذلك نصر المذكور؛ فوضع النقط أفراداً وأزواجاً، وخالف بين أماكنها، وكان يقال له: نصر الحروف.

وأول ما أحدثوا النقط على الياء والتاء، وقالوا: لا بأس به، هو نور له، ثم أحدثوا نقطاً عند منتهى الآي، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم.

فأبو الأسود الدؤلي هو السابق إلى إعرابه، والمبتدئ به، ثم نصر بن عاصم وضع النقط بعده، ثم الخليل بن أحمد نقل الإعراب إلى هذه الصور.

وكان مع استعمال النقط والشكل، يقع التصحيف، فالتمسوا حيلة، فلم يقدروا فيها إلا على الأخذ من أفواه الرجال بالتلقين؛ فانتدب جهابذة علماء الأمة، وصناديد الأئمة، وبالغوا في الاجتهاد، وجمعوا الحروف والقراءات، حتى بينوا الصواب، وأزالوا الإشكال - رضي الله عنهم -.

\* \* \*



فَصْلٌ  
فِي ذِكْرِ عَدَدِ سُورِ الْقُرْآنِ وَأَيَاتِهِ  
وَحُرُوفِهِ وَكَلِمَاتِهِ وَأَحْزَابِهِ وَنُقْطِهِ

أما عدد سور القرآن، فهو: مئة وأربع عشرة سورة.

وعدد آياته ستة آلاف ومئتان وست وثلاثون آية.

وعدد حروفه: ثلاث مئة ألف حرفٍ وأحدٌ وعشرون ألفَ حرفٍ،

ومئتان وخمسون حرفاً.

روي ذلك كله عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ،

ذكره الإمام أبو عبد الله [الله] (١) أحمد بن أبي عمر الأندرائي في كتابه

«الإيضاح في علم القراءات» في الباب العاشر. وعدد كلماته في قول

عطاء بن يسار - رحمه الله -: سبعٌ وسبعون ألفَ كلمةٍ، وأربعٌ مئة كلمةٍ،

وتسعٌ وثلاثون كلمةً (٢).

وأحزابه: ستون حزباً.

قيل: إن الحجاج لما جدَّ في نَقْطِ المصحف، زاد تحزيبه، وأمر الحسن

ويحيى بن يعمر بذلك.

(١) لفظ الجلالة سقط من «ت».

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/١).

## جنة السنة

وأما وضعُ الأعراسِ فيه، فحُكي: أن المأمون العباسيَّ أمر بذلك.

وقيل: إن الحجاج فعل ذلك.

وهذا الذي ذكرته من العدد جملة، وأما عددُ آي كل سورة وحروفها وكلمها، فسأذكره عند أولها - إن شاء الله تعالى -.

وأما عددُ كلِّ حرفٍ من حروف المعجم:

فالألف: ثمانية وأربعون ألفاً، وتسع مئة وأربعون.

والباء: أحدَ عشرَ ألفاً، وأربع مئة وعشرون.

والتاء: عشرة آلاف، وأربع مئة وثمانون.

والتاء: ألفٌ، وأربع مئة وأربعة.

والجيم: ثلاثة آلاف، وثلاث مئة واثنا عشر.

والحاء: أربعة آلاف، ومئة وثمانية وثلاثون.

والخاء: ألفان، وخمس مئة وثلاثة.

والدال: خمسة آلاف، وتسع مئة، وثمانية وتسعون.

والذال: أربعة آلاف، وتسع مئة، وأربعة وثلاثون.

والراء: ألفان، ومئتان، وستة.

والزاي: ألفٌ، وست مئة وثمانون.

والسين: خمسة آلاف، وسبع مئة، وتسعة وتسعون.

والشين: ألفان، ومئة، وخمسة عشر.

والصاد: ألفان، وسبع مئة، وثمانون.

## جنة السنة

والضاد: ألفٌ، وثمانية مئة، واثنان وثمانون.

والطاء: ألف، ومئتان وأربعة.

والظاء: ثمانية مئة، واثنان وأربعون.

والعين: تسعة آلاف، وأربع مئة وتسعون.

والغين: ألفٌ ومئتان، وتسعة وعشرون.

والفاء: تسعة آلاف، وثمانية مئة، وثلاثة عشر.

والقاف: ثمانية آلاف، وتسعة وتسعون.

والكاف: ثمانية آلاف، واثنان وعشرون.

واللام: ثلاثة وثلاثون ألفاً، وتسع مئة، واثنان وعشرون.

والميم: ثمانية وعشرون ألفاً، وتسع مئة، واثنان وعشرون.

والنون: تسعة وعشرون ألفاً، وتسع مئة، وخمسة وخمسون.

والواو: خمسة وعشرون ألفاً، وخمس مئة وستة.

والهاء: سبعة عشر ألفاً.

ولام الألف: أربعة عشر ألفاً، وسبع مئة، وسبعة.

والياء: خمسة وعشرون ألفاً، وسبع مئة، وخمسة عشر.

قال ذلك الإمام نجم الدين النسفي، ونظمه الشيخ شمس الدين القباقي

- رحمه الله تعالى -.

وعدد نقطه مئة ألف، وستون ألفاً، وثلاثة آلاف، وسبع مئة، وتسع

وعشرون نقطة؛ قاله القباقي في نظمه.

## جنة السنة

وقد اختلف علماء القراءة في عدد الآي والكلمات والحروف، وليس ذلك باختلافٍ على الحقيقة، وإن كان اختلافاً في اللفظ.

قال بعض أهل العلم: يصرف الأمل فيما اختلفوا فيه من الحروف والكلمات، إلا أن بعضهم كان يُعدُّ كلَّ حرفٍ مشدِّدٍ حرفين، وبعضهم لم يفعل ذلك؛ فصار عددُ حروفٍ من لم يفعل ذلك أقلَّ، وعدَّ بعضهم (في خَلَقِ) كلمتين، و(في السموات) كلمتين؛ كأنه يقول: (في) كلمة، و(خلق) كلمة، وبعضهم لم يفعل ذلك، بل عدَّ (في خلق) و(في السموات) وما أشبه ذلك، كلمة كلمة؛ فصار عدد من فعل ذلك أقلَّ من عدد كلمات من لم يفعل ذلك، وإلى هذا يُصرف اختلافُهم في عدد الحروف والكلمات، والله أعلم.

\* \* \*



فصل  
في ذكر معنى المصحف والكتاب  
والقرآن والسور والآيات والكمات والحرف

\* أما معنى المصحف<sup>(١)</sup>: فهو مُفْعَل، من أَصْحَفَ؛ أي: جُمع فيه الصحفُ، واحدها صحيفة؛ كمدينة ومدن. وروي أن أبا بكر - رضي الله عنه - لما أمر بجمع القرآن، وكتبوه، استشار الناس في اسمه، فسماه مُصْحَفًا، وذلك لمعنيين:

أحدهما: أن القرآن كان في صحف متفرقة، فلما جمعه في موضع واحد، سموه مُصْحَفًا، أي: جُمع فيه الصحف.

والآخر: أنه جُمع فيه علمُ الصحف الأولى، وأنه يَعدِّلُها، وهي: التوراة والإنجيل والزبور.

ومعنى الصحيفة: القطعة من جلد أو ورق، وجمعها صحف، فلما ضُمَّ بعضها إلى بعض، سمي مصحفًا.

\* وأما الكتابُ: فهو ضَمُّ الحروف الدالَّة على معنى بعضها إلى بعض، لأنه مصدرُ كَتَبَ، ومعناه: جمع، ومنه قوله - عز وجل -: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢]؛ أي: جمع، حتى آمنوا بجميع ما يجب عليهم.

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

## جنة السنة

وقد سمي الله تعالى القرآن كتاباً، فقال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢].

\* وأما القرآن: فهو اسم الكتاب الذي أنزله الله تعالى على محمد عبده ورسوله ﷺ خاصة، لم يُسمَّ به شيءٌ غيره من الكتب؛ كما أن التوراة اسم الكتاب المنزل على موسى، والإنجيل اسم الكتاب المنزل على عيسى، والزبور اسم الكتاب المنزل على داود - صلوات الله عليهم أجمعين - .  
وهو: منزلٌ غيرٌ مخلوقٍ بإجماع أهل السنة، واتفق الأئمة، معجزٌ، مُتَعَبَّدٌ بتلاوته، مكتوبٌ في مصاحفنا، محفوظٌ في صدورنا، مقروءٌ بالسنننا.

وإنما سمي قرآناً؛ لأنه: جَمَعَ السُّورَ وَضَمَّهَا، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧] أي: تأليفه، وضمَّ بعضه إلى بعضٍ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَابْتِغِ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨] أي: إذا ألقناه وضممنا، فخذُه واعملْ به .

وسمي أيضاً: الفرقان؛ لأنه: فرق بين الحقِّ والباطل، والمؤمن والكافر، فرقاً وفرقانا.

وسمي: الذكر؛ لأنه: ذكَّرَ الناسَ آخرتهم وإلهم، وما كانوا في غفلةٍ عنه .

\* وأما السُّورَةُ من القرآن: فهي اسمٌ لآيٍ جُمعت، وقرنت بعضها إلى بعض؛ حتى تَمَّتْ، وَكَمُلَتْ، وَبَلَغَتْ في الطول المقدار الذي أراد الله تعالى، ثم فصلَ بينها وبين سورةٍ أخرى بسم الله الرحمن الرحيم، ولا تكونُ السورةُ إلا معروفَ المبتدأ معروفَ المنتهى .

\* وأما الآية: ففيها خلاف، فقليل:

## جنة السنة

معنى الآية من القرآن: كلامٌ متصلٌ إلى انقطاعه، وانقطاع معناه فصلاً فصلاً.

وقيل: معنى الآية: العلامة؛ كقوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ [مريم: ١٠] أي: علامة.

وإنما سميت الآية آية؛ لأنها: علامة تدل على نفسها بانفصالها عن الآية التي تقدمتها، أو تأخرت عنها، فكلُّ آيةٍ كأنها علامةٌ.

\* وأما الكلمة: فهي الواحدة من جملة الكلام، وجمعها كَلِمٌ، وتجمع أيضاً على: كَلِمَاتٍ، فالكلام: اسمُ جنسٍ يقع على القليل والكثير من جنسه.

\* وأما الحَرْفُ: فهو الواحد من حروف المعجم، سمي: حرفاً؛ لقلته ودقته، ولذلك قيل: حرف الشيء لطرفه؛ لأنه آخره، والقليل منه، والحرف أيضاً: القراءةُ بكمالها، والحرفُ أيضاً: اللغةُ، ومنه قول النبي ﷺ: «أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ»<sup>(١)</sup> أي: على سبعِ لغاتٍ للعرب متفرقة في القرآن مختلفة الألفاظ متفقة المعاني.

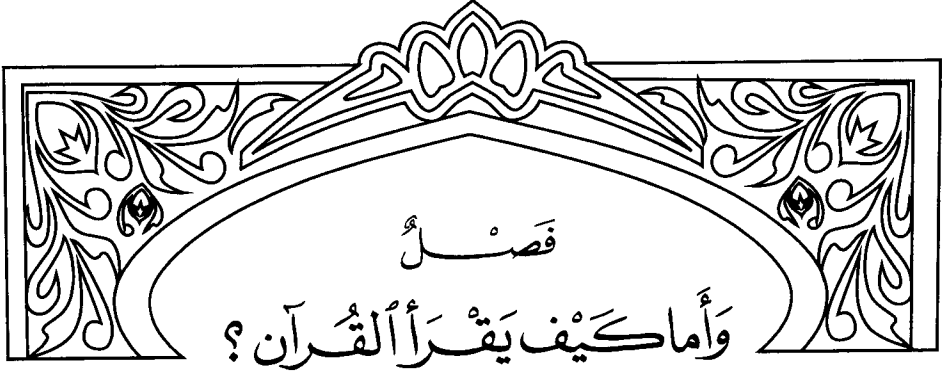
وقولهم لمكتسبِ الرجل وطعمته: الحَرْفَةُ، كأنها الجهة التي انحرف إليها عما سواها.

والتحريفُ في الكلام: تغييرُه عن معناه، كأنه ميلٌ به إلى غيره، وانحرفَ عنه، كما قال الله تعالى في صفة اليهود: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا﴾ [المائدة: ١٣]؛ أي: يغيرون معاني التوراة بالتَّمويهاتِ، والله أعلم.

\* \* \*

(١) تقدم تخريجه (ص: ١٠).





فإن كلام الله يقرأ: بالتحقيق، وبالحدُر، وبالتدوير الذي هو التوسط بين الحالتين، مُرْتَلًّا مُجَوِّدًا بلحون العرب وأصواتها، وتحسين اللفظ والصوت بحسب الاستطاعة.

\* أما التحقيق: فهو المبالغة في الإتيان بالشيء على حقه من غير زيادة فيه ولا نقصان، وهو نوعٌ من الترتيل، وهذا النوع من القراءة - وهو التحقيق - مذهب حمزة، وورثه، والكسائي، وأبي بكر، وحفص، وهشام، وابن ذكوان.

وفرق بعضهم بين الترتيل والتحقيق؛ إذ التحقيق يكون للرياضة والتعليم والتمرين، وأما الترتيلُ يكون للتدبر والتفكير والاستنباط، فكل تحقيق ترتيلٌ، وليس كل ترتيلٍ تحقيقاً.

\* وأما الحدُر: فهو عبارة عن إدراج القراءة وسرعتها، وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس، والبدل، والإدغام الكبير، وتخفيف الهمز، ونحو ذلك مما صحّت به الرواية، ووردت به القراءة، وهو ضدُّ التحقيق، وهذا النوع مذهب ابن كثير، وأبي جعفر، وأبي عمرو، ويعقوب، وقالون، وورثه، وزوي عن حفص، وهشام.

## جنة السنة

\* وأما التَّدْوِيرُ: فهو التَّوَسُّطُ بين المقامين من التحقيق والحدَر، وهو مذهبُ سائر القراء، وصَحَّحَ عن جميع الأئمة، وهو المختارُ عن أكثر أهل الأداء.

\* وأما التَّرْتِيلُ: فهو مصدرٌ من رَتَلَ فلانٌ كلامَه؛ إذا أتبعَ بعضَه بعضاً على مُكْثٍ وَتَفَهَّمٍ، من غير عَجَلَةٍ، وهو الذي نزلَ به القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢].

وعن علي - رضي الله عنه -: أنه سُئِلَ عن قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]، فقال: الترتيلُ تجويدُ الحروف، ومعرفةُ الوقف<sup>(١)</sup>.

والصحيحُ بلِ الصوابُ: أن الترتيلَ والتدبُّرَ مع قلةِ القراءة، أفضلُ من السرعةِ مع كثرتها.

\* والتَّجْوِيدُ: هو حليةُ التلاوةِ وزينةُ القراءة، وهو: إعطاءُ الحروفِ حقوقها، وترتيبها مراتبها، وردُّ الحرفِ إلى مخرجه وأصله، من غير إسرافٍ ولا تعسُّف، ولا إفراطٍ ولا تكلف.

قال الحبرُ العلامةُ أبو زكريا النووي - رضي الله عنه -: وإذا ابتدأ القارئُ بقراءة شخصٍ من السبعة، فينبغي أن لا يزالَ على تلك القراءة، ما دام للكلامِ ارتباطٌ، فإذا انقضَى ارتباطه، فله أن يقرأ بقراءةٍ آخرَ من السبعة، والأولى دوامُه على تلك القراءة في ذلك المجلس<sup>(٢)</sup>.

وقال الأستاذ أبو إسحق الجعبري - رحمه الله -: والتركيبُ ممتنعٌ في

(١) انظر: «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (٢٢١).

(٢) انظر: «البيان في آداب حملة القرآن» للنووي (ص: ٣٧).

## جنة السنة

كلمة، وفي كلمتين؛ إن تعلق أحدهما بالآخر، وإلا كره.

وأجازها أكثر الأئمة مطلقاً، وجعل خطأ مانعي ذلك مُحَفَفًا.

قال الحافظ العلامة ابن الجزري - رحمه الله - : والصوابُ في ذلك عندنا<sup>(١)</sup> التفصيلُ، والعدول بالتوسط إلى سواء السبيل، فنقول: إن كانت إحدى القراءتين مترتبةً على الأخرى، فالمنعُ من ذلك منعٌ تحريمٌ؛ كمن يقرأ: ﴿فَلْتَلِقْ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] بالرفع فيهما، أو بالنصب، أخذاً رفع (آدم) من قراءة غير ابن كثير، ورفع (كلمات) من قراءة ابن كثير<sup>(٢)</sup>، ونحو: (وكفلها زكرياء) بالتشديد مع الرفع، أو عكس ذلك<sup>(٣)</sup>، ونحو: (وقد أخذنا ميثاقكم) وشبهه مما يُرَكَّب بما لا تجيزه العربية، ولا يصحُّ في اللغة، وأما ما لم يكن كذلك، فإننا نفرِّق فيه بين مقام الرواية وغيرها:

فإن قرأً بذلك على سبيل الرواية، فإنه لا يجوزُ أيضاً، من حيث إنه كذبٌ في الرواية، وتخليطٌ على أهل هذه الدراية.

(١) في «ن» و«ظ»: «عندنا في ذلك».

(٢) قراءة ابن كثير: ﴿فَلْتَلِقْ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾، والباقون يرفع آدم، انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٩٣/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١١) و«معجم القراءات القرآنية» (٤٨/١)، ووجه البغوي - رحمه الله - قراءة ابن كثير بقوله: يعني: جاءت الكلمات آدم من ربه، وكانت سبب توبته.

(٣) انظر: توجيه المؤلف لقراءات هذه الآية، في تفسير سورة آل عمران، الآية:

## جنة السنة

وإن لم يكن على سبيل النقل والرواية، بل على سبيل القراءة والتلاوة، فإنه جائزٌ صحيحٌ مقبولٌ، لا منع منه، ولا حَظْرٌ، وإن كنا نعيب على أئمة القراءات والعارفين باختلاف الروايات، من وجه تساوي العلماء بالعوام، لا من وجه أن ذلك مكروهٌ أو حرام، إذ كلُّ من عند الله نزل به الرُّوحُ الأمينُ على قلبِ سيِّد المرسلين؛ تخفيفاً عن الأمة، وتهويناً على أهل هذه الملة، فلو أوجبنا عليهم قراءة كلِّ روايةٍ على حدة، لَشَقَّ عليهم تمييزُ القراءة الواحدة، وانعكس المقصودُ من التخفيف، وعاد الأمرُ بالسهولة إلى التكليف، وقد تقدّم لفظُ الحديثِ الشريفِ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ»<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ١٠).



قال الله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].  
معناه: إذا أردت أن تقرأ، وشرعت، فأوقع الماضي موقع المستقبل؛  
لثبوته.

وأجمع العلماء على أن قول القارئ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ليس  
بآية من كتاب الله تعالى، وأجمعوا على استحسان ذلك، والتزامه في كل  
قراءة في غير صلاة.

ويجهرُ بها عند جميع القراء قبل القراءة.

وروي عن حمزة إخفاؤها قبلُ حيث قرأ.

وروي عنه الإخفاء في غير الفاتحة.

وروي عن قالون إخفاء الاستعاذة في جميع القرآن.

ويجوز الوقفُ على الاستعاذة، ووصلها بما بعدها، بسَمَلَةٍ كَانَ  
أَوْغَيْرَهَا مِنَ الْقُرْآنِ.

ومعنى (أعوذ بالله) أي: أستجيرُ وأمتنعُ بعظمة الله (من الشيطان) هو  
إبليسُ، فيَعَالُ مِنْ شَطَنٍ؛ أي: بَعُدَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ. (الرَّجِيمُ)؛ أي:

## جنة السنة

المرجوم بالشُّهْبِ عندَ استراقِ السَّمْعِ، فصار المعنى: أَسْتَجِيرُ وَأَمْتَنُ بِعِظْمَةِ اللَّهِ مِنَ الْمَرْجُومِ الْمَطْرُودِ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

والمختارُ لجميعِ القراءِ من حيثِ الروايةُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، كما ورد في سورة النحل، وهو المأخوذ به عند عامة الفقهاء؛ كالشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد بن حنبل<sup>(١)</sup>، وغيرهم.

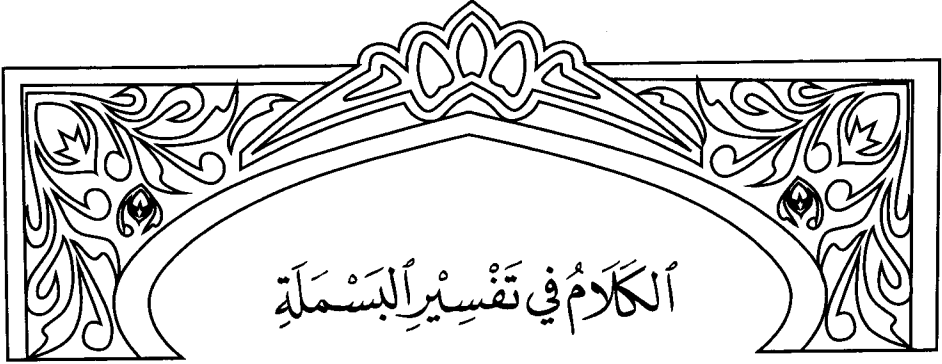
وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قرأتُ على رسول الله ﷺ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، فقالَ لي: «قُلْ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ فَإِنِّي قَرَأْتُ عَلَى جِبْرِيلَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، فَقَالَ لِي: قُلْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ ثُمَّ قَالَ لِي جِبْرِيلُ: هَكَذَا أَخَذْتُ عَنْ مِيكَائِيلَ، وَأَخَذَ مِيكَائِيلُ عَنِ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ» رواه الحافظُ ابنُ الجزريِّ في «النشر»<sup>(٢)</sup>.

والمختار عند أئمة القراءة الجهرُ بها كما تقدّم، ومحلُّها قبلَ القراءة إجماعاً، وهي مستحبةٌ في القراءة بكل حال، في الصلاة وخارجها ندباً، وهي في الصلاة للقراءة لا للصلاة، وهو مذهب الأئمة الثلاثة، وأما الإمام مالك، فإنه قال: لا يُستعاذ إلا في قيام رمضان فقط، والله أعلم.

\* \* \*

(١) «بن حنبل» ساقطة من «ش» و«ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري ( ).



## الكلام في تفسير البسملة

رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مفتاح القرآن التسمية»<sup>(١)</sup>.  
وقال ابنُ عباس - رضي الله عنهما - «إجلال القرآن: أعودُ بالله من  
الشیطانِ الرحيمِ، ومفتاحُ القرآن: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»<sup>(٢)</sup>.  
ورُوي أن أولَ ما جرى به القلمُ في اللوحِ المحفوظ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ  
الرحيمِ.

وروي أن رجلاً قال بحضرة النبي ﷺ: تَعَسَّ الشيطانُ، فقال  
رسولُ الله ﷺ: «لا تَقُلْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَتَعَاظَمُ عِنْدَهُ، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ  
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ فَإِنَّهُ يَصْغُرُ حَتَّى يَصِيرَ أَقَلَّ مِنْ ذُبَابٍ»<sup>(٣)</sup>.

وقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الباءُ في محلِّ نصبٍ؛ لأنها في موضعِ

(١) لم أفف عليه بهذا اللفظ، لكن روى الخطيب البغدادي في كتابه «الجامع لأخلاق  
الراوي وأداب السامع» (٢٦٤/١) عن أبي جعفر محمد بن علي معضلاً: «بسم الله  
الرحمن الرحيم مفتاح كل كتاب»، وأورده السيوطي في «الجامع الصغير»،  
والمناوي في «فيض القدير» (١٩٢/٣).

(٢) لم أفف عليه.

(٣) رواه أبو داود (٤٩٨٢)، كتاب: الأدب، باب: (٨٥)، والنسائي في «السنن  
الكبرى» (١٠٣٨٨)، والإمام أحمد في «المسند» (٥٩/٥)، عن رجل من  
أصحاب النبي ﷺ.

## جنة السنة

مفعول به، تقديره: أبدأ بسم الله، أو: بدأت بسم الله، أو في محل رفع؛ لأنها في موضع خبر الابتداء، تقديره: مفتاح كلامي بسم الله، وكسرت باء الجر ليناسب لفظها عملها، وحذفت الألف من بسم الله في الخط؛ طلباً للخفة؛ لكثرة استعمالها، وطولت الباء ليكون افتتاح كتاب الله بحرفٍ معظم.

والاسم: هو المسمى وعينه وذاته، وقيل: الاسم غير المسمى، وإنما هو يدُّ على المسمى، وهو مشتق من السمو، وهو العلو.

والله: هو اسمٌ تفرَّد به الباري سبحانه، قال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مریم: ٦٥]، وهو اسمُ الله الأعظم، ومعناه: السيد.

واختلف في اشتقاقه، فقال جماعة من العلماء: هو غير مشتق؛ كأسماء الأعلام للعباد مثل زيد وعمرو.

و<sup>(١)</sup> قال آخرون: هو مشتق من أله إلهة؛ أي عبد عبادة، معناه: أنه المستحق للعبادة دون غيره.

﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ صفةٌ مبالغة من الرحمة، معناها: أنه انتهى إلى غاية الرحمة، وهي صفةٌ تختصُّ بالله، ولا تطلق على البشر.

﴿ الرَّحِيمُ ﴾ عظيم الرحمة، والرحمة إرادة الخير لأهله، وأصلها الرقة والتعطف.

واختلف العلماء والقراء فيها، فقيل: هي آية من الفاتحة فقط، وهو مذهب أهل مكة، والكوفة، ومن وافقهم.

وقيل: آية من الفاتحة، ومن أول كل سورة سوى براءة، وهو الصحيح من مذهب الإمام الشافعي ومن وافقه، فيجهر بها في صلاة الجهر.

(١) «و» زيادة من «ن» و«ظ».



## جنة السنة

وقيل: آيةٌ فاصلةٌ بين كلِّ سورتين سوى براءة، فيكره ابتداءؤها بها، وهو مذهب الإمامين أبي حنيفة، وأحمد بن حنبل، ومن وافقهما، فتقرأ سرّاً في صلاة الجهر.

وقيل: ليست بآية، ولا بعض آية من الفاتحة، ولا من غيرها، وإنما كتبت للتميُّن والتبرُّك، وهو مذهب الإمام مالك، ومن وافقه، ونقل جماعة عن أبي حنيفة كمذهب مالك، وعند مالك تكره قراءتها في صلاة الفرض، مع إجماعهم على أنها بعض آية من سورة النمل، وأن بعضها آية من الفاتحة. وليست من القرآن أول براءة؛ لنزولها بالقتال الذي لا تناسبه<sup>(١)</sup> البسمة المناسبة للرحمة والرفق.

وأما مذاهبُ القراء فيها، فقد أجمعَ القراء على إثبات البسمةِ أولَ الفاتحة، سواء وُصلت بسورة الناس قبلها، أو ابتُدئَ بها، واختلفوا فيها. فأما ابنُ كثير، وعاصمٌ، والكسائيُّ، فإنهم يعتقدونها آية من الفاتحة، ومن كلِّ سورة، وافقهم حمزةٌ على الفاتحة فقط، وصحَّ عن نافع أنه قال: أشهد أنها من السبع المثاني، وأن الله أنزلها.

وقيل: إن أبا عمرو، وقالون، ومن تابعَ الثاني من قراء المدينة لا يعتقدونها آية من الفاتحة، ولم يرضَ ابنُ الجزريُّ هذا القول.

وأما الفصلُ بالبسمة بين كلِّ سورتين، فاختلف القراء في ذلك، ففصلَ بها بين كلِّ سورتين إلا بين الأنفالِ وبراءة: ابنُ كثير، وعاصمٌ، والكسائيُّ، وأبو جعفر، وقالون، والأصبهانيُّ عن ورش.

(١) في «ت»: «لا يناسبه».

## جنة السنة

ووصلَ بينَ كلِّ سورتين: حمزة، وكان يقول: القرآنُ عندي كسورةٍ واحدةٍ، فإذا قرأتُ: بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب، أجزأني.

قال ابن الجزري: كلامُ حمزة يُحمل على حالة الوصل، لا الابتداء؛ لإجماع أهل النقل على ذلك، والله أعلم.

واختلف عن خلف في اختياره بين الوصل والسكت.

واختلف أيضاً عن الباقيين وهم: أبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب، وورشٌ من طريق الأزرق بين الوصل والسكت والبسمة.

ثم إن الآخذين بالوصل لمن ذكر من حمزة، أو أبي عمرو، أو ابن عامر، أو يعقوب، أو ورش، اختار كثيرٌ منهم لهم السكت بين المدثر والقيامة، وبين الانفطار والمطففين، وبين الفجر والبلد، وبين العصر والهَمزة، وكذا الآخذون بالسكت لمن ذكر من أبي عمرو، وابن عامر، ويعقوب وورش، اختار كثيرٌ منهم لهم البسمة في هذه الأربعة مواضع، وإنما اختاروا ذلك؛ لبشاعة وقوع مثل ذلك إذا قيل: ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦] ﴿لَا﴾ [القيامة: ١]، أو ﴿وَأَدْخِلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٣٠] ﴿لَا﴾ [البلد: ١]، أو ﴿لِلَّهِ﴾ [الإنفطار: ١٩] ﴿وَيْلٌ﴾ [المطففين: ١]، أو ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] ﴿وَيْلٌ﴾ [الهمزة: ١] من غير فصل، ففصلوا بالبسمة للساكت، وبالسكت للواصل، ولم يمكنهم البسمة له؛ لأنه ثبت عنه النصُّ بعدمها، فلو بَسَمَلُوا، لصادموا النصَّ بالاختيار، وذلك لا يجوز.

والأكثر على عدم التفرقة بين الأربعة وغيرها، وهو اختيار المحققين.

## جنة السنة

والمشترطُ في السكت أن يكون من دون تنفُّس .

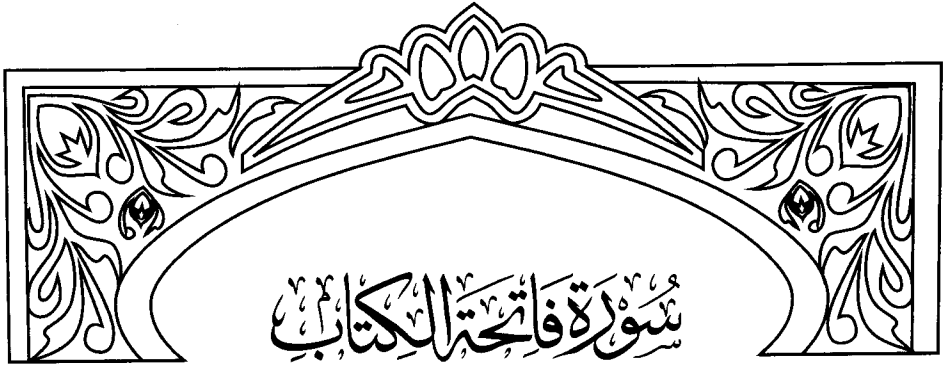
ولا خلاف في حذفها بين الأنفال وبراءة، وكذلك في الابتداء ببراءة،  
وأما الابتداء بالآي وسط براءة، ففيه خلاف، ولا يجوز القطع عليها إذا  
وصلت بآخر السورة، ويجوز بين الأنفال وبراءة كلُّ من الوصل والسكتِ  
والوقفِ لجميع القراء إذا لم يقطع على آخر الأنفال .

فالقطعُ: هو قطعُ القراءة رأساً، فهو كالانتهاؤ .

والوقف: هو قطعُ الصوت على الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنية  
استئنافِ القراءة .

والسكتُ: هو قطعُ الصوت زمناً دون زمن الوقف عادةً من غير تنفس،  
والله أعلم .

\* \* \*



مكية، وأيها سبعُ آيات، وحروفُها بالبسمةِ والتشديداتِ لمن قرأ: (مَالِك) مئةٌ وستٌ وخمسون حرفاً، وكلمُها تسعٌ وعشرون كلمةً، وبغير البسمةِ حروفُها مئةٌ وأربعةٌ وثلاثون، وكلمُها خمسٌ وعشرون.

فمن قال إنها سبعُ آيات غير البسمةِ جعل ﴿ الْعَلَمِينَ ﴾ آية ١ ﴿ الرَّحِيمِ ﴾ آية ٢ ﴿ الدِّينِ ﴾ آية ٣ ﴿ نَسْتَعِينُ ﴾ آية ٤ ﴿ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ آية ٥ ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ آية ٦ ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ آية ٧.

ومن قال: إن البسمةَ منها، وعدّها من الآيات السَّبْعِ، جعل البسمةَ آيةً، ولم يجعل ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾.

وليست فيها سبعةٌ أحرفٍ من حروف المعجم، وهي الثاءُ والجيمُ والخاءُ والزايُ والشينُ والظاءُ والفاءُ.

وفي بعض الآثار: أن الحكمةَ فيها أن الثاءَ من الثُبور، والجيمَ من الجحيم، والخاءَ من الخوف، والزايَ من الزُقوم، والشينَ من الشقاوة، والظاءَ من الظُّلمة، والفاءَ من الفِراق، ومعتقِدُ هذه السورةِ وقارئُها على التعظيم والحرمةِ آمنٌ من هذه الأشياء السبعة.

## جنة السنة

وأما أسماء الفاتحة، فهي<sup>(١)</sup> ثلاثة أسماء معروفة:

الأول: فاتحة الكتاب؛ لأن القرآن افتُتِحَ بها.

والثاني: أمُّ القرآن؛ لأن القرآن يُبَدَأُ منها؛ كقولهم لمكة: أمُّ القرى، ولتقدُّمها في المصحف، وفي الصلاة.

والثالث: السبعُ المثاني؛ لأنها سبعُ آياتٍ بإجماع، ولأنها تُتَنَّى في الصلاة.

واختلف الأئمة فيها، هل هي فرض في الصلاة؟ فقال أبو حنيفة: ليست فرضاً، فلو قرأ آية في كل ركعة، صحَّتْ صلاته، وقال أصحابه: ثلاثُ آياتٍ قصار، أو آيةٌ طويلة تُعَدَّلُها؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَقْرَهُوْا مَا يَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] من غير تقييد، وفرضُ القراءة عندهم إنما هو في الركعتين الأوليين من الرباعية، وأما في الأخيرين، فسنةٌ، فلو سَبَّحَ أو سَكَتَ فيهما، أجزاءه.

وقال الأئمة الثلاثة: هي ركنٌ في كلِّ ركعةٍ من الرباعية وغيرها، وتبطل الصلاة بتركها عمداً أو سهواً؛ لقوله ﷺ: «لا صلاةَ إلا بفاتحة الكتاب»<sup>(٢)</sup>، والله أعلم.

\* \* \*

(١) في «ن» و«ظ»: «فلها».

(٢) رواه البخاري (٧٢٣)، كتاب: صفة الصلاة، باب: وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، في الحضر والسفر، ومسلم (٣٩٤)، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - .

التفسير:

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

[٢] ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ مبتدأ وخبرٌ، كأنه يخبر أن الله هو المستحقُّ للحمدِ، وهو بمعنى الأمر؛ أي: احمدوه، والحمدُ: هو الثناءُ الكاملُ، وهو أعمُّ من الشكر؛ لأن الشكرَ إنما يكون على فعلٍ جميلٍ يُسَدِّى إلى الشاكر، والحمدُ المجرَّدُ هو ثناءُ بصفاتِ المحمود من غير أن يُسَدِّى شيئاً، واللام في (الله) للاستحقاق، كما يقال: الدارُ لزيدٍ، وهو اسمٌ خاصُّ لله - عز وجل -، وتقدم تفسيره مستوفى في البسمة، واتفق القراء على تغليظ اللام من اسمِ الله تعالى إذا كان بعدَ فتحةٍ أو ضمةٍ نحو: (شَهِدَ اللهُ) و(رُسِّلَ اللهُ)، فإن كان قبلها كسرةً، فلا خلافَ في ترقيقها، نحو (بِسْمِ اللهُ) و(الْحَمْدُ لِلَّهِ)، فإن فصلَ هذا الاسمُ مما قبله، وابتدئَ به، فتحت همزةُ الوصلِ، وغُلِّظت اللامُ من أجل الفتحة.

﴿ رَبِّ ﴾ أي: مالك، كما يقال لمالكِ الدار: ربُّ الدار، ويقالُ لربِّ الشيء إذا ملكه، ويكونُ بمعنى التربية والإصلاح؛ فالله سبحانه مالكُ العالمين ومُرَبِّيهم، ولا يقال للمخلوق: هو الربُّ، معرفاً، إنما يقال: ربُّ كذا، مضافاً؛ لأن الألف واللام للتعميم، وهو لا يملك الكل.

﴿ الْعَلَمِينَ ﴾ أصنافِ الخلائق، فكلُّ موجودٍ سوى الله يقال لجملته :  
عالمٌ، واشتقاقه من العَلَم، وهو العلامةُ، سُمُّوا به، لظهور أثر الصنعةِ  
فيهم، وعَلَمُهُم وجودُ الصانع - جلَّت قدرته - .

\*\*\*

﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ .

[٣] ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ تقدم تفسيرُهُما في البسمة .

\*\*\*

﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ .

[٤] ﴿ مَلِكِ ﴾ قرأ عاصم والكسائي ويعقوبُ وخلفُ (مَالِكِ) بألف بعد  
الميم، والمعنى أن الله تعالى يملك ذلك اليومَ أن يأتي به كما يملكُ سائرَ  
الأيام، لكن خصَّصه بالذكر؛ لعظمه في جمعه وحوادثه. وقرأ الباقون  
(مَلِكِ) بغيرِ أَلْفٍ<sup>(١)</sup>. المعنى: أنه ملكُ الملوكِ في ذلك اليوم، لا مُلْكَ  
لغيره. وقرأ أبو عمرو (الرَّحِيمِ مَلِكِ) بإدغام الميم في الميم<sup>(٢)</sup>، وكذلك  
يدغم كلَّ حرفين، سواءً كانا مثلين، أم جنسين، أم متقاربين، إذا لم ينون  
الأول نحو: ﴿ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٥]، أو يشدّد نحو: ﴿ فَتَمَّ مِيقَاتُ ﴾  
[الأعراف: ١٤٢]، أو تاء متكلم نحو: ﴿ كُنْتُ رَبًّا ﴾ [النبأ: ٤٠]، أو مخاطبٍ نحو:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٠٤)، و«الحجّة» لابن خالويه (ص: ٦٢)،  
و«التيسير» للدّاني (ص: ١٨)، و«تفسير البغوي» (٥/١)، و«معجم القراءات  
القرآنية» (٧/١).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٥/١)، «معجم القراءات القرآنية» (٦/١).

## جنة السنة

﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ ﴾ [يونس: ٩٩]، وشبهه، وسيُذكَر كلُّ شيءٍ في محله إن شاء الله تعالى .

واختلف الآخذون بوجه الإدغام فيما إذا كان الأول مجزوماً، وذلك في قوله: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، و﴿ يَخْلُ لَكُمْ ﴾ [يوسف: ٩]، و﴿ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا ﴾ [غافر: ٢٨]، وكذلك اختلفوا في ﴿ أَلْ لُّوطٍ ﴾ [القمر: ٣٤]، وفي الواو إذا وقع قبلها ضمة، نحو: ﴿ هُوَ وَالَّذِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، و﴿ هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [آل عمران: ١٨]، واتفقوا على إظهار ﴿ يَحْزَنُكَ كُفْرَهُ ﴾ [لقمان: ٢٣] من أجل الإخفاء قبل. ومعنى المثليين: ما اتفقا مخرجاً وصفة، نحو: ﴿ فَأَضْرِبْ بِهِ ﴾ [ص: ٤٤]، و﴿ رِيحَتْ يَحْدَرُهُمْ ﴾ [البقرة: ١٦]، وشبهه. والجنسين: ما اتفقا مخرجاً، واختلفا صفةً، نحو: ﴿ قَالَتْ طَافِيَةٌ ﴾ [الأحزاب: ١٣]، ﴿ أَثْقَلَتْ دَعْوًا ﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وشبهه. والمتقاربين: ما تقاربا مخرجاً أو صفةً، نحو: ﴿ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، و﴿ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ ﴾ [النور: ٤٥]، وشبهه.

﴿ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ أي: الجزاء، ومنه قولهم: كما تدينُ تُدان .

\*\*\*

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

[٥] ﴿ إِيَّاكَ ﴾ كلمة ضمير خُصَّتْ بالإضافة إلى المضمَر، وتستعمل مقدماً على الفعل، فيقال: إياك أعني، ولا تُستعمل مؤخراً، ولا منفصلاً، فيقال: ما عنيتُ إلا إياك، وتقديمها اهتماماً، وشأن العرب تقديم الأهم.

﴿ نَعْبُدُ ﴾ أي: نوحِّدك ونطيعك خاضعين، والعبادة: الطاعة مع التذلل والخضوع، وسُمِّي العبدُ عبداً؛ لذلته وانقياده.

﴿ وَإِيَّاكَ ﴾ كررها تأكيداً للاختصاص .



﴿ نَسْتَعِينُ ﴾ نطلبُ منك المعونة على عبادتك، وعلى جميع أمورنا، تلخيصه: نخضُّك بالعبادة وطلب المعونة، وهذا كله تبرُّ من الأصنام.

\*\*\*

﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾.

[٦] ﴿ أَهْدِنَا ﴾ أي: أرشدنا، وهذا الدعاء من المؤمنين - مع كونهم على الهداية - بمعنى التثبيت، وبمعنى طلب مزيد الهداية.

﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الطريق الواضح، وهو الإسلام، أو القرآن. قرأ قبلُ عن ابن كثير، ورويسٌ عن يعقوبَ (السَّرَاطَ) حيثُ وقعَ، وكيف أتى: بالسین، وهو أصلُ اللفظة، وأسمَّ الصادَ الزايَ حيثُ وقعَ: خلفُ عن حمزة، وافقه في (الصِّرَاطَ) هنا خاصة: خلاَّدٌ عن حمزة<sup>(١)</sup>، وكلُّها لغات صحيحة، والاختيارُ الصادُ عندَ أكثرِ القراء؛ لموافقة المصحف.

\*\*\*

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾.

[٧] ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ ﴾ الذين مَنَّنْتَ.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٠٥)، و«الغيث» للصفارسي (ص: ٦٢)، و«تفسير البغوي» (٦/١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١/١)، ووقع في «تفسير البغوي»: عن أويس، بدل: عن رويس. والذي ذكر قراءة الإشمام (الزراط) أبو زرعة، وابن مجاهد، والبغوي.

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ عليهم بالهداية والتوفيق، وهم كلُّ من ثبته الله على الإيمان من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين. قرأ حمزة ويعقوب (عَلَيْهِمْ) بضم الهاء حيث وقع، والباقون بكسرهما، ومنهم: ابن كثير، وأبو جعفر، وقالون بخلاف عنه (عَلَيْهِمْ) بضم الميم وصلتها بواو حالة الوصل، والباقون بإسكان الميم في الحالين<sup>(١)</sup>، فمن ضمَّ الهاء، ردّها إلى الأصل؛ لأنها مضمومة عند الانفراد، ومن كسرَ لأجل الياء الساكنة، والياء أخت الكسرة.

﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ يعني: غير صراط الذين غضبت عليهم، وهم اليهود، والغضب من الله تغيير النعمة، وغضب الله لا يلحق عصاة المؤمنين، إنما يلحق الكافرين.

﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ أي: وغير الضالين عن الهدى، وهم النصارى، والضلال: الذهاب عن الصواب في الدين؛ لأن الله تعالى حكم على اليهود بالغضب، فقال: ﴿ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٦٠]، وحكم على النصارى بالضلالة، فقال: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ ﴾ [المائدة: ٧٧].

ويسن للقارئ أن يقول بعد فراغه من قراءة الفاتحة: آمين مفصلاً عنها

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٢٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٠٨)، و«المحتسب» لابن جني (١/٤٣-٤٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩)، و«تفسير البغوي» (٧/١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٢).

## جنة السنة

بسكتة، وهو مخفّف، ويجوز ممدوداً ومقصوراً، ومعناه: اللهم اسمع واستجب.

روى أبو هريرة وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: وَلَا الضَّالِّينَ، فَقُولُوا: آمِينَ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقُولُ فِي السَّمَاءِ: آمِينَ، فَمَنْ وَافَقَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(١)</sup>.

وليس التأمين من القرآن بالاتفاق، بدليل أنه لم يثبت بالمصاحف.

واختلف الأئمة في الجهر به في الصلاة الجهرية، فعند أبي حنيفة: يخفيه الإمام والمأموم، وعند مالك: لا يؤمّن الإمام في الجهرية، وهو الأفضل عنده، وروي عنه: يؤمّن ويُسرُّ كالمأموم والمنفرد، وعند الشافعي وأحمد: يجهر به الإمام والمأموم، والله أعلم.

\* \* \*

---

(١) رواه البخاري (٤٢٠٥)، كتاب: التفسير، باب: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، ومسلم (٤١٠)، كتاب: الصلاة، باب: التسميع والتحميد والتأمين، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .



مدنية، وآيها مئتان وثمانون وستُ آيات، وحروفُها خمسةٌ وعشرون ألفَ حرفٍ وخمسةٌ مئةٍ حرف، وكلمها ستةٌ آلاف ومئةٌ وإحدى وعشرون كلمةً.

ويقال لسورة البقرة: فُسْطاطُ القرآن، وذلك<sup>(١)</sup> لعظمتها وبهائها، وما تضمنت من الأحكام والمواعظ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم﴾

[١] ﴿الْم﴾ اختلف في سائر حروف الهجاء من فواتح السور، فقليل: هي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه، وهي سرُّ القرآن، ولا يجب أن يُتكلَّم فيها، ولكن نؤمن بها، وتُمرُّ كما جاءت، وقال الجمهور من العلماء: بل يجب أن يُتكلَّم فيها، وتُلتمس الفوائد التي تحتها، والمعاني التي تتخرج عليها، واختلفوا فيها، فقليل: هي اسم الله الأعظم، وقيل: أسماءٌ أقسم الله بها، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: معنى (الم):

(١) في «ت»: «ولذلك».

أنا الله أعلم، ومحل ذلك من الإعراب: أن (الم): ابتداء، و(ذلك) خبره، و(الكتاب) صلة خبره؛ كقولك: زيد ذلك الرجل لا تشك<sup>(١)</sup> فيه. قرأ أبو جعفر بتقطيع الحروف، يسكت على<sup>(٢)</sup> كل حرف سكتة يسيرة في جميع أحرف الهجاء من فواتح السور، ويلزم من سكتته إظهار المدغم منها، والمخفي وقطع همزة الوصل بعدها.

\*\*\*

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٢﴾

[٢] ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: هذا.

﴿ الْكِتَابُ ﴾ هو القرآن؛ لأن الله سبحانه كان قد وعد نبيه ﷺ أن يُنزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء، فلما أنزل القرآن، قال: هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك بإنزاله، و(هذا) للتقريب، و(ذلك) للتبعيد، وأصل الكتاب الضم والجمع، فسمي الكتاب كتاباً لأنه جمعُ حرف إلى حرف.

﴿ لَا رَيْبَ ﴾ أي: لا شك.

﴿ فِيهِ ﴾ أنه من عند الله تعالى، وأنه الحقُّ والصدق. قرأ حمزة: (لا ريب) بالمد بحيث لا يبلغ الإشباع، وكذلك ﴿ لَا شَيْءَ فِيهَا ﴾ [البقرة: ٧١] ﴿ لَا مَرَدَ لَهُمْ ﴾ [الرعد: ١١] ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ [هود: ٢٢] ﴿ لَا خَيْرَ ﴾ [النساء: ١١٤] ﴿ لَا ضَيْرٌ ﴾<sup>(٣)</sup> [الشعراء: ٥٠]، وابن كثير يصلُّ هاء الكناية الساكن قبلها بياء في الوصل إن كانت مكسورة، وبواو إن كانت مضمومة نحو (فيهي هُدًى)

(١) في «ت»: «لا شك».

(٢) في «ت»: «في».

(٣) انظر: «الإتقان» للسيوطي (١/١١٥)، النوع الثاني والثلاثون، المد والقصر.

## جنة السنة

و(شرو هو بضمن) ونحوه حيث وقع<sup>(١)</sup>. وقرأ أبو عمرو: (فيه هدى) بإدغام الهاء في الهاء<sup>(٢)</sup>.

﴿هُدَى﴾ أي: هو رشد وبيان لأهل التقوى، والهدى: ما يهتدي به الإنسان.

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: للمؤمنين وهم من يتقي الشرك والكبائر والفواحش، وهو مأخوذ من الاتقاء، وأصله الحجزُ بين شيئين، والوقايةُ: فرط الصيانة، وتخصيصُ المتقين بالذكر تشریف<sup>(٣)</sup> لهم.

\*\*\*

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

[٣] ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: يصدقون، وحقيقة الإيمان: لغةً: التصديق بما غاب، وشرعاً: عند أبي حنيفة: تصديقاً بالقلب، وعملٌ باللسان، وعند الثلاثة: عقدٌ بالجنان، ونطقٌ باللسان، وعملٌ بالأركان، فدخل كلُّ الطاعات، ويأتي ذكرُ الخلاف في زيادته ونقصانه، والاستثناء فيه في سورة

(١) انظر: قراءة ابن كثير (فيهي) في «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٢٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١٢/١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٧/١).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٢٩)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» (ص: ١٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨/١).

(٣) في جميع النسخ «تشریفاً»، وظاهره خطأ، لأنها خير للمتبدأ «تخصيص».

## جنة السنة

الفتح إن شاء الله تعالى . قرأ أبو عمرو، وورش عن نافع، وأبو جعفر: (يومنون) حيث وقع بواو ساكنة بغير همز، والآخرون يهمزونه<sup>(١)</sup>.

﴿بِالْغَيْبِ﴾ هو مصدر، وضع موضع الاسم، فقليل للغائب: غَيْب، كما قيل للعادل: عَدَل، والغيب ما كان مُغَيَّباً عن العيون؛ المعنى: يؤمنون بما غاب عنهم مما أخبر الله عنه.

﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي: يديمونها، ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها وأركانها وهيئاتها، والمراد بها الصلوات الخمس. والصلوة في اللغة: الدعاء. قرأ ورش عن نافع (الصَّلَاة) بتغليظ اللام حيث وقع<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أي: أعطيناهم، والرزق: اسم لكل ما يُنتَفَعُ به، حتى الولد والعبد، وأصله في اللغة الحظُّ والنصيب. قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وقالون بخلافٍ عنه: (رزقناهمو) بواو بعد الميم.

﴿يُنْفِقُونَ﴾ يُخرجون عن أيديهم ما فيها في طاعة الله، وأصل الإنفاق: الإخراج عن اليد والملك، فهذه الآية في المؤمنين من مشركي العرب.

\*\*\*

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/١٣، ١٥-١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي: (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٨).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٨).

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٤﴾.

[٤] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآن.

﴿وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من التوراة والإنجيل وسائر الكتب المنزلة على الأنبياء - عليهم السلام - . قرأ ابن كثير، وأبو جعفر: بقصر المد المنفصل حيث وقع<sup>(١)</sup>، واختلف عن قالون، وورش، وأبي عمرو، ويعقوب، وهشام، وحفص، فروي عنهم القصر، والباقون يطولونه، وأما المتصل، فاتفق جمهور القراء على مده قدرأ واحداً مشبعاً من غير إفحاش، وذهب آخرون إلى تفاضل مراتبه، فأطولهم مدداً في نوعي المتصل والمنفصل: ورش وحمزة، ودونهما: عاصم، ودونه: ابن عامر، والكسائي وخلف نفسه، ودونهم: قالون، والدوري عن أبي عمرو، ويعقوب، وأقلهم مدداً: ابن كثير وأبو جعفر، والتفاوت بينهم لا يكاد ينضب، والمد: هو زيادة المط في حروف المد، وهي الألف مطلقاً، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، فالمتصل أن تكون الهمزة مع حرف المد في كلمة واحدة؛ نحو: (أُولَئِكَ) و(شَاءَ اللهُ)، وشبهه، والمنفصل أن تكون الهمزة أول كلمة وحرف المد آخر كلمة أخرى، نحو: (بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ)، و(يَا أَيُّهَا)، و(قَالُوا آمَنَّا)، ونحو ذلك، والقصر: هو ترك تلك الزيادة، وهذه الآية في المؤمنين من أهل الكتاب.

﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي: وبالدار الآخرة، وسميت بالآخرة؛

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٢)، و«تفسير البغوي» (١/١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٨-١٩).



## جنة السنة

لتأخرها عن الدار الأولى؛ كما سميت الدنيا دنيا لدنوِّها من الخلق الأول. قرأ ورشٌ عن نافع: (وبالآخرة) بنقل حركة الهمز إلى الساكن قبله، وترقيق الراء حيث وقع<sup>(١)</sup>، وحمزةٌ يسكت في لام التعريف حيث أتت، نحو (الأرض) و(الآخرة) سكتةً من دون تنفُّس، وإذا وقف له النقل بخلاف عنه<sup>(٢)</sup>، ويسكت رويس على ذلك دون سكتته. وقرأ الكسائي (وبالآخرة) بالإمالة حيث وقف على هاء التانيث<sup>(٣)</sup>، وقيل للكسائي: إنك تميل ما قبل هاء التانيث، فقال: هذا طباع العربية.

﴿هُم يُوقِنُونَ﴾ يستيقنون أنها كائنة، من الإيقان، وهو العلمُ الحاصلُ، وهو طمأنينة القلب على حقيقة الشيء.

\*\*\*

﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[٥] ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: أهل هذه الصفة، و(أولاء) كلمةٌ معناها الكنايةُ عن جماعة نحو: هم، والكافُ للخطاب كما في حرف ذلك.

﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ أي: على رشد وبيان وبصيرة.

﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الناجون والفائزون، فازوا بالجنة،

(١) انظر: «الغيث» للصفاطسي (ص: ٧٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٤١/١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩/١).

(٢) انظر: «الكشف» لمكي (٢٣٣-٢٣٢/١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩/١).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩/١).

## جنة السنة

ونجوا من النار، ويكون الفلاح بمعنى البقاء؛ أي: الباقون في النعيم، وأصل الفلاح: القطعُ والشقُّ، ومنه سمي الزَّرَاعُ فلاحاً؛ لأنه يشق الأرض، فهم المقطوعُ لهم بالخير في الدنيا والآخرة. روي عن يعقوبَ الوقفُ بالهاء على النون المفتوحة نحو (العالمين)، و(الذين)، و(يؤمنون)<sup>(١)</sup>، و(ينفقون)، و(المفلحون)، وشبهه، حيث وقع<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

[٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: مشركي العرب، أو اليهود، والكفر: هو الجحود، وأصله، من الستر، ومنه سمي الليل كافراً؛ لأنه يستر الأشياء بظلمته، وسمي الزَّرَاعُ كافراً؛ لأنه يستر الحبَّ بالتراب، والكافرُ يستر الحقَّ بجحوده، والكفرُ على أربعة أنواع: كفرُ إنكار، وهو ألا يعرف الله أصلاً، ولا يعترف به، وكفر جحود، وهو: أن يعرف الله بقلبه، ولا يقر بلسانه؛ كإبليس، وكفر عناد: أن يعرف الله بقلبه، ويعترف بلسانه، ولا يدين به؛ كأبي طالب، وكفر نفاق، وهو: أن يقر باللسان، ولا يعتقد بالقلب.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: متساوٍ عندهم، وقد تقدم في الفاتحة مذهبُ يعقوبَ في ضمِّ هاء (عَلَيْهِمْ)، وكذلك يضم كل هاء وقعت بعد ياء ساكنة، نحو: (إِلَيْهِمْ)، و(لَدَيْهِمْ) و(عَلَيْهِمَا)، و(إِلَيْهِمَا)، و(فِيهِمَا)، و(عَلَيْهِنَّ)،

(١) في «ت»: «والذين يؤمنون».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨/١).

## جنة السنة

و(إِيَهُنْ)، و(فِيَهُنْ)، و(أَبِيَهُمْ)، و(صِيَاصِيَهُمْ)، و(بِجَنَّتِيَهُمْ)، و(تَرْمِيَهُمْ)، و(مَا نَرِيَهُمْ)، و(بَيْنَ أَيْدِيَهُمْ)، وشبه ذلك، وافقه حمزة في (عَلِيَهُمْ) و(إِلِيَهُمْ)، و(لَدِيَهُمْ) فقط، وتقدم<sup>(١)</sup> مذهبُ ابن كثير وأبو جعفرٍ وقالونُ في صلة ميم الجمع بواو في اللفظ حيث وقع، وافق ورشٌ على الصلة عند همز القطع لمن وصل الميم في نحو (عليهمو) (أأنذرتهمو أم لم)، وشبهه حيث وقع.

﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ أعلمتهم محذراً، والإنذارُ: إعلامٌ مع تخويفٍ وتحذيرٍ. قرأ أبو عمرو وابنُ كثير وأبو جعفرٍ وقالونُ عن نافعٍ، ورؤيس عن يعقوبَ (ءَأَنْذَرْتَهُمْ) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والألف، وأبو عمرو وقالونُ وأبو جعفرٍ يفصلون بين الهمزتين بألفٍ، وورشٌ يبدلها ألفاً خالصةً، ورؤي عنه التسهيل بينَ بينَ. وقرأ الباقون، وهم الكوفيون، وابن ذكوان، وروحٌ بتحقيق الهمزتين<sup>(٢)</sup>، من غير فصل بينهما كل القرآن. واختلف عن هشام في الفصل مع تحقيق الهمزتين، واختلف عنه أيضاً في تسهيل الثانية بينَ بينَ وتحقيقها، وزعم بعضهم أن من قلب الهمزة الثانية ألفاً على أحد الوجهين لورش لاحقٌ؛ لجمعه بين ساكنين على غير حدّه. قال الكواشيُّ: وفي زعمه نظرٌ، ثم بيّن وجه القراءة بذلك، وجواز الجمع

(١) انظر: (ص: ٢٣) من هذا الكتاب.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٣٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٧٧)، و«تفسير البغوي» (١/١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٣١-٣٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١/٢١).

## جنة السنة

بين ساكنين، وملخصه أنه يجوز الجمع بين ساكنين مطلقاً إذا صحَّ نقله، وقد صحَّ، ومتى اجتمعت همزتان في كلمة الثانية ساكنة، والأولى متحركة بأية حركة كانت، فأجمع القراء أن الأولى محققة، والثانية مسهلة تُبدل واواً إذا انضم ما قبلها، وألفاً إذا انفتح، وياء إذا انكسر؛ كآدم وأوتي وإيمان.

﴿ أَمْ لَمْ نُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ المعنى: إن الذين كفروا مستوٍ لديهم إنذارك وعدمه، والألف في قوله (ءأنذرتهم) ألفُ التسوية؛ لأنها ليست كالاستفهام، بل المستفهم والمستفهم مستويان في علم ذلك، وهذه الآية في أقوام حَقَّتْ عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله.

ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال:

\*\*\*

﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

[٧] ﴿ خَتَمَ اللَّهُ ﴾ أي: طبع الله.

﴿ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ فلا تعي خيراً، ولا تفهمه، وحقيقة الختم: الاستيثاق من الشيء، ومنه الختم على الباب.

﴿ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ أي: على موضع<sup>(١)</sup> سمعهم، فلا يسمعون الحق، ولا ينتفعون به، وأراد: على أسماعهم؛ كما قال: على قلوبهم.

﴿ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ ﴾ وهذا ابتداء كلام.

﴿ غِشَاوَةً ﴾ أي: غطاء، فلا يرون الحق. قرأ أبو عمرو، وورش عن

(١) في «ت»: «مواضع».

## جنة السنة

نافع، والدورِيُّ عن الكسائي (أبصارهم) و(ديارهم) وشبهه بالإمالة حيث وقع<sup>(١)</sup>، والباقون بالفتح، فالفتح بلغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسدٍ وقيسٍ، والفتحُ عبارةٌ عن فتح القارئ فيه بلفظ الحرف، وهو فيما بعده ألف أظهر، والإمالة: أن ينحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: في الآخرة، والعذابُ: كلُّ ما يُعَنَى به الإنسان ويشقُّ عليه. قرأ حمزة برواية خلف (غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ) بإدغام التنوين بغير غنة<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٨)</sup>.

[٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ نزلت في المنافقين: عبد الله بن أبي ابن سلول، وسلولُ أمُّه، وبها يُعرف، وحارث بن عمرو، وعمرو بن زيد، ومعتب بن قشير، وجدُّ بن قيسٍ، وأصحابهم؛ حيث أظهروا كلمة الإسلام ليسلموا من النبيِّ وأصحابه، واعتقدوا خلافها، وأكثرهم من اليهود<sup>(٣)</sup>. والناسُ: جمعُ إنسان سمي به؛ لأنه عهد إليه فَنَسِيَ كما قال

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٢)، حيث ذكرت عن أبي عمرو والكسائي.

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٤).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١/١١٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/٤٢)، و«الدر=

## جنة السنة

تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَسَيَ﴾ [طه: ١١٥]. قرأ أبو عمرو والكسائي (وَمِنَ النَّاسِ) بالإمالة حيث وقع هذا الاسم مجروراً في جميع القرآن<sup>(١)</sup>. وقرأ خلف عن حمزة، والدوري عن الكسائي (مَنْ يَقُول) بإدغام النون بغير غنة.

﴿وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: بيوم القيامة، قال الله تعالى:  
﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ نظراً إلى معناها؛ لأن (مَنْ) لفظ مفرد للعقلاء يعمُّ الواحد والجمع، والذَكَرَ والأُنثَى.

\*\*\*

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

[٩] ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ أي: يخالفون الله، أصل الخَدَع في اللغة: الإخفاء، ومنه المَخْدَعُ للبيت الذي يُخْفَى فيه المتاعُ، فالمخادعُ هو الذي يُظهر خلافَ ما يُضمِر، والخدعُ من الله تعالى في قوله: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، أي: يُظهر لهم، ويُعَجِّل لهم من النعيم في الدنيا خلافَ ما يُغَيِّب عنهم من عذاب الآخرة.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: ويخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم: آمناً، وهم غير مؤمنين.

﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: (وَمَا يُخَادِعُونَ)

= المنثور» للسيوطي (١/٧٣).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٤).

## جنة السنة

بالألف مع ضمّ الياء وفتح الخاء وكسر الدال، على موافقة الكلمة الأولى .  
وقرأ الباقون: (وَمَا يَخْدَعُونَ) بغير ألف مع فتح الياء والدال وإسكان  
الهاء<sup>(١)</sup> .

﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لأن خدعهم أنفسهم لا يعدوهم . وقال بعض أهل  
اللغة: يقال: خادَع: إذا لم يبلغ مُرادَه، وخَدَع: إذا بلغ مراده، فلما لم ينفذ  
خداعهم فيما قصدوه، كان مخادعةً، فلما وقع ضررٌ فعلهم على أنفسهم،  
كان في حقّ أنفسهم خِداعاً، وتفسيره: فلا ينفذ خداعهم فيمن قصدوه،  
فكأنهم خدعوا أنفسهم؛ كما يقال: فلانٌ سخرَ بفلانٍ، وما سخرَ إلا بنفسه،  
والنفسُ: ذاتُ الشيء وحقيقته .

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ الشعور: علمٌ حسنٌ؛ أي: لا يعلمون أنهم يخدعون  
أنفسهم، وأن وبال خداعهم يعودُ عليهم .

\*\*\*

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا  
يَكْذِبُونَ﴾ .

[١٠] ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شكٌ ونفاق، والمرضُ في اللغة: العلة،

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٩)،  
و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٨)، و«الكشف» لمكي (١/٢٢٤-٢٢٧)،  
و«الغيث» للصفاسي (ص: ٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/١٩)، و«التيشير»  
للداني (ص: ٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٠٧)،  
و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية»  
(١/٢٥)، قال البغوي عن قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو: وجعلوه من  
المفاعلة التي تختص بالواحد .

## جنة السنة

سمي الشك في الدين مرضاً؛ لأنه يُضعف الدين؛ كالمرض يضعف البدن.

﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ أي: أمدّهم الله بمرضٍ آخرٍ تنميةً لمرضهم؛ لأن الآيات كانت تنزل تترأً آيةً بعد آيةٍ، فكلما<sup>(١)</sup> نزلت آية، فكفروا بها، ازدادوا شكاً ونفاقاً. قرأ حمزة، وابنُ ذكوان: (فَزَادَهُمُ) بالإمالة، والباقون بالفتح<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: مؤلم.

﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ أي: بتكذيبهم الله ورسوله في السرِّ. قرأ أهل الكوفة: (يَكْذِبُونَ) بفتح الياء والتخفيف؛ أي: بكذبهم إذ قالوا: آمنا، وهم غير مؤمنين، والكذب: إخبارٌ بما لم يقع. وقرأ الباقر: بضم الياء والتشديد على المعنى الأول<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) في «ت»: «فلما».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرة (ص: ٨٨)، و«المحتسب» لابن جني (٤٧/١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٨)، و«تفسير البغوي» (١٩/١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦/١).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرة (ص: ٨٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٤١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٦)، و«الكشف» لمكي (٢٢٧/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٨٣)، و«تفسير البغوي» (١٩/١)، و«التيسير» للبداني (ص: ٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٠٨-٢٠٧/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦/١).



﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ﴿١١﴾ .

[١١] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ يعني: قال المؤمنون للمنافقين أو لليهود. قرأ الكسائي، وهشام، ورويس: (قِيلَ، وَغَيْضَ، وَجِيءَ، وَحِيلَ، وَسِيَقَ، وَسِيءَ، وَسِيَّتَ) بإشمام الضم كسر أو ائلهن، وافقهم ابنُ ذكوان في (حِيلَ، وَسِيءَ، وَسِيَّتَ)، ووافقهم المدنيان في (سِيءَ وَسِيَّتَ) فقط. وقرأ الباقون بإخلاص الكسر<sup>(١)</sup>.

﴿ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ بالكفرِ وتعويقِ الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن، والفساد: خروجُ الشيء عن حالِ الاستقامة.  
﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ يقولون هذا القول كذباً؛ كقولهم: آمنا وهم كاذبون.

\*\*\*

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿١٢﴾ .

[١٢] ﴿ أَلَا ﴾ كلمة تنبيه يُنبه بها المخاطبُ.

﴿ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ أنفسهم بالكفر، والناسَ بالتعويقِ عن الإيمان.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٤١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٩)، و«الكشف» لمكي (٢٣٢-٢٢٩/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٨٣)، و«تفسير البغوي» (٢٠/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٠٨/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٧/١).

## جنة السنة

﴿ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: لا يعلمون أنهم مفسدون؛ لأنهم يظنون أنّ الذي هم عليه من إبطان الكفر حقّ صلاح.

\*\*\*

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [١٣].

[١٣] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ أي: المنافقين واليهود:

﴿ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ ﴾ عبد الله بن سلام وغيره من مؤمني أهل الكتاب.

﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ أي: الجهّال، وهذا القول كانوا يُظهرونه فيما بينهم، لا عند المؤمنين، فأخبر الله نبيّه والمؤمنين بذلك، وقال ردّاً عليهم:

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لا يدرون أنهم كذلك، والسفيه: خفيف العقل، رقيق الحلم، من قولهم: ثوبٌ سفيهٌ؛ أي: رقيق. قرأ الكوفيون وابن عامر، وروح: (السُّفَهَاءُ أَلَا) بتحقيق الهمزتين، والباقون: بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية، وهي أن تُبدل واواً محضَةً، وما ذكر من تسهيل إحدى<sup>(١)</sup> الهمزتين إنما هو في حالة الوصل، فإذا وقفت على الكلمة الأولى، أو<sup>(٢)</sup> بدأت بالثانية، حَقَّقَتِ الهمز<sup>(٣)</sup> في ذلك لجميع القراء<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) في «ت»: «أحد».

(٢) في «ن»: «و».

(٣) في «ن»: «الهمزة».

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٣٩)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٨٤)، =

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَإِذَا لَقُوا ﴾ يعني : هؤلاء المنافقين .

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي : المهاجرين والأنصار .

﴿ قَالُوا ءَامَنَّا ﴾ كإيمانكم .

﴿ وَإِذَا خَلَوْا ﴾ رجعوا .

﴿ إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ ﴾ أي : رؤسائهم وكهنتهم ، والشيطانُ : المتمردُ العاتي ؛

أي : الطويلُ الجسم من الجنِّ والإنس ومن كلِّ شيء .

﴿ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ أي : على دينكم .

﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ ساخرون بمحمدٍ وأصحابه بما نظهر من

الإسلام . قرأ أبو جعفر : (مُسْتَهْزُونَ، ومُتَكُونَ) وشبهه حيث وقع بترك  
الهمزة<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ أي : يجازيهم جزاء استهزائهم ، وهو أن يُفْتَحَ

= و«تفسير البغوي» (٢٠/١) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٢٩) ،

و«معجم القراءات القرآنية» (٢٨٢٧/١) .

(١) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ٨٦) ، و«تفسير البغوي» (٢١/١) ، و«إملاء

ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١٢/١) ، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٦٩/١) ،

و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٢٩) ، و«معجم القراءات القرآنية»

(٢٩/١) .

## جنة السنة

لهم بابٌ من الجنة، فإذا انتهوا إليه، سُدَّ عنهم، ورُدُّوا إلى النار.

﴿ وَيَمُدُّهُمْ ﴾ يُطِيلُ مَدَّةَ غِيَّتِهِمْ، والمُدُّ والإمدادُ واحدٌ، وأصلُه الزيادةُ، إلا أن المدَّ أكثرُ ما يأتي في الشرِّ، قال الله تعالى: ﴿ وَنَمُدُّ لَهُمُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴾ [مریم: ٧٩]، والإمدادُ في الخير، قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾ [الإسراء: ٦].

﴿ فِي طُعَيْنِهِمْ ﴾ أي: ضلالتهم، والطُعْيَانُ: الغلُوُّ في الكفرِ. قرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ (طغيانهم وأذانهم) بالإمالة حيثُ وقع<sup>(١)</sup>، وأمالَ حمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ جميعَ ما رُسِمَ بالياء من الأسماء، نحو: (الهُدَى، وَالهُوَى، وَالْعَمَى)، وما أشبه ذلك<sup>(٢)</sup>، والأفعالِ نحو: (أَتَى، وَأَبَى، وَسَعَى)، وما أشبه ذلك، وافقهم<sup>(٣)</sup> أبو عمرو على ما كان فيه راءٌ بعدها ألفٌ ممالاةً بأيِّ وزنٍ كان، نحو: (ذِكْرَى، وَبُشْرَى، وَأَسْرَى)، وما أشبه ذلك، واختلفَ في ذلك كله عن ابنِ ذكوان، واختلفَ عن ورشٍ فيما فيه راءٌ، فرُوِيَ عنه الإمالةُ بينَ بين، ورُوِيَ عنه الفتحُ<sup>(٤)</sup>، والوجهانِ صحيحانِ عنه. وقرأ الباقرُ بالفتح.

﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ أي: حائرون متردِّدون<sup>(٥)</sup>.

- 
- (١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٤٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٩٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٩).
- (٢) انظر: «تفسير آلوسي»، في تفسيره سورة البقرة، الآية (١٦).
- (٣) في «ن»: «ووافقهم».
- (٤) «الفتح» سقط من «ت».
- (٥) انظر: «اللباب» لابن عادل الحنبلي، في تفسيره سورة يوسف، الآية (١٩).

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ ﴾ أي: استبدلوا الكفر بالإيمان. والضلالة: الجور عن القصد.

﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ ﴾ أي: فما ربحوا في تجارتهم.

﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ ناجين من الضلالة.

\*\*\*

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ﴿ مَثَلُهُمْ ﴾ أي: شبههم. والمثل: قولٌ سائرٌ في عُرفِ الناس، يُعرف به معنى الشيء.

﴿ كَمَثَلِ الَّذِي ﴾ يعني: الذين؛ بدليل سياق الآية.

﴿ اسْتَوْقَدَ ﴾ أي: أوقد.

﴿ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ ﴾ النار.

﴿ مَا حَوْلَهُ ﴾ أي: حول المستوقد.

﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ أي: أزاله.

﴿ وَتَرَكَهُمْ ﴾ طرحهم.

﴿ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ نزلت في المنافقين، يقول: مثلهم في نفاقهم كمثل رجلٍ أوقد ناراً في ليلةٍ مظلمةٍ في مفازةٍ، فاستدفاً، ورأى ما حوله،

## جنة السنة

وَاتَّقَى مَا يَخَافُ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ تُفْطِنُ نَارُهُ، فَبَقِيَ فِي ظِلْمَةٍ خَائِفًا  
مُتَحِيرًا، فَكَذَلِكَ الْمُنَافِقُونَ بِإِظْهَارِ كَلِمَةِ الْإِيمَانِ أَمِنُوا عَلَى أَمْوَالِهِمْ  
وَأَوْلَادِهِمْ، وَنَاكَحُوا الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارَثُوهُمْ، وَقَاسَمُوهُمْ الْغَنَائِمَ، فَكَذَلِكَ  
نُورُهُمْ، فَإِذَا مَاتُوا، عَادُوا إِلَى الظلمة والخوف.

\*\*\*

﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿صُمُّ﴾ أي: هم صمٌّ عن الحق، لا يقبلونه، وإذا لم يقبلوا،  
كانهم لم يسمعوا.

﴿بَكْمٌ﴾ خُرْسٌ عَنِ الْحَقِّ لَا يَقُولُونَهُ.

﴿عُمَى﴾ أي: لا بصائرَ لهم، وَمَنْ لَا بَصِيرَةَ لَهُ كَمَنْ لَا بَصَرَ لَهُ.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عَنِ الضَّلَالَةِ إِلَى الْحَقِّ.

\*\*\*

﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي  
ءِذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: كأصحابِ صَيْبٍ؛ فهذا مثلُ آخَرُ  
ضَرْبُهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُنَافِقِينَ، مَعْنَاهُ: إِنْ شِئْتَ مَثَلُهُمْ بِالْمُسْتَوْقِدِ، وَإِنْ شِئْتَ  
بِأَهْلِ الصَّيْبِ (أَوْ) بِمَعْنَى الْوَاوِ، يُرِيدُ: وَكَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ. وَالصَّيْبُ:  
الْمَطَرُ، وَكُلُّ مَا نَزَلَ مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَسْفَلِ، فَهُوَ صَيْبٌ؛ أَي: نَزَلَ مِنَ  
السَّمَاءِ؛ أَي: مِنَ السَّحَابِ.

﴿فِي ظُلُمَاتٍ﴾ جَمْعُ ظِلْمَةٍ.

## جنة السنة

﴿وَرَعْدٌ﴾ اسم مَلَكٍ، وهو الذي يُسمع صوته من السحاب، وهو الذي يسوقُهُ.

﴿وَبَرْقٌ﴾ لمعانٌ سوطٍ من نورٍ يزجرُ به الملكُ السحابَ.

﴿يَجْعَلُونَ أَصْوَعَهُمْ فِيءَ إِذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَعِ﴾ جمع صاعقة، وهي الموت، وكلُّ عذابٍ مُهْلِكٍ. وعن رسولِ الله ﷺ: أنه كان إذا سمعَ صوتَ الرعدِ والصواعقِ قال: «اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

﴿حَدَرَ الْمَوْتَ﴾ أي: مخافةَ الهلاكِ.

﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ عالمٌ بهم، لا يفوتونه. وأصلُ<sup>(٢)</sup> الإحاطة: الإحداقُ بالشيءِ من جميعِ جهاته، ومنه الحائطُ. قرأ أبو عمرو، وورشٌ، والدوريُّ عن الكسائي ورويس: (بالكافرين) بالإمالة حيثُ وقعَ في محلِّ النصبِ والخفضِ<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(١) رواه الترمذي (٣٤٥٠)، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا سمع الرعد، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٧٦٤)، والإمام أحمد في «المسند» (١٠٠/٢)، وغيرهم، عن ابن عمر - رضي الله عنهما -.

(٢) في «ت»: «والأصل».

(٣) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٣)، و«الغيث» للصفاقي (ص: ٩٠)، و«تفسير البغوي» (٢٤/١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٣/١).

[٢٠] ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ﴾ أي: يقربُ. يُقال: كَادَ يَفْعَلُ: إذا قَرُبَ ولم يفعل.

﴿يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ يختلسها، والخطفُ: استلابٌ بسرعةٍ.

﴿كُلَّمَا﴾ (كُلَّ) حرفُ جملةٍ ضَمٌّ إلى (ما) الجزاء، فصار أداةً للتكرار، ومعناها: متى ما.

﴿أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ أي: كلما أثارَ البرقُ لهم الطريقَ، ساروا في ضوئه.

﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ أي: وقفوا متحيرين، فالله تعالى شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مَفَاذَةٍ في ليلةٍ مظلمة، أصابهم مطرٌ فيه ظلماتٌ من صِفَتِهَا أَنَّ السَّارِيَ لَا يُمْكِنُ الْمَشْيُ فِيهَا، ورعدٌ من صِفَتِهِ أَنَّهُ يَضُمُّ السَّامِعُونَ أَصَابِعَهُمْ إِلَى آذَانِهِمْ مِنْ هَوْلِهِ، وبرقٌ من صِفَتِهِ أَنَّهُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ وَيُعْمِيهَا مِنْ شِدَّةِ تَوَقُّدِهِ، فهذا مثلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ لِلْقُرْآنِ وَصَنِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ مَعَهُ، فالْمَطْرُ: الْقُرْآنُ؛ لِأَنَّهُ حَيَاةُ الْجَنَّةِ، كَالْمَطْرِ حَيَاةُ الْأَبْدَانِ، وَالظُّلُمَاتُ: مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ ذِكْرِ الْكُفْرِ وَالشَّرِكِ، وَالرَّعْدُ: مَا خُوفُوا بِهِ مِنَ الْوَعِيدِ، وَذِكْرُ النَّارِ، وَالْبَرْقُ: مَا فِيهِ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيَانِ وَالْوَعْدِ وَذِكْرِ الْجَنَّةِ، فَالْكَافِرُونَ يَسُدُّونَ آذَانَهُمْ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ مَخَافَةَ مِيلِ الْقَلْبِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَهُمْ كَفْرٌ، وَالْكَفْرُ مَوْتُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾؛ أَي: الْقُرْآنُ يَبْهَرُ قُلُوبَهُمْ.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أمالَ حمزة (شَاءَ، وَجَاءَ، وَخَابَ، وَطَابَ، وَخَافَ، وَحَاقَ، وَضَاقَ، وَزَالَ، وَزَاغَ) حيثُ وقع، سوى (زَاغَتْ) وافقَهُ ابْنُ ذَكْوَانَ



وَخَلَفُ فِي (شَاءَ، وَجَاءَ) حَيْثُ وَقَعَ (١).

﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ أي: بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة. قرأ أبو عمرو، ورويس: (لذهب بسمعهم) بإدغام الباء في الباء.

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: فاعل لما يشاء، ولا يُوصفُ غيرُ الله تعالى بالقدير.

\*\*\*

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١).

[٢١] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: يا أيُّها الناسُ خطابٌ أهلِ مَكَّةَ، ويا أيُّها الذين آمنوا خطابٌ أهلِ المدينة (٢)، وهو هاهنا عامٌ إلا من حيثُ إنه لا يدخله (٣) الصغارُ والمجانين.

﴿أَعْبُدُوا﴾ وَحَدُّوا.

﴿رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمُ﴾ الخلقُ: اختراعُ الشيءِ على غيرِ مثالٍ سبق. قرأ أبو عمرو: (خلقكم) بإدغام القاف في الكاف، وروي عن يعقوبٍ إدغامُ كُلِّ ما أدغمه أبو عمرو من المثليين، والمتقارِبين (٤).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢٥/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٥/١).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨٤/١ - ٨٥).

(٣) في «ت»: «يدخل».

(٤) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤٥/١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي =

## جنة السنة

﴿ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ أي: وخلق الذين من قبلكم .  
﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ لكي تنجو من العذاب . قال سيبويه: لعلّ، وعسى  
حرفاً ترجّ، وهما من الله واجبان .

\*\*\*

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً  
فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٢) :

[٢٢] ﴿ الَّذِي جَعَلَ ﴾ أي: صَيَّرَ .

﴿ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ أي: بساطاً . قرأ أبو عمرو: (وَجَعَلَ لَكُمْ) بإدغام  
اللام في اللام، ورُوي عن رُويس موافقته على ذلك .

﴿ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ أي: سقفاً محفوظاً مرفوعاً .

﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ أي: من السحاب .

﴿ مَاءً ﴾ وهو المطر .

﴿ فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ وأنواع النبات .

﴿ رِزْقًا ﴾ أي: طعاماً .

﴿ لَكُمْ ﴾ وعلفاً لدوابكم .

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾ أي: أمثالاً تعبدونهم كعبادة الله .

﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه واحدٌ خالقٌ هذه الأشياء .

\*\*\*

= (ص: ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٣٦) .

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿٢٣﴾ .

[٢٣] ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾ أي: في شك. معناه: وإذ كنتم؛ لأن الله علم أنهم شاكون.

﴿ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ محمد، يعني: القرآن.

﴿ فَأْتُوا ﴾ أمرٌ تعجيز.

﴿ بِسُورَةٍ ﴾ والسورة: قطعة من القرآن معلومة الأول والآخِر.

﴿ مِّنْ مِّثْلِهِ ﴾ أي: مثل القرآن، (مِنْ) صِلَةٌ؛ كقوله: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور: ٣٠].

﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ﴾ جمعُ شاهدٍ؛ أي: واستعينوا بأهتِكُم التي تعبدونها.

﴿ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أن محمداً يقوله من تلقاء نفسه، فلمَّا تحدّاهم، عجزوا، فقال:

\*\*\*

﴿ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٢٤﴾ .

[٢٤] ﴿ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾ فيما مضى.

﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ أي: لن تقدروا عليه فيما بقي أبداً، وإنما<sup>(١)</sup> قال ذلك؛

(١) في «ت»: «وإن».

## جنة السنة

ليبان الإعجاز؛ فإنَّ القرآنَ كانَ معجزةً للنبيِّ ﷺ؛ حيثُ عجزوا عن الإتيان  
بمثله .

﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾ أي : فآمنوا ، واتقوا بالإيمان النار .

﴿ أَلْتِي وَفُودَهَا ﴾ أي : حطبها .

﴿ النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ يعني : حجارة الكبريت ؛ لأنها أكثرُ التهاباً ، وقيل :  
الأصنام ، وقرنَ الناسَ بالحجارة ؛ لأنهم نحتوها ، واتخذوها أرباباً من  
دون الله . وقيل : من النار نوعٌ لا يتَّقد إلا بالناسِ والحجارة كاتقادِ هذه النار  
بالحطب .

﴿ أُعِدَّتْ ﴾ أي : هيئت .

﴿ لِلْكَافِرِينَ ﴾ فبعدَ ذكرِ وعيدِ الكافرين ذكرَ وعدَ المؤمنين تطيباً لقلوبهم  
مخاطباً رسوله ﷺ فقال :

\*\*\*

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ  
وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [٢٥] .

[٢٥] ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ والبشارةُ : كلُّ خيرٍ صدقٍ تتغير به بشرةُ  
الوجه ، ويُستعمل في الخيرِ والشرِّ ، وفي الخيرِ أغلبُ .

﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أي : الفعلاتِ الصالحة ، يعني : المؤمنينَ من  
أهل الطاعة .

﴿ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴾ جمع جنة ، والجنةُ : البستان الذي فيه أشجارٌ مثمرةٌ ،

## جنة السنة

سميت به ؛ لاجتنانها وتسترها بالأشجار .

﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ﴾ أي : من تحت أشجارها ومساكنها .

﴿ الْأَنْهَارُ ﴾ أي : المياه في الأنهار ؛ لأن النهر لا يجري ، والأنهارُ جمعُ نهر ، سمي به لسعته وضيائه ، ومنه النَّهَارُ .

﴿ كُلَّمَا ﴾ يعني : متى ما .

﴿ رُزِقُوا ﴾ أَطْعَمُوا .

﴿ مِنْهَا ﴾ أي : من الجنة .

﴿ مِنْ ثَمَرَةٍ ﴾ أي ثمرة ، و( مِنْ ) صلة .

﴿ رِزْقًا ﴾ طعاماً .

﴿ قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ و( قَبْلُ ) رُفِعَ عَلَى الغاية ، قال الله تعالى : ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ [الروم: ٤٤] ، فإذا رُزِقُوا ثمرةً بعدَ أخرى ، ظنوا أنها الأولى .

﴿ وَأَتُوا بِهِءَ ﴾ أي : بالرزق .

﴿ مُتَشَبِّهًا ﴾ في الألوان ، مختلفاً في الطعوم .

﴿ وَلَهُمْ فِيهَا ﴾ أي : في الجنات .

﴿ أَزْوَاجٌ ﴾ نساء وجوارٍ من الحورِ العِينِ .

﴿ مُطَهَّرَةٌ ﴾ من الأقدار .

﴿ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ دائمون ، لا يموتون ، ولا يخرجون .

\*\*\*

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ يُضِلُّ بِهِ ۚ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ ۚ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ ۚ إِلَّا الْفٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۝ .

[٢٦] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ الحياءُ: تغيرٌ وانكسارٌ يلحقُ الشخصَ خوفاً مما يُعابُ به، واشتقاقه من الحياة؛ فإنه انكسارٌ يعتري القوى الحيوانية، ويردُّها عن أفعالها، والله سبحانه منزّه عن ذلك. وسبب نزولها: أن الله تعالى لما ضربَ المثلَ بالذبابِ والعنكبوتِ فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ [الحج: ٧٣]، وقال: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ ﴾ [العنكبوت: ٤١]، قالت اليهودُ ما أرادَ اللهُ بذكرِ هذه الأشياءِ الخسيسةِ؟ فأنزَلَ اللهُ - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ ﴾ (١) أي: لا يتركُ تركَ مَنْ يستحيي (أن يَضْرِبَ مَثَلًا) يذكرُ شَبَهًا (ما بعوضة) (ما) صلة؛ أي: مثلاً بالبعوضة، و(بعوضة) نصبٌ بدلٌ عن المثل. والبعوضُ: صغارُ البقِّ، سميت بعوضةً كأنها بعضُ البقِّ، (فَمَا فَوْقَهَا) يعني: الذباب والعنكبوت.

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ بمحمد والقرآن.

﴿ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ﴾ يعني المثل هو (٢).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/١٧٨)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/٦٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/١٠٣).

(٢) «هو»: ساقطة من «ت».

﴿ الْحَقُّ ﴾ والصدق .

﴿ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ أي :  
بهذا المثل ، ثم أجابهم فقال :

﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا ﴾ من الكفار ، لأنهم كانوا يكذبونه ، فيزدادون  
ضلالاً .

﴿ وَيَهْدِي بِهِ ﴾ أي : بهذا المثل .

﴿ كَثِيرًا ﴾ من المؤمنين ، فيصدقونه . والإضلالُ : هو الصَّرْفُ عن  
الحقِّ بالباطل .

﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ الكافرين . والفسقُ : الخروجُ عن  
أمر الله . ثم وصفهم فقال :

\*\*\*

﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ  
يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [٢٧] .

[٢٧] ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ ﴾ أي : يخالفون ويتركون . وأصلُ النقصِ الكسر .

﴿ عَهْدَ اللَّهِ ﴾ أمر الله الذي عهد إليهم يوم الميثاق بقوله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾  
قَالَوْا بَلَى ﴿ [الأعراف : ١٧٢] .

﴿ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ توكيده . والميثاقُ : العهدُ المؤكَّدُ .

﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ يعني : الإيمانُ بمحمدٍ وبجميعِ

الرسْلِ - عليهم السلام - ؛ لأنهم قالوا : ﴿ نُوْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴾  
[النساء : ١٥٠] ، وقال المؤمنون : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

## جنة السنة

﴿ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ بالمعاصي، وتعويقِ الناسِ عن الإيمانِ  
بمحمد ﷺ، والقرآن.

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ المغبونون. ثم قال لمشركي العرب على  
وجه التعجب:

\*\*\*

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ  
يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٨).

[٢٨] ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ﴾ بعدَ نصبِ الدلائل ووضوح البراهين.  
ثم ذكر الدلائل فقال:

﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا ﴾ نطفاً في أصلابِ آبائكم.

﴿ فَأَحْيَاكُمْ ﴾ في الأرحامِ والدنيا. قرأ الكسائي: (فَأَحْيَاكُمْ، أَحْيَا،  
أَحْيَاهَا، فَأَحْيَا، وَأَحْيَا) بالإمالةِ حيثُ وقع، وافقه حمزةُ في (وَأَحْيَا) حيثُ  
وقع<sup>(١)</sup>.

﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ عند انقضاءِ آجالكم.

﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ بالبعث.

﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ تُرْدُونَ في الآخرة، فيجزئكم بأعمالكم. قرأ  
يعقوب: (تُرْجَعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم حيثُ وقع إذا كان من رجوع

(١) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٠٩)،  
و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية»  
(٤٠/١).



## جنة السنة

الآخرة، وقرأ الباقون: بضم التاء وفتح الجيم<sup>(١)</sup>، ولم يختلفوا فيما كان من الرجوع إلى الدنيا؛ كقوله: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]؛ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨]، ونحو ذلك أنه بفتح أوله وكسر ثالثة.

\*\*\*

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

[٢٩] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ لكي تعتبروا وتستدلوا.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: قصد إليها؛ لأنه خلق الأرض أولاً، ثم عمد إلى خلق السماء.

﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ أي: خلقهنّ مستوياتٍ لا فطورَ فيها ولا صدع. قرأ حمزة، والكسائي وخلف: (استوى) (فسواهنّ) بالإمالة<sup>(٢)</sup>، ووقف يعقوب (فسواهنّه) بزيادة هاء السكت.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، وخلف،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣١/١)، و«تفسير القرطبي» (٢٥٠/١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١٣٢/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٠٨/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٠/١).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٠٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١٣٤/١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٠/١).

## جنة السنة

وورثش، ويعقوب: (وهو، وهي، فهو، فهي، لهو، لهي) بتحريك الهاء حيث وقع<sup>(١)</sup>، ووقف يعقوب على جميعها بزيادة هاء السكت<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٣٠)</sup>.

[٣٠] ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ أي: واذكر إذ قال ربك. و(إذ) و(إذا) حرفا توقيت، إلا (إذ) للماضي، و(إذا) للمستقبل، وقد توضع إحداهما موضع الأخرى. قرأ أبو عمرو (قَالَ رَبُّكَ) بإدغام اللام في الراء.

﴿ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ جمع ملك. قيل: مشتق من الملك، وهو الشدة والقوة، والمراد: الملائكة الذين كانوا في الأرض، وذلك أن الله خلق السماء والأرض، وخلق الملائكة والجان، وأسكن الملائكة السماء، وأسكن الجن الأرض، فعبدوا دهرًا طويلاً في الأرض، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي، فأفسدوا، واقتتلوا، فبعث الله إليهم جنوداً من الملائكة يقال لهم: الجن، وهم خزائن الجنان، اشتق لهم اسم من الجنة، رأسهم إبليس، وكان رئيسهم، ومن أشدهم وأكثرهم علماً، فهبطوا إلى الأرض، وطردهم الجن إلى شعوب الجبال وبطون الأودية وجزائر البحور، وسكنوا الأرض، وخفف الله عنهم العبادة، وأعطى الله إبليس ملك الأرض وملك سماء

(١) ووافقهم عاصم في ذلك أيضاً.

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤١/١).

## جنة السنة

الدنيا، وخزانة الجنة، وكان يعبدُ الله تارةً في الأرض، وتارةً في السماء، وتارةً في الجنة، فدخله العُجب، وقال في نفسه: ما أعطاني اللهُ هذا الملك إلا لأني أكرمُ الملائكةَ عليه، فقال اللهُ له ولجنده:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ ﴿ أَي : مُصَيِّرٌ .

﴿ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ أَي : بدلاً منكم، وأرفعُكم إليَّ، فكَرَهُوا ذلك؛ لأنهم كانوا أهونَ الملائكة عبادةً، والمرادُ بالخليفة هاهنا: - آدم عليه السلام -؛ لأنه خليفةُ الله في الحُكم بينَ عباده بالحقِّ، ومَنْ قامَ مقامه بعده من ذريته، والخليفةُ: من استُخلفَ مكانَ مَنْ كان قبله، مأخوذٌ من أنه خَلَفُ لغيره، يقومُ مقامه في الأمر الذي أُسند إليه فيه؛ كما قيل: أبو بكرٍ خليفةُ رسولِ الله ﷺ. قرأ الكسائي (خليفة) بإمالة الفاء حيثُ وقف على هاء التانيث<sup>(١)</sup>.

﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ بالمعاصي، والمراد: ذريته.

﴿ وَيَسْفِكُ ﴾ أَي : ويصبُّ.

﴿ أَلْدِمَاءَ ﴾ بغيرِ حقٍّ؛ أَي : كما فعلَ بنو الجانِّ، ففاسوا بالشاهدِ على الغائبِ، وإلَّا فَهُم ما كانوا يعلمون الغيبَ.

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ نقول: سبحانَ اللهُ وبحمده. والتسبيحُ: تبعيدُ اللهُ من السوء. قرأ أبو عمرو: (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ) بإدغامِ النونِ في النونِ.

﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ أَي : نشني عليك بالقُدوس والطهارة عما لا يليقُ بجلالك. قرأ أبو عمرو: (وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالًا) بإدغامِ الكافِ في القافِ،

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٤١).

## جنة السنة

وكذلك: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، و﴿لَكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: ١٠] حيثُ تحركَ ما قبلها، فلو سكن ما قبل الكاف، لم يدغمها نحو: ﴿فَأُولَئِكَ كَانُوا﴾<sup>(١)</sup> [الإسراء: ١٩] و﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: ٦٥]، وشبهه.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى:

﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المصلحة فيه. قرأ المدنيان، وابن كثير، وأبو عمرو (إِنِّي) بفتح الياء، والباقون بإسكانها، وأبو عمرو: (أَعْلَمُ مَا) بإدغام الميم في الميم<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

[٣١] ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ﴾ سُمِّي آدَمَ؛ لأنه خُلِقَ من أديم الأرض، وهو وجْهها، مشتقٌ من الأدمَةِ: السُّمْرَة، وكنيته: أبو البَشَر، عاش تسع مئة وثلاثين سنةً باتفاقٍ، وقبره في مغارةٍ بين بيت المقدسٍ ومسجد إبراهيم الخليل، رجلاً عند الصخرة، ورأسه عند مسجد إبراهيم، وفي ذلك خلاف كثير.

(١) وردت هذه الآية في جميع النسخ «أولئك قال»، وهو خطأ ظاهر.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٤)، و«الكشف» لمكي (١/٣٣٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديمياطي (ص: ١٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٤٢).

## جنة السنة

﴿ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا ﴾ لما خلقه الله - عز وجل - علمه أسماء الأشياء، وذلك أن الملائكة قالوا لما قال الله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ليخلق ربنا ما يشاء، فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منّا، وإن كان، فنحن أعلم منه؛ لأننا خلقنا قبله، ورأينا ما لم يره، فأظهر الله فضلَه بالعلم، وفيه دليل على أن الأنبياء أفضل من الملائكة، وإن كانوا رسلاً كما ذهب إليه أهل السنة.

﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ أي: عرض المسميات؛ لأن عرض الأسماء لا يصح، والعرض: إظهارك الشيء، وأن تمرّ به عرضاً؛ لتعرف حاله، وإنما قال: عَرَضَهُمْ، ولم يقل: عَرَضَهَا؛ لأن المسميات إذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل، يكنى عنها بلفظ من يعقل؛ كما يكنى عن الذكور والإناث بلفظ الذكور.

﴿ فَقَالَ أَنبِيُّنِي ﴾ أخبروني، أمر تعجيز.

﴿ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أني لا أخلق خلقاً إلا كنتم أفضل وأعلم منه. قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح: ﴿ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ بتحقيق الهمزتين، وأبو عمرو بإسقاط الهمزة الأولى، وتحقيق الثانية، وقرأ قالون، والبخاري: بتسهيل الأولى بين بين، مع تحقيق الثانية، وأبو جعفر ورويس: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، واختلف عن قنبل وورش، فروي عن الأول جعل الهمزة الثانية بين بين، وروي عنه إسقاط الهمزة الأولى، وهو الذي عليه الجمهور من أصحابه، وروي عن الثاني إبدال الهمزة الثانية ياءً مكسورة، وروي عنه تسهيلها بين بين<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٥٩)، و«الغيث» للصفاقي (ص: ١٠٠)، و«إملاء ما من به الرحمن» للعكبري (١/١٧)، و«التبيان» للطوسي =

## جنة السنة

﴿ قَالُوا ﴾ يعني : الملائكة إقراراً بالعجز .

﴿ سُبْحَانَكَ ﴾ تنزيهاً لك .

﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ معناه : أنك أجلُّ من أن نحيطَ بشيء من علمك .

﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ ﴾ بخلقك .

﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في أمرك . والحكيم له معنيان : أحدهما : الحاكم ، وهو القاضي العدل ، والثاني : المحكم لأمره كيلا يتطرق إليه الفساد ، وأصل الحكمة في اللغة : المنع ، وهي تمنع صاحبها من الباطل ، ومنها حكمة الدابة ؛ لأنها تمنعها من الاعوجاج . فلما ظهر عجزهم :

\*\*\*

﴿ قَالَ يَتَقَدَّمُ أُنْبِيئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٣٣) .

[٣٣] ﴿ قَالَ ﴾ الله سبحانه :

﴿ يَتَقَدَّمُ أُنْبِيئُهُمْ ﴾ أخبرهم .

﴿ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ فسَمَّى آدم كلَّ شيء باسمه ، وذكر الحكمة التي لأجلها خلق .

﴿ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ ﴾ الله :

﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ ﴾ يا ملائكتي :

= (١٤١/١) ، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١٤/١) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٣٥-١٣٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٤٣-٤٤) .

## جنة السنة

﴿ إِنِّي أَعْلَمُ ﴾ تقدم مذاهب<sup>(١)</sup> القراء في فتح الياء وإسكانها من (إني) في الحرف المتقدم قريباً.

﴿ عَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ما كان منها، وما يكون؛ لأنه قد قال لهم: ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَأَعْلَمُ مَا بُدُونِ ﴾ أي: تظهرون، يعني قولهم: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾.

﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ تسرّون، يعني قولهم: لن يخلق الله ربُّنا خلقاً أكرم عليه منا.

\*\*\*

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣٤).

[٣٤] ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ مذهب العرب أن الرئيس يخبر عن نفسه بضمير الجمع.

﴿ لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ قرأ أبو جعفر: (لِلْمَلَائِكَةِ) بضم التاء حالة الوصل إتباعاً، ورؤي عنه إشمام كسرتها الضم، والوجهان صحيحان عنه، ووجه الإشمام أنه أشار إلى الضم تنبيهاً على أن الهمزة المحذوفة التي هي همزة الوصل مضمومة حالة الابتداء، ووجه الضم أنهم استثقلوا الانتقال من الكسرة إلى الضمة إجراءً للكسرة اللازمة مجرى العارضة، وعللها أبو البقاء أنه نوى الوقف على التاء، فسكنها، ثم حرّكها بالضم إتباعاً لضمة الجيم،

(١) في «ت»: «مذهب».

## جنة السنة

وهذا من إجراء الوصل مجرى الوقف، وقد اعترض جماعة على أبي جعفر في قراءته لذلك، فردَّ ابنُ الجزريَّ اعتراضه، وانتصرَ لأبي جعفر، وصوّبَ قراءته، وقال: إنه لم ينفردُ بهذه القراءة، بل قرأ بها غيره من السلف. وقرأ الباقون: بإخلاصِ كسرة التاء<sup>(١)</sup>. وهذا الخطابُ مع جميع الملائكة على الصحيح، والأصحُّ أن السجودَ كانَ لآدمَ على الحقيقة، وتضمَّنَ معنى الطاعة لله تعالى لامثالِ أمره، وكانَ ذلكَ سجودَ تعظيمٍ وتحيّةٍ، لا سجودَ عبادةٍ، ولم يكن فيه وضعُ الوجهِ على الأرض، إنما كانَ الانحناءُ، فلما جاء الإسلامُ أبطلَ ذلكَ. والسجودُ في الأصل: تذللٌ مع تطامنٍ.

﴿ فَسَجَدُوا ﴾ يعني: الملائكة.

﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ وكان اسمه عزازيل بالسريانية، وبالعربية: الحارثُ، فلما عصى، غُيِّرَ اسمه وصورتُه، فقليل: إبليسُ؛ لأنه أبلِسَ؛ أي: يئس من رحمة الله، والأصحُّ أنه كانَ من الملائكة لا من الجنِّ، وقوله تعالى: ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ [الكهف: ٥٠]، أي: من الملائكة الذين هم خزنة الجنة.

﴿ أُنِى ﴾ امتنع فلم يسجد.

﴿ وَأَسْتَكْبَرَ ﴾ أي: تكبر عن السجود لآدم.

﴿ وَكَانَ ﴾ أي: وصار.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٦١)، و«المحتسب» لابن جني (١/٧١)، و«تفسير البغوي» (١/٣٥)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/١٨)، و«تفسير القرطبي» (١/٢٦١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٤٥-٤٦).



## جنة السنة

﴿ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ قال أكثر المفسرين: وكان في سابق علم الله من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة.

\*\*\*

﴿ وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣٥).

[٣٥] ﴿ وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ وهي جنة الخلد في السماء السابعة، وذلك أن آدم لم يكن له في الجنة مَنْ يجالسه، فنام نومةً، فخلق الله زوجته حواءَ من قصيراهُ من شقه الأيسر، وسُميت حواءَ؛ لأنها خُلقت من حَيٍّ، خلقها الله تعالى من غير أن أحسنَ بها آدمُ، ولا وجدَ لها أماً، ولو وجد لها أماً، لما عطفَ رجلٌ على امرأةٍ قَطُّ، فلما استيقظَ من نومه، رآها جالسةً عند رأسه كأحسن ما خلق الله، فقال لها: مَنْ أَنْتِ؟ فقالتُ زوجتكُ، خلقتني الله لك؛ لتسكنَ إليَّ، وأسكنَ إليك<sup>(١)</sup>.

﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا ﴾ واسعاً كثيراً.

﴿ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ كيف شئتما، ومتى شئتما، وأين شئتما. قرأ أبو عمرو: (حَيْثُ شِئْتُمَا) بإدغام الثاء في الشين، وإبدال الهمز<sup>(٢)</sup> بياء ساكنة<sup>(٣)</sup>، وافقه على الإبدال أبو جعفرٍ وورشٌ.

﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ يعني: للأكل، واختُلِفَ في الشجرة، فقيل:

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/٢٣٠).

(٢) في «ن»: «الهمزة».

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٠٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٤٦).

## جنة السنة

هي السنبلة، وقيل: العنب، وقيل: التين، وقيل: شجرة الكافور، وقيل: شجرة العلم، وفيها من كل شيء. قال ابن عطية: وإنما الصواب أن يُعتقد أن الله نهى آدم عن شجرة، فخالف هو إليها، وعصى في الأكل منها، قال: وفي حظره تعالى على آدم ما يدل على أن سكناه في الجنة لا يدوم؛ لأن المُخلد لا يُحظر عليه شيء، ولا يؤمر ولا يُنهى<sup>(١)</sup>.

﴿فَتَكُونَا﴾ أي: فتصيرا.

﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الضارِّينَ بأنفسِكما بالمعصية. وأصل الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

\*\*\*

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾<sup>(٣٦)</sup>.

[٣٦] ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ يعني: استزلَّ آدمَ وحواءَ؛ أي: دعاهما إلى الزلَّة. قرأ حمزة (فَأَزَلَّهُمَا) بألفٍ مخففاً؛ أي: نَحَّاهما عن الجنة. وقرأ الباقون: بغير ألفٍ مشدداً على المعنى الأول<sup>(٢)</sup>.

﴿الشَّيْطَانُ﴾ تقدم تفسيره في الاستعاذة.

﴿عَنْهَا﴾ أي: عن الجنة.

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/١٢٨).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٤)، و«الكشف» لمكي (١/٢٣٦)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (١/٣٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٤٧).

## جنة السنة

﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ من النعيم، وذلك أن إبليسَ أراد أن يدخل الجنة ليوسوسَ لآدمَ وحواءَ، فمَنَعَتْهُ الخزنةُ، فأتى الحيةَ، وكانت صديقاً لإبليسَ، وكانت من أحسنِ الدوابِّ، لها أربعُ قوائمَ كقوائمِ البعيرِ، وكانت من خُزَّانِ الجنةِ، فسألها إبليسُ أن تُدخِلَه في فَمِهَا، فأدخَلَتْه، فمَرَّتْ به على الخزنةِ وهم لا يعلمون، فلما دخل الجنةَ، وقفَ بينَ يَدَيِ آدَمَ وحواءَ، وهما لا يعلمان أنه إبليسُ، فبكى وناحَ نياحةَ أحزنها، وهو أولُ مَنْ ناحَ، فقالا له: ما يبكيك؟ فقال: أبكي عليكما، تموتان فتفارقان ما أتتما فيه من النعمة، فوقع ذلك في أنفسهما، واغتمَّتا، ومضى إبليسُ، ثم أتاهما فقال: ﴿ قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾؟ [طه: ١٢٠] فأبى أن يقبل منه، فقاسمَهما باللهِ إنَّه لهما لمن الناصحين، فاغترَّتا، وما ظنَّتا أن أحداً يحلفُ باللهِ كاذباً، فبادرتُ حواءُ إلى أكلِ الشجرةِ، ثم ناولتُ آدَمَ حتى أكلها، فلما أكلا منها، فُتَّتْ عنهما ثيابُهما، وبدتُ سوءاتهما، وأُخرجتا من الجنةِ<sup>(١)</sup>، فذلك قوله تعالى:

﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا ﴾ أي: انزلوا إلى الأرض، يعني: آدمَ وحواءَ وإبليسَ والحيةَ، والهبوطُ: الانحطاطُ من علُوِّ إلى سُفْلٍ، فهبطَ آدَمُ بِسَرْنَدِيْبٍ من أرضِ الهندِ على جبلٍ يقال له: نوُد، وحواءَ بجدة، وإبليسَ بأيلةَ، والحيةُ بأصفهان.

﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ أراد: العداوة التي بين ذرية آدمَ والحية، وبين المؤمنين من ذرية آدمَ وإبليس.

﴿ وَكَرِهْنَا فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا ﴾ موضعُ قرار.

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/٢٣٥).

﴿وَمَتَّعْ﴾ بُلْعَةً وَمُسْتَمْتَعٍ .

﴿إِلَّا حِينٌ﴾ آخِرِ أَعْمَارِكُمْ ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ لَهُ مَكَانٌ فِي الْأَرْضِ يَسْتَقَرُّ فِيهِ مَدَّةَ حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ .

\*\*\*

﴿فَنَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿فَنَلَقَىٰ﴾ التَّلَقَّى : هو قبولٌ عن فِطْنَةٍ وَفَهْمٌ ؛ أَي : قَبِلَ وَأَخَذَ .

﴿آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ هي ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] ، وقيل غير ذلك . قرأ أبو عمرو، ورؤيسٌ : (آدَمَ مَنْ رَبِّهِ) بِإِدْغَامِ الْمِيمِ فِي الْمِيمِ<sup>(١)</sup> ، وقرأ ابنُ كثيرٍ : بِنَصْبِ (آدَمَ) مَفْعُولًا ، وَرَفْعِ (كَلِمَاتٍ) عَلَى أَنَّهَا اسْتَقْبَلَتْهُ وَبَلَّغَتْهُ ، وَالْباقُونَ بِرَفْعِ (آدَمَ) ، وَنَصْبِ (كَلِمَاتٍ) بِكَسْرِ التَّاءِ مَفْعُولًا<sup>(٢)</sup> ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : «بَكَى آدَمُ وَحَوَاءُ عَلَى مَا فَاتَهُمَا مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ مِثَّتِي سَنَةً ، وَلَمْ يَأْكُلَا وَلَمْ يَشْرَبَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَلَمْ يَقْرُبْ آدَمُ حَوَاءَ مِئَةَ سَنَةٍ»<sup>(٣)</sup> . وَرُوي أَنَّ آدَمَ لَمَّا هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ ، مَكَثَ

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٦٤) ، و«تفسير القرطبي» (١/٣٢٤) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٤٨) .

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٤) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٣) ، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٥) ، و«الكشف» لمكي (١/٢٣٦) ، و«تفسير البغوي» (١/٣٩) ، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١١) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٤٨) .

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/٣٥-٣٦) ، ومن طريقه ابن عساكر في =

## جنة السنة

ثلاث مئة سنة لا يرفع رأسه حياءً من الله تعالى .

﴿ فَنَابَ عَلَيْهِ ﴾ فتجاوز عنه .

﴿ إِنَّهُ هُوَ الْوَابُ ﴾ المتفضل بقبول توبة عباده .

﴿ الرَّجِيمُ ﴾ بخلقه . قرأ أبو عمرو (إنه هو) بإدغام الهاء في الهاء<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

﴿ قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾<sup>(٣٨)</sup> .

[٣٨] ﴿ قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ يعني : هؤلاء الأربعة قيل : الهبوط الأول من الجنة إلى السماء الدنيا، والهبوط الثاني إلى الأرض، وكان هبوطهم وقت العصر . وبين هبوط آدم والهجرة الشريفة الإسلامية ستة آلاف سنة، ومئتان، وست عشرة سنة، وبين المؤرخين في ذلك خلافٌ .

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ أي : فإن يأتكم يا ذرية آدم، ف(إن) شرطٌ ضُمَّتْ<sup>(٢)</sup> إليها (ما) تأكيداً للفعل، وأدغمت (إن) فيها وقلما وقع فعلُ الشرط بعد إِمَّا إلا مؤكداً بـ«ما» والنون، فـ«ما» تؤكدُ أولَ الفعل، والنون تؤكدُ آخره . قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر : (يَأْتِيَنَّكُمْ) بالإبدال بغير همز، والباقون بالهمز .

﴿ مِنِّي هُدًى ﴾ رشدٌ برسولٍ أبعثه إليكم، وكتابٌ أنزله عليكم .

= «تاريخ دمشق» (٢٣/٢٦٨) .

(١) انظر : «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٦٤)، و«تفسير القرطبي» (١/٣٢٦)،

و«الغيث» للصفاسي (ص : ١٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٤٩) .

(٢) في «ت» : «ضممت» .

## جنة السنة

﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ ﴾ قرأ الدوري عن الكسائي (هُدَايَ) بالإمالة<sup>(١)</sup>.  
﴿ فَلَا خَوْفٌ ﴾ قرأ يعقوب: (فَلَا خَوْفَ) بفتح الفاء وعدم التنوين حيث  
وقع، والباقون: بالرفع والتنوين<sup>(٢)</sup>.

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ فيما يستقبلهم. وتقدم<sup>(٣)</sup> مذهب حمزة ويعقوب في ضم  
الهاء من (عليهم)، ومذهب ابن كثير وأبي جعفر وقالون في صلة ميم  
الجمع بواو في اللفظ.

﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على ما خلفوا.

\*\*\*

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ ﴾<sup>(٣٩)</sup>.

[٣٩] ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ جحدوا.

﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ القرآن.

﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ يوم القيامة.

(١) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٥)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٠٩)،  
و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية»  
(٤٩/١).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/٤٠)،  
و«الكشاف» للزمخشري (١/٣٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري  
(٢/٢١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات  
القرآنية» (٤٩/١).

(٣) عند تفسير الآية رقم (٧) من سورة الفاتحة.

## جنة السنة

﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ لا يخرجون منها، ولا يموتون فيها.

\*\*\*

﴿ يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴾ (٤٠).

[٤٠] ﴿ يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ ﴾ يا أولادَ يعقوبَ! ومعنى إسرائيل: [عبدُ الله، فإسرا: عبد، وإيل: هو الله. وقيل: هو صفوة الله. قرأ أبو جعفر: (إسرائيل)]<sup>(١)</sup> بتسهيل الهمزة حيث وقع<sup>(٢)</sup>.

﴿ أَذْكَرُوا ﴾ احفظوا، والذكرُ يكونُ بالقلب، ويكونُ باللسان.

﴿ نِعْمَتِي ﴾ أي: نعمي، لفظها واحد، ومعناها جَمْعٌ.

﴿ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: على أجدادكم وأسلافكم، وهي النعم التي خُصَّت بها بنو إسرائيل؛ من فلقِ البحرِ، وإنجائهم من فرعون، وإغراقه، وتظليل الغمام عليهم في التيه، وإنزالِ المنِّ والسَّلوى، وإنزالِ التوراة، في نعم كثيرة لا تحصى.

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ﴾ بامتثالِ أمري، وقيل: بعثِ محمدٍ والإيمانِ به.

﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ بالقبول والثواب.

﴿ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴾ أي: فخافون في نقض العهد. قرأ يعقوبُ: (فأرهَبوني) بإثباتِ الياء، والباقون: بحذفها<sup>(٣)</sup>.

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤١/١)، و«تفسير القرطبي» (٣٣١/١)، و«إتحاف

فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٠/١).

(٣) المصادر السابقة

﴿وَمَا آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ﴾ [٤١].

[٤١] ﴿وَمَا آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ يعني: القرآن.

﴿مُصَدِّقًا﴾ موافقاً.

﴿لِمَا مَعَكُمْ﴾ يعني: التوراة، في التوحيد والنبوة والأخبار، ونعت النبي ﷺ. نزلت في كعب بن الأشرف وأصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم.

﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ أي: بالقرآن، يريد: أهل الكتاب؛ لأن قريشاً كفروا قبل اليهود بمكة، معناه: ولا تكونوا أول من كفر بالقرآن، فتتابعكم اليهود على ذلك، فتبوؤوا بأثامكم وآثامهم. قرأ حمزة: (ولا تكونوا) بالمدِّ بحيث لا يبلغ الإشباع.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ أي: ولا تستبدلوا.

﴿بِآيَاتِي﴾ بالقرآن والإيمان بمحمد ﷺ.

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: عرضاً يسيراً من الدنيا، وذلك أن رؤساء اليهود وعلماءهم كانت لهم مأكلاً يُصيبيونها من سفلتهم وجُهلهم، يأخذون منهم<sup>(١)</sup> كلَّ عام شيئاً معلوماً من زرعهم وضروعهم ونقودهم، فخافوا إن هم بيّنوا صفة محمد ﷺ، وتابعوه، أن نفوتهم تلك المأكلاً، فغيروا نعتهم، وكتموا اسمه، واختاروا الدنيا على الآخرة.

﴿وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ﴾ أي: فآخشون، والوقاية لعة: حفظ الشيء مما يؤذيه،

(١) في «ت»: «من».



## جنة السنة

وشرعاً: حفظ النفس عمّا يؤثّمها. قرأ يعقوبُ: (فَاتَّقُونِي) بإثباتِ الياء كما تقدّم في قوله تعالى: (فارهبون) (١).

\*\*\*

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴾ (٤٢).

[٤٢] ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ﴾ أي: لا (٢) تخلطوا.

﴿ الْحَقَّ ﴾ الذي أنزل عليكم من صفة محمد ﷺ.

﴿ بِالْبَاطِلِ ﴾ الذي تكتبونه بأيديكم من غير تغيير صفته.

﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾ أي: لا تكتُموه يعني: محمداً ﷺ.

﴿ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴾ أنه نبيُّ مرسلٌ.

\*\*\*

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (٤٣).

[٤٣] ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ أي: أديموا الصلوات الخمس بمواقيتها

وحدودها.

﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ وأدّوا زكاة أموالكم المفروضة، مأخوذة من زكا الزرع:

إذا نما وكثر.

﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ أي: صلّوا مع المصلين محمد وأصحابه، وذكر

بلفظ الركوع؛ لأن الركوع ركنٌ من أركان الصلاة، وكذا السجود

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤١/١)، و«تفسير القرطبي» (٣٤٠/١)، و«إتحاف

فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٢/١).

(٢) «لا» سقطت من «ت».

## جنة السنة

بالانفاق، وصلاة اليهود لم يكن فيها ركوع، فكأنه قال: صَلُّوا صَلَاةَ ذَاتِ رُكُوعٍ، وَأَصِلُ الرُّكُوعَ: الانحناء.

\*\*\*

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [٤٤].

[٤٤] ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾ بالطاعة. نزلت في علماء اليهود، وذلك أن الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين إذا سأله عن أمر محمد: اثبت على دينه؛ فإن أمره حق، وقوله صدق<sup>(١)</sup>.

﴿ وَتَنْسَوْنَ ﴾ أي: وتركون.

﴿ أَنْفُسَكُمْ ﴾ فلا تتبعونه.

﴿ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ تقرأون التوراة فيها نعتة وصفته.

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أنه حق، فتتبعونه، والعقل يمنع صاحبه من الكفر

والجحود.

\*\*\*

﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [٤٥].

[٤٥] ﴿ وَأَسْتَعِينُوا ﴾ أي: اطلبوا في قضاء حوائجكم المعونة.

﴿ بِالصَّبْرِ ﴾ أراد: حبس النفس عن المعاصي.

﴿ وَالصَّلَاةِ ﴾ أي: وبالصلاة على نيل الرضوان وحرط الذنوب.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٥٨/١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١٥٦/١).

## جنة السنة

﴿ وَإِنَّهَا ﴾ ولم يقل: وإنهما ردَّ الكنايةَ إلى كلِّ واحدٍ منهما؛ أي: وإنَّ كلَّ خَصْلَةٍ منهما.

﴿ لَكَبِيرَةٌ ﴾ أي: ثقيلة.

﴿ إِلَّا عَلَى الْخَفِيعِينَ ﴾ يعني: المؤمنين المتواضعين، وأصلُ الخشوع: السكون.

\*\*\*

﴿ الَّذِينَ يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (٤٦).

[٤٦] ﴿ الَّذِينَ يُظُنُّونَ ﴾ يستيقنون، والظنُّ من الأضداد، يكونُ شكًّا و يقيناً؛ كالرجاء يكونُ أمناً وخوفاً.

﴿ أَنَّهُمْ مُلْقُوا ﴾ معانوا.

﴿ رَبِّهِمْ ﴾ في الآخرة، وهو رؤيةُ الله تعالى، ويأتي الكلام على رؤيته سبحانه في الآخرة في سورة الأنعام.

﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ فيجزئهم بأعمالهم.

\*\*\*

﴿ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٤٧).

[٤٧] ﴿ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ ﴾ أي:

ميزتكم؛ أي: اذكروا نعمتي وتفضيلي إياكم.

﴿ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ أي: عالمي زمانكم، وذلك التفضيلُ وإن كان في حقِّ الآباء، ولكن يحصل به الشرفُ للأبناء.

﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [٤٨].

[٤٨] ﴿ وَأَتَقُوا ﴾ واخشوا.

﴿ يَوْمًا ﴾ أي: عذاب يوم.

﴿ لَا تَجْزِي ﴾ أي: تقضي.

﴿ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ أي: حقاً لزمها.

﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب (تقبل) بالتاء؛ لتأنيث الشفاعة، وقرأ الباقر: بالياء<sup>(١)</sup>؛ لأن الشفيع والشفاعة بمعنى واحد؛ أي: لا تقبل منها شفاعة إذا كانت كافرة.

﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا ﴾ أي: من المشفوع لها.

﴿ عَدْلٌ ﴾ أي: فداء، سُمِّيَ به؛ لأنه مثل العدل، والعدل: المثل.

﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ يُمنعون من عذاب الله.

\*\*\*

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٧١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٦)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (١/٤٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣) و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٥٤).

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿٤٩﴾ .

[٤٩] ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ يعني: أسلافكم وأجدادكم، عَدَّهَا مِنْهُ عَلَيْهِمْ؛ لأنهم نَجَّوْا بَنَاتِهِمْ .

﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قومه وأتباعه وأهل دينه، وهو الوليدُ بْنُ مُصْعَبِ بْنِ الرِّيَّانِ، وكان من القِبْطِ من العمالقة، وكان قصيراً طويلاً اللحية، أشهل العينين، صغير العين اليسرى، أعرج، وكان شجاعاً ساحراً كاهناً كاتباً حكيماً، متصرفاً في كلِّ فنٍّ، واسمُه عند القِبْطِ ظُلْمًا، وعُمِّرَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِ مِئَةِ سَنَةٍ، وفرعونُ عَلِمَ لِمَنْ مَلِكٌ مِصْرَ .

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم .

﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشدُّه وأسوأه، وذلك أنَّ فرعونَ جعلَ بني إسرائيلَ خَدَمًا وَخَوْلًا، وَصَنَّفَهُمْ فِي الْأَعْمَالِ، فَصَنَّفَ بَيْنُونَ، وَصَنَّفَ يَحْرَثُونَ، وَصَنَّفَ يَخْدُمُونَهُ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ فِي عَمَلٍ، وَضَعَ عَلَيْهِ الْجِزْيَةَ .

﴿يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ أصل الذبح: الشقُّ، والتشديدُ للتكثير .

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يتركوهنَّ<sup>(١)</sup> أحياءً، وذلك أنَّ فرعونَ رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس، وأحاطت بمصر، وأحرقت كلَّ قبطنيِّ بها، ولم تتعرض لبني إسرائيل، فهالَهُ ذَلِكَ، وسأل الكهنة عن رؤياه، فقالوا: سيولد في بني إسرائيل غلامٌ يكون على يده هلاكك، فأمر فرعونُ بقتل كلِّ غلامٍ يولد في بني إسرائيل، ووكل بالقوايل، فكنَّ يفعلن ذلك .

(١) في جميع النسخ «يتركوهن»، والصواب ما أثبت .

## جنة السنة

قيل: إنه قتل في طلب موسى اثني عشر ألف صبي، وقيل: تسعين ألف وليد. وأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل، فدخل رؤوس القبط على فرعون، وقالوا: إن الموت وقع في بني إسرائيل، فتذبح صغارهم، ويموت كبارهم، فيوشك أن يقع العمل علينا، فأمر فرعون أن يُذبحوا سنة، ويتركوا سنة، فوُلد هارون في السنة التي لا يُذبحون فيها، ووُلد موسى في السنة التي يُذبحون فيها<sup>(١)</sup>. قرأ أبو عمرو (ويستحيون نساءكم) بإدغام النون في النون.

﴿ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ ﴾ اختبار.

﴿ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ قيل: البلاء: المحنة؛ أي: في سومهم إياكم سوء العذاب محنة عظيمة، وقيل: البلاء: النعمة؛ أي: وفي إنجائي إياكم منهم نعمة عظيمة، والبلاء يكون بمعنى النعمة، وبمعنى الشدة، والله تعالى قد يختبر على النعمة بالشكر، وعلى الشدة بالصبر.

\*\*\*

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴾

[٥٠] ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ ﴾ معناه: فرقنا البحر بدخولكم إياه، والفرق: الفصل؛ أي: اذكروا أيضاً منّي عليكم بأن جعلت لكم البحر أفراقاً؛ أي: اثني عشر فرقاً، و(بكم) للباء وجهان: أحدهما: لكم، والباء قد تجيء بمعنى اللام، قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ [الحج: ٦٢]؛

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/٢٧٢ - ٢٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/١٠٦)، عن السدي.

أي: لأن الله، والثاني: أي: بدخولكم، فتكون الباء على حقيقتها. وسُمِّي البحرُ بحرًا؛ لاستبحاره؛ أي: اتساعه وانبساطه، ومنه قيلَ للفرس: بحرٌ، إذا اتَّسعَ في جَرِيه، وذلك أنه لما دنا هلاكُ فرعونَ، أمر الله تعالى موسى أن يسريَ ببني إسرائيل من مصرَ ليلاً، فأمر موسى قومه أن يسرجوا في بيوتهم إلى الصُّبح، وأخرج الله كُلَّ ولدِ زناً في القبطِ من بني إسرائيل إليهم، وكلَّ ولدِ زناً في بني إسرائيل من القبطِ إلى القبطِ، حتى رجعَ كُلُّ إلى أبيه، وألقى الله الموتَ على القبطِ، فمات كُلُّ بِكْرٍ لهم من شابٍّ وشابهة، فاشتغلوا بدفنهم حتى أصبحوا، وخرج موسى في ستِّ مئة ألفٍ وعشرين ألفَ مقاتلٍ، لا يعدُّونَ ابنَ العشرينَ لصغره، ولا ابنَ الستينَ لكبره، وكانوا يومَ دخلوا مصرَ مع يعقوبِ اثنين وسبعين إنساناً ما بينَ رجلٍ وامرأة، فلما أرادوا السيرَ، ضُربَ عليهم التيهُ، فلم يَدْرُوا أين يذهبون، فدعا موسى مشيخةَ بني إسرائيل، وسألهم عن ذلك، فقالوا: إن يوسفَ - عليه السلام - لما حضره الموتُ، أخذ على إخوته عهداً ألا يَخْرُجوا من مصرَ حتى يُخْرِجوه معه، فلذلك استدَّ عليهم الطريقُ، فسألهم عن موضع قبره، فلم يعلموا، فقام موسى ينادي: أنشد الله كُلَّ من يعلمُ أينَ موضعُ قبرِ يوسفَ إلا أخبرني به، ومن لم<sup>(١)</sup> يعلم به، فَصُمَّتْ أذناه عن قولي، فكان يمرُّ بين رجلين ينادي، فلا يسمعان صوته حتى سمعتهُ عجوزٌ لهم، فقالت: أرأيتك إن دلتُك على قبره، أتعطيني كلَّ ما سألتُك؟ فأبى عليها وقال: حتى أستأذنَ رَبِّي، فأمره الله - عز وجل - بإيتاء سؤلها، فقالت: إني عجوزٌ كبيرةٌ لا أستطيعُ المشيَ، فاحملني وأخرجني من مصرَ، هذا في الدنيا، وأما في

(١) في «ت»: «لا».

الآخرة فأسألك ألا تنزل غرفةً من الجنة إلا نزلتها معك، قال: نعم، قالت: إنه في جوفِ الماء في النيل، فادعُ اللهَ حتى يحسَرَ عنه الماء، فدعا الله، فحسَرَ عنه الماء، ودعا الله أن يؤخر طلوعَ الفجرِ إلى أن يفرغ من أمر يوسفَ، فحفر موسى ذلك الموضعَ، واستخرجه من صندوق من مَرْمَرٍ، وحمله حتى دفنه بحبرون<sup>(١)</sup> بجوارِ قبرِ أبيه يعقوبَ، ففتح لهم الطريقَ، فساروا وموسى على ساقَتِهِمْ وهارونُ على مقدَّمَتِهِمْ، وندر بهم فرعونُ، فجمع قومه، وأمرهم ألا يخرجوا في طلبِ بني إسرائيلَ حتى يصيحَ الديكُ، فلم يصحِ الديكُ تلكَ الليلةَ، فخرج فرعونُ في طلبِ بني إسرائيلَ وعلى مقدمته هامانُ في ألفِ ألفٍ وسبعِ مئةِ ألفٍ، وكان فيهم سبعون ألفاً من دُهم الخيل، سوى سائرِ الشِّيآتِ، وكان فرعونُ يكونُ في الدُّهم، فسار بنو إسرائيلَ حتى وصلوا إلى البحر، والماء في غاية الزيادة، ونظروا فإذا هم بفرعونَ حينَ أشرقتِ الشمسُ، فبقوا متحيرين، وقالوا: يا موسى! كيف نصنعُ؟ وأين ما وعدتنا؟ هذا فرعونُ خلفنا، إن أدركنا قتلنا، والبحرُ أمامنا، إن دخلناه غرقنا، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢]، فأوحى الله تعالى إليه أن اضربْ بعصاك البحرَ، فضربه فلم يُطعْه، فأوحى الله إليه أن كنّه؛ أي: كلمه بالكنية، فضربه وقال: انفلقْ يا<sup>(٢)</sup> أبا خالدٍ بإذنِ الله ﴿ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ٦٣]، وظهر فيه اثنا عشر طريقاً، لكل سبِطٍ طريقٌ، وارتفع الماءُ بين كلِّ طريقينِ كالجبلِ، وأرسلَ اللهُ الرِّيحَ والشمسَ

(١) في «ن» «بجهرون».

(٢) «يا» سقطت من «ظ».



على قعرِ البحرِ حتَّى صارَ يَبَساً، فحاصَّتْ بنو إسرائيلَ البحرَ، كلُّ سبطٍ في طريقٍ، وعن جانبيهم الماءُ كالجبيلِ الضَّخْمِ، ولا يرى بعضهم بعضاً، فحافوا، وقال كلُّ سبطٍ قد قُتِلَ إخواننا، فأوحى اللهُ تعالى إلى جبالِ الماءِ أن يتشبَّكْنَ، فصارَ الماءُ شبكاتٍ كالطَّاقَاتِ يرى بعضهم بعضاً، ويسمعُ بعضهم كلامَ بعضٍ حتى عبروا البحرَ سالمين، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾ (١).

﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾ من آلِ فرعونَ ومن الغرقِ.

﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: فرعونَ وجيوشه، وذلك أن فرعونَ لما وصل إلى البحرِ، فرآه منفلقاً، قال لقومه: انظروا إلى البحرِ انفلقَ من هَيْبَتِي حتى أُدْرِكَ عَيْدِي الَّذِينَ أَبْقُوا، ادخلوا البحرَ، فهاب قومه أن يدخلوه، وقالوا له: إن كنتَ ربّاً، فادخلِ البحرَ كما دخلَ موسى، وكان فرعونُ على حصانٍ أَدْهَمَ، ولم يكن في خيلِ فرعونَ فرسٌ أنثى، فجاء جبريلُ في صورةِ هامانَ على أنثى وديقي؛ أي: شهيةٍ، وهي التي في فرجها بللٌ، فتقدَّمتُ وخاضَ البحرَ، فلما شمَّ أدهمُ فرعونَ ريحها، اقتحمَ البحرَ في أثرها، ولم يملك فرعونُ من أمره شيئاً، وهو لا يرى فرسَ جبريلَ، واقتحمتِ الخيولُ خلفه في البحرِ، وجاء ميكائيلُ على فرسٍ خلفَ القومِ يشحذهم ويسوقهم حتى لا يشدَّ رجلٌ منهم، ويقولُ لهم: الحقوا بأصحابكم، حتى خاضوا كلُّهم البحرَ، وخرجَ جبريلُ من البحرِ، وهمَّ أولهم بالخروجِ، أمرَ اللهُ البحرَ أن يأخذهم، فالتطمَّ عليهم، وغرَّقهم أجمعين، وكان بينَ طرفي البحرِ أربعةُ فراسخٍ، وهو بحرٌ قلزمٌ طرف من بحرِ فارس، والقلزمُ - بضم القاف

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/٢٧٧ - ٢٧٨)، عن السدي وابن زيد.

## جنة السنة

وسكون اللام وضمّ الزاي وميم -: بُلَيْدَةٌ كانت على ساحل البحر من جهة مصرَ، وبينها وبين مصرَ نحو ثلاثة أيام، وقد خَرِبَتْ، ويعرف اليوم موضعها بالشُّوَيْس تجاه عجرود، منزلٍ ينزلُ الحاجُّ المتوجِّه من مصرَ إلى مكة، وبالقربِ منها غرقَ فرعونُ، وذلك بمراى من بني إسرائيل<sup>(١)</sup>، فذلك قوله عز وجل .

﴿ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴾ إلى مصارعهم .

\*\*\*

﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾<sup>(٥١)</sup> .

[٥١] ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا ﴾ قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوبُ: (وَعَدْنَا) بقصر الألف من الوعد، والباقون: (وَأَعَدْنَا) بألف<sup>(٢)</sup>، من المواعدة .

﴿ مُوسَىٰ ﴾ اسم عبري عَرَّب، سُمِّي به لأنَّ تابوته وُجد بين الماء والشجر، والماء في لغتهم مو، والشجرُ شا، ثم قلبت الشينُ المعجمة سينا في العربية . قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلفُ (مُوسَى) بالإمالة

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٧٦/١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساکر (٧٩/٦١) .  
(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١٧٣/١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٦)، و«الكشف» لمكي (٩٣/١، ٢٤٠)، و«تفسير البغوي» (٤٩/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٥/١) .

## جنة السنة

حيث وقع<sup>(١)</sup>، وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل - عليهم السلام -، عاش موسى مئة وعشرين سنة، ومات في سابع آذار لمضي ألف وست مئة وست وعشرين سنة من الطوفان، وبين وفاته والهجرة الشريفة الإسلامية ألفان، وثلاث مئة، وثمان وأربعون سنة، وقبره شرقي بيت المقدس، بينهما مرحلة.

﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ أي: انقضاءها. قرأ الكسائي (لَيْلَةً) بإمالة اللام حيث وقف على هاء التأنيث، وقرن بالليل دون النهار؛ لأن شهور العرب وضعت على سير القمر، وذلك أن بني إسرائيل لما آمنوا من عدوهم، ودخلوا مصر، لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليها، فوعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة، فقال موسى: إني ذاهب لميقات ربي آتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون به وما تدرّون، وواعدهم أربعين ليلة: ثلاثين من ذي القعدة، وعشراً من ذي الحجة، وقيل: ذو الحجة، وعشر من المحرم، واستخلف عليهم أخاه هارون، فلما أتى الوعد، جاء جبريل - عليه السلام - على فرس يقال له: فرس الحياة، لاتصيب شيئاً إلا حيي؛ ليذهب بموسى إلى ربه، فلما رآه السامري، وكان رجلاً صائغاً من بني إسرائيل من قبيلة يقال لها: سامرة، واسمه ميخا - بكسر الميم وسكون الياء آخر الحروف، وفتح الخاء المعجمة وبعدها ألف -، وكان منافقاً، أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر، فلما رأى جبريل على تلك الفرس، ورأى موضع قدم الفرس يخضر في الحال، قال: إن لهذا شأنًا، وأخذ قبضة من تربة حافر فرس

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٥٦).

## جنة السنة

جبريل. قال عكرمة: ألقى في روعه أنه إذا ألقى في شيء، غيره، وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حلياً كثيرة من قوم فرعون؛ حين أرادوا الخروج من مصر بعلّة عرس لهم، فأهلك الله فرعون، وبقيت تلك الحليّ لهم في أيدي بني إسرائيل، فلما فصل موسى، قال السامري لبني إسرائيل: إن الحليّ التي استعرتموها من قوم فرعون غنيمة لا تحلّ لكم، فاحفروا حفرة وادفنها فيها حتى يرجع موسى، فيرى فيها رأيه، فلما اجتمعت الحليّ صاغها السامريّ عجلًا في ثلاثة أيام، ثم ألقى فيها القبضة التي أخذها من تراب فرس جبريل، فخرج عجلًا من ذهب مرصعاً بالجواهر كأحسن ما يكون، وخار خوزة، فقال السامري: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٨]، أي: فتركه هاهنا، وخرج يطلبه، وكان بنو إسرائيل قد اختلفوا الوعد، فعدوا اليوم مع الليلة يومين، فلما مضى عشرون يوماً، ولم يرجع موسى، وقعوا في الفتنة، وعبدوا العجل كلهم إلا هارون مع اثني عشر ألف رجل<sup>(١)</sup>، فذلك قوله تعالى:

﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ إلهًا.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد ذهابه إلى الطور. قرأ ابن كثير، وحفص، ورويس: (اتَّخَذْتُمْ) حيث وقع بإظهار الذال، والباقون بإدغامها.

﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ضارّون لأنفسكم بالمعصية، واضعون العبادة في غير موضعها.

\*\*\*

(١) وانظر: «تفسير الطبري» (١/٢٨٢).

﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٥٢﴾ .

[٥٢] ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا ﴾ محونا .

﴿ عَنْكُمْ ﴾ ذنوبكم .

﴿ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ من بعد عبادتكم العجل لما تبتم . قرأ أبو عمرو: ( مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ) بإدغام الدال في الذال<sup>(١)</sup> ، وشبهه حيث وقع .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ لكي تشكروا ، وشكر كل نعمة ألا يعصى الله بعد تلك النعمة<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿٥٣﴾ .

[٥٣] ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ يعني : التوراة .

﴿ وَالْفُرْقَانَ ﴾ هو التوراة أيضاً ، ذكرها باسمين ، وكرّر المعنى لاختلاف اللفظ ، ولأنه زاد في معنى التفرقة بين الحق والباطل ، ولفظة الكتاب لا تعطي ذلك .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ بالتوراة .

\*\*\*

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٧٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٧)، و«تفسير البغوي» (١/٥٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٥٦) .

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/٥٠) .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ .

[٥٤] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ الذين عبدوا العجل :

﴿يَنْقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ﴾ أي (١) : أضررتهم (٢) .

﴿أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ﴾ إلهاً، قالوا: فما نصنع؟ قال :

﴿فَتُوبُوا﴾ أي : فارجعوا .

﴿إِلَى بَارِيكُمْ﴾ خالقكم . قرأ الدوري عن الكسائي : (باريكم) بإمالة الألف في الموضعين ، واختلَفَ عن أبي عمرو في اختلاس كسرة الهمزة ، وإسكانها من (باريكم) في الحرفين ، فقرأ الدوري عنه بالاختلاس ، وقرأ السوسي بالإسكان ، وقرأ الباقر بإشباع الحركة (٣) . قالوا: كيف نتوب؟ قال :

﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يعني : ليقتل البريء منكم المجرم .

﴿ذَلِكَ﴾ أي : القتل .

(١) «أي» : سقطت من «ن» .

(٢) في «ط» : «صرتهم» .

(٣) انظر : «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٧٦) ، و«الحجة» لأبي زرعة (ص : ٩٦) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ١٥٥) ، و«الكشف» لمكي (٢٤٠) ، و«الغيث» للصفاسي (ص : ١١٤ ، ١١٦) ، و«التيسير» للداني (ص : ٧٣) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٣٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٥٧) .

## جنة السنة

﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ ﴾ فلما أمرهم موسى بالقتل، قالوا: نصبرُ لأمر الله، فجلسوا بالأفنية مُحْتَبِينَ؛ أي: مُنْتَصِبِينَ رُكْبَهُمْ، وقيل لهم: من حلَّ حبوتُهُ، أو مَدَّ طَرْفَهُ إلى قاتله، أو اتقى بيدٍ أو رجلٍ، فهو ملعونٌ مردودةٌ توبته، وأصلت القومُ عليهم الخناجرَ، فكان الرجلُ يرى ابنه وأخاه وأباه وقريبه وصديقه وجاره، فلم يمكنهم إلا المضيُّ لأمر الله، قالوا: يا موسى! كيف نفعل؟ فأرسل الله عليهم ضباباً وسحابةً سوداءً لا يبصر بعضهم بعضاً، وكانوا يقتلونهم إلى المساء، فلما كثر القتلُ، دعا موسى وهارونُ، وبكيا وتضرعا، وقالا: ياربِّ! هلكتُ بنو إسرائيلَ البقيةَ البقيةَ، فكشف الله السحابةَ، وأمرهم أن يكفُّوا عن القتل، فتكشفتُ عن ألوفٍ من القتلى، فاشتدَّ ذلك على موسى، فأوحى الله إليه: أما يرضيك أن أدخلَ القاتلَ والمقتولَ منهم الجنةَ؟ فكان من قُتل منهم شهيداً، ومن بقي منهم مُكفراً عنه ذنوبُهُ<sup>(١)</sup>، فذلك قوله تعالى:

﴿ فَنَابَ ﴾ أي: إن فعلتم ذلك فقد تاب.

﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ تجاوزَ عنكم.

﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ ﴾ القابل للتوبة.

﴿ الرَّحِيمُ ﴾ قرأ أبو عمرو: (إِنَّهُ هُوَ) بإدغام الهاء في الهاء.

\*\*\*

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظَرُونَ ﴾.

(١) وانظر: «تفسير الطبري» (١/٢٨٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/١١١).

[٥٥] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ أي: لأجل قولك .

﴿حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ وذلك أن الله - عز وجل - أمر موسى - عليه السلام - أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسى سبعين رجلاً من قومه من خيارهم، وقال لهم: صوموا، وتطهروا، وطهروا ثيابكم، ففعلوا، فخرج بهم موسى إلى طور سيناء لميقات ربه، فقالوا لموسى: اطلب لنا نسمع كلام ربنا، فقال: أفعل، فلما دنا موسى إلى طور سيناء من الجبل، وقع عليه عمود الغمام، وتغشى الجبل كله، فدخل في الغمام، وقال للقوم: ادنو، فدنا القوم حتى دخلوا في الغمام، وخرروا سُجّداً، وكان موسى إذا كلمه ربه، وقع على وجهه نورٌ ساطعٌ لا يستطيع أحدٌ من بني آدم أن ينظر إليه، فضرب دونه الحجاب، وسمعوه وهو يكلم موسى، يأمره وينهاه، وأسمعهم الله: إني أنا الله لا إله إلا أنا ذو بكة؛ أي: صاحب مكة، أخرجتكم من أرض مصر بيدٍ شديدة، فاعبدوني ولا تعبدوا غيري، فلما فرغ موسى، وانكشف الغمام، أقبل إليهم، فقالوا له: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ معانيته<sup>(١)</sup>، وذلك أن العرب تجعل العلم بالقلب رؤيةً، فقال: جهرة؛ ليُعلم أن المراد منه العيان.

﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّعِقَةَ﴾ أي: الموت، وقيل: جاءت نارٌ من السماء فأحرقتهم .

﴿وَأَنْتُمْ نُنظُرُونَ﴾ أي: ينظر بعضكم إلى بعض حين أخذكم الموت، فلما هلكوا، جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول: ماذا أقول لبني إسرائيل إذا

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/٢٥١).



## جنة السنة

أَتَيْتُهُمْ، وقد أَهَلَكْتَ خِيَارَهُمْ، ﴿لَوْ شِئْتَ أَهَلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَائِيَّ أَتَّهَلَكْنَا بِمَا فَعَلَّ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٥]، فلم يزل يناشِدُ رَبَّهُ حتى أَحْيَاهُمْ اللهُ رجلاً بعدَ رجلٍ بعدَ ما ماتوا يوماً وليلة، ينظرُ بعضهم إلى بعضٍ كيف يُحْيُونَ، وذلك قوله:

\*\*\*

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ .

[٥٦] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ﴾ أَحْيَيْنَاكَ، والبعثُ: إثارة الشيء عن محله، يقال: بعثتُ البعيرَ، وبعثتُ النائِمَ فانبعثَ.

﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ﴾ قال قتادة: أَحْيَاهُمْ لِيَسْتَوْفُوا بَقِيَةَ آجَالِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ<sup>(١)</sup>، ولو ماتوا بأجالهم، لم يبعثوا.  
﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فِعَالِي.

\*\*\*

﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَبِئَتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ .

[٥٧] ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ في التيه يقيكم حرَّ الشمسِ، والغمامُ جمعُ غمامةٍ، من الغمِّ، وأصله التَّغْطِيَةُ والسَّتْرُ، سُمِّي السحابُ غماماً؛ لأنه يغطِّي وجهَ الشمسِ، وذلك أنه لم يكن لهم في التيه كِنٌّ يسترهم، فشكوا إلى موسى - عليه السلام -، فأرسل اللهُ غماماً أبيضَ رقيقاً أطيبَ من غمام

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٩٢/١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٢/١).

## جنة السنة

المطر، وجعل لهم عموداً من نور يضيء لهم الليل إذا لم يكن قمرٌ.

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ﴾ أي: في التيه، والأكثرون على أن المنَّ هو الترنجيبين، وقيل: هو شيء يتساقط على الشجر كالصمغ، حلوا الطعم، فكان هذا المنُّ كل ليلة يقع على أشجارهم مثل الثلج، لكل إنسان منهم صاعٌ، فقالوا: يا موسى! قتلنا هذا المنُّ بحلاوته، فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم، فأنزل الله عليهم السلوى، وهو طائر يشبه السمَّان، فكان الله يُنزل عليهم المنَّ والسلوى كلَّ صباح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فيأخذ كلُّ واحدٍ منهم ما يكفيه يوماً وليلة، وإذا كان يوم الجمعة، أخذ كلُّ واحدٍ منهم ما يكفيه ليومين؛ لأنه لم يكن ينزل يوم السبت.

﴿كُلُوا﴾ أي: وقلنا لهم: كلوا.

﴿مِنْ طَيِّبَاتٍ﴾ أي: حلالات.

﴿مَارَزَقْنَاكُمْ﴾ ولا تدخروا الغد، ففعلوا، فقطع الله ذلك عنهم، ودوَّدَ وفسد ما ادخروا، فقال الله تعالى:

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ وما بحسوا حقنا.

﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ باستيحابهم عذابي، وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة في الدنيا، ولا حساب في العقبى.

\*\*\*

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا  
أَبْوَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ وَسَنَزِيدُ  
الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لهم لما رجعوا من التيه:

﴿أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ سميت القرية قرية؛ لأنها تجمع أهلها، ومنه: المِقْرَاءُ لِلْحَوْضِ؛ لأنها تجمع الماء، والقرية: بيت المقدس، وقيل غيره.

﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ موسعاً عليكم. قرأ أبو عمرو (حَيْثُ شِئْتُمْ) بإدغام الثاء في الشين، وقرأ أيضاً هو وأبو جعفر وورش: (شِئْتُمْ) بياء ساكنة بغير همز.

﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ﴾ يعني: باباً من أبواب القرية، وكان لها سبعة أبواب، وقيل: باب المسجد.

﴿سُجِّدًا﴾ أي: رُكَّعاً خُضِعاً مُنْحَنِينَ.

﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي: حُطَّ عَنَا خَطَايَانَا، أمروا بالاستغفار.

﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ من الغفر، وهو السَّتْرُ، فالمغفرة تستر الذنوب. قرأ نافع، وأبو جعفر: (يُغْفَرُ) بالياء آخر الحروف مضمومة، وابن عامر: (تُغْفَرُ) بتاء مضمومة، واتفقوا على فتح الفاء، والباقون: بنون مفتوحة وكسر الفاء<sup>(١)</sup>، وروى عن أبي عمرو إدغامُ الراء في اللام من (نَغْفِرْ لَكُمْ)<sup>(٢)</sup>، وروى عنه إظهارها، والوجهان عنه صحيحان، وقرأ الكسائي:

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٨٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٦)، و«الكشف» لمكي (٢٤٢)، و«تفسير البغوي» (١/٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢١٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٥٩).

(٢) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٠)، و«الكشف» لمكي (١/٢٤٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: =

## جنة السنة

(خَطَايَاكُمْ، وَخَطَايَانَا) بِإِمَالَةٍ فَتَحَةَ الْيَاءِ حَيْثُ وَقَعَ (١).

﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ثَوَاباً مِنْ فَضْلِنَا.

\*\*\*

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٥٩).

[٥٩] ﴿فَبَدَّلَ﴾ فَغَيَّرَ.

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أَنْفُسَهُمْ وَقَالُوا:

﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِمُ، وَقَالُوا بَلَغْتُهُمْ حِطَاءً سَمِقَاتًا اسْتَهْزَاءً؛ أَي: حَنْطَةً حَمْرَاءَ، وَرَوَى أَنَّهُمْ قَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ. قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: (قَوْلًا غَيْرَ) بِإِخْفَاءِ التَّنْوِينِ عِنْدَ الْغَيْنِ، وَأَبُو عَمْرٍو (قِيلَ لَهُمْ) بِإِدْغَامِ اللَّامِ فِي اللَّامِ (٢)، وَتَقَدَّمَ (٣) ضَمُّ الْهَاءِ وَصَلَةُ الْمِيمِ مِنْ عَلَيْنَهُمْ وَإِلَيْهِمْ) وَنَحْوَهُمَا.

﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا﴾ أَي: عَذَابًا.

﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ قِيلَ: أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَاعُونًا، فَهَلَكَ مِنْهُمْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ سَبْعُونَ أَلْفًا.

= (١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٦٠).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٦)، و«تفسير الرازي» (١/٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٦٠).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٦١).

(٣) عند تفسير الآية (٧) من سورة الفاتحة.

﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ يعصون ويخرجون من أمر الله تعالى .

\*\*\*

﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

[٦٠] ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ ﴾ طلب السُّقْيَا .

﴿ لِقَوْمِهِ ﴾ وذلك أنهم عطشوا في التيه، فسألوا موسى أن يستسقي لهم، ففعل، فأوحى الله إليه كما قال :

﴿ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾ وكانت العصا من آس الجنة، طولها عشرة أذرع على طول موسى، ولها شُعْبَتَانِ تَتَّقِدَانِ فِي الظلمة نوراً، واسمها عُثْيُوقٌ، حملها آدم من الجنة، فتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى شعيب، فأعطاه موسى. وأما الحجر، فقال ابن عباس: كان حجراً خفيفاً مرتباً على قدر رأس الرجل، كان يضعه في مخلاته، فإذا احتاجوا إلى الماء، وضعه وضربه بعصاته، فإذا فرغوا، وأراد موسى حملهُ، ضربه بعصاته، فيذهب الماء، وكان يسقي كلَّ يومٍ ستَّ مئةٍ ألفٍ . وقال سعيد بن جبير: هو الحجر الذي وضع موسى ثوبه عليه ليغتسل، ففرَّ بثوبه، ومرَّ به على ملا من بني إسرائيل حين رموه بالأذرة، فلما وقف، أتاه جبريلُ فقال: إن الله تعالى يقول لك: ارفعْ هَذَا الحجرَ؛ فَإِنَّ لِي فِيهِ قَدْرَةٌ، ولك فيه معجزةٌ، فرفعهُ ووضعهُ فِي مِخْلَاتِهِ<sup>(١)</sup> .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/٧٧) .

## جنة السنة

﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ﴾ أي: سالت.

﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ على عدد الأسباط.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ﴾ لا يدخل سبطٌ على غيره في شربه.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي: وقلنا لهم: كلوا من المنِّ والسلوى، واشربوا

من الماء، فهذا كله:

﴿مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ الذي يأتيكم بلا مشقة.

﴿وَلَا تَعْتَوِفِ الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ والعنبي<sup>(١)</sup>: أشدُّ الفساد.

\*\*\*

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا  
تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَائِبِهَا وَقُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ  
أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَمْ لَكُمْ مِمَّا مَصْرُوفًا لَكُمْ  
مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَانَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ  
بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا  
عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [٦١].

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ وذلك أنهم كرهوا  
وسئموا من أكل المنِّ والسلوى، وإنما قال: طعام واحد، وهما اثنان؛ لأن  
العرب تُعَبِّرُ عن الاثنين بلفظ الواحد، كما تُعَبِّرُ عن الواحد بلفظ الاثنين؛  
كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنما يخرج من المالح  
دون العذب.

(١) في «ت» و«ط»: «العيث»، وجاء على هامش «ظ»: «وصوابه: العثي».

﴿ فَادْعُ لَنَا ﴾ فاسأل لأجلنا .

﴿ رَبِّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقَتَائِبِهَا وَقُومِهَا ﴾ والفوم :

الخبز ، أو الحنطة ، وقيل : الثوم .

﴿ وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا قَالَ ﴾ لهم موسى :

﴿ اَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ ﴿ أَحْسَنُ وَارْدًا .

﴿ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ أشرف وأفضل ، وجعل الحنطة أدنى في القيمة ،

وإن كان هو خيراً من المن والسلوى ، وأراد به أسهل وجوداً على العادة .

﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ يعني : وإن أبيتم إلا ذلك ، فانزلوا مصرأ من

الأمصار .

﴿ فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمُ ﴾ من نبات الأرض .

﴿ وَضُرِبَتْ ﴾ جُعِلَتْ .

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ وألزموا .

﴿ الدَّلَّةُ ﴾ الدُّلُّ والهوان بالجزية ، وهو ضدُّ العزِّ .

﴿ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ الفقر ، سُمِّيَ الفقيرُ مسكيناً ؛ لأنَّ الفقرَ أسكنه وأفعدَه عن

الحركة ، فترى اليهود - وإن كانوا أغنياء - كأنَّهم فقراء ، فلا يُرى في أهل المالِ

أذلُّ وأحرصُ على المالِ من اليهود . قرأ حمزة ، والكسائيُّ ، وخلفٌ : (عَلَيْهِمْ

الدَّلَّةُ) و﴿ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة: ١٦٦] وشبهه : بضم الهاء والميم في الوصل

حيث وقع ، ووافقهم يعقوبُ في (عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ) وشبهه ، ونافعٌ ، وابنُ عامرٍ ،

وأبو جعفرٍ ، وابنُ كثيرٍ ، وعاصمٌ يكسرون الهاء ، ويضمون الميم ، وأبو عمرو

## جنة السنة

يكسرهما، ووافقه يعقوبُ في ﴿بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] وشبهه<sup>(١)</sup>.

﴿وَبَاءُ﴾ رجعوا.

﴿يَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ﴾ ولا يقال: باء إلا إذا رجع بشر.

﴿ذَلِكَ﴾ الغضب.

﴿يَأْتَهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بصفة محمد ﷺ، وآية الرجم في

التوراة، ويكفرون بالإنجيل والقرآن.

﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيْنَ﴾ كشعيا وزكريا ويحيى. قرأ نافع (النَّبِيِّنَ،

وَالنَّبِيِّوْنَ، وَنَبِيِّهُمْ، وَالْأَنْبِيَاءَ، وَالتَّبَوَّةَ، وَالنَّبِيَّ) بالمدِّ والهمز حيث

وقع، فيكون معناه المخبر من أنبا ينيء؛ لأنه إنباء عن الله، وخالفه قالونُ

في حرفين في الأحزاب يأتي ذكرهما في محلّهما - إن شاء الله تعالى - . وقرأ

الباقون: بترك الهمز<sup>(٢)</sup>، وله وجهان: أحدهما: هو أيضاً من الإنبياء، تركت

الهمزة فيه تخفيفاً؛ لكثرة الاستعمال، والثاني: هو بمعنى الرفع، مأخوذٌ

من النبوة، وهو المكان المرتفع.

﴿يَغَيِّرِ الْحَقَّ﴾ أي: بلا جرم.

﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون أمري، ويرتكبون محارمي.

(١) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١١٧)،

و«التيسير» للداني (ص: ١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص:

١٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٦٤-٦٥، ١٣٣).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٧)،

و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٠-٨١)، و«الكشف» لمكي (١/٢٤٤)،

و«الغيث» للصفاسي (ص: ١١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«إتحاف

فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٦٥).



﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰدِقَاتِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا  
هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ .

[٦٢] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ على الحقيقة .

﴿ وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾ يعني : اليهود، سموا به<sup>(١)</sup> لقولهم : ﴿ إِنَّا هَدَانَا إِلَيْكَ ﴾  
[الأعراف : ١٥٦] ؛ أي : ملنا إليك، وقيل<sup>(٢)</sup> : لأنهم هادوا؛ أي : تابوا عن  
عبادة العجل، وقال أبو عمرو بن العلاء : لأنهم يتهودون ؛ أي : يتحركون  
عند قراءة التوراة، ويقولون : إنَّ السموات والأرض تحركت حين أتى الله  
موسى التوراة .

﴿ وَالصَّٰدِقِينَ ﴾ سُمُّوا به ؛ لقولهم : ﴿ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ [الصف : ١٤]، وقيل :  
لأنهم نزلوا قرية، وقالوا لها : ناصرة، وقيل : لاعترائهم إلى نصرّة، وهي  
قرية كان ينزلها عيسى - عليه السلام -<sup>(٣)</sup> .

﴿ وَالصَّٰدِقَاتِ ﴾ جمع صابىء، أصله الخروج، يقال : صبأ فلان : إذا  
خرج من دين إلى دين آخر، وهم قوم عدلوا عن اليهودية والنصرانية،  
وعبدوا الملائكة، ويستقبلون القبلة، ويوحّدون الله، ويقرؤون الزبور . قرأ  
أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف (والنصارى) حيث وقع بالإمالة،  
والباقون بالفتح، فمن قرأ بالإمالة رقق الراء، ومن قرأ بالفتح، فحّمها<sup>(٤)</sup>،

(١) في «ت» : «بهم» .

(٢) «وقيل» سقطت من «ت» .

(٣) انظر : «تفسير البغوي» (٧٩/١) .

(٤) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ١٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

## جنة السنة

وقرأ أبو جعفر، ونافع: (الصَّابِينَ وَالصَّابُونَ) بغير همز، والباقون بالهمز<sup>(١)</sup>.

﴿مَنْ﴾ شرطٌ محلُّه رفع مبتدأ، خبره:

﴿ءَامَنَ﴾ أي: من الكفار.

﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ بالقلب واللسان.

﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ وجواب الشرط.

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ الذي يستوجبونه امتناناً.

﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة. تلخيصه: من

أخلص إيمانه، وأصلح عمله، دخل الجنة.

\*\*\*

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ  
وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٦٣)</sup>.

[٦٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ أي: عهدكم يا معشر اليهود.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ وهو الجبل بالسريانية، رفع الله فوق رؤوسهم

الطور، وذلك أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى، فأمر موسى قومه أن

= (ص: ١٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٦٥).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٧)،

و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١١٨)،

و«الكشف» لمكي (١/٢٤٥)، و«تفسير البغوي» (١/٥٧)، و«التيسير» للداني

(ص: ٧٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٨)، و«معجم

القراءات القرآنية» (١/٦٦).

## جنة السنة

يَقْبَلُوهَا وَيَعْمَلُوهَا بِأَحْكَامِهَا، فَأَبَوْا؛ لَمَا فِيهَا مِنَ الْآصَارِ وَالْأَثْقَالِ، وَكَانَتْ شَرِيعَةً ثَقِيلَةً، فَأَمَرَ اللَّهُ جَبْرِيْلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَلَعَ جِبَالًا عَلَى قَدْرِ عَسْكَرِهِمْ، وَكَانَ فَرَسَخًا فِي فَرَسَخٍ، فَرَفَعَهُ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ مَقْدَارَ قَامَةِ الرَّجُلِ كَالظُّلَّةِ؛ أَي: كَالسَّحَابَةِ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنْ لَمْ تَقْبَلُوا التَّوْرَةَ، أَرْسَلْتُ هَذَا الْجَبَلَ عَلَيْكُمْ، وَبَعَثَ نَارًا مِنْ قِبَلِ وُجُوهِهِمْ، وَأَتَاهُمُ الْبَحْرُ الْمَالِحُ مِنْ خَلْفِهِمْ.

﴿ حُدُّوْا ﴾ أَي: وَقَلْنَا لَهُمْ: ﴿ حُدُّوْا ﴾ .

﴿ مَاءَ آتَيْنَاكُمْ ﴾ أَعْطَيْنَاكُمْ .

﴿ بِقُوِّ ﴾ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ وَمَوَاطِبَةٍ .

﴿ وَادَّكُرُوا ﴾ وَاعْلَمُوا وَادْرَسُوا .

﴿ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ لَكِي تَنْجُو مِنْ الْهَلَاكِ فِي الدُّنْيَا، وَالْعَذَابِ فِي الْعَقْبَى، فَإِنْ قَبِلْتُمْ، وَإِلَّا رَضَخْتُمْ بِهَذَا الْجَبَلِ، وَغَرَقْتُمْ فِي الْبَحْرِ، وَأَحْرَقْتُمْ بِهَذِهِ النَّارِ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنْ لَا مَهْرَبَ لَهُمْ مِنْهَا، قَبَلُوا، وَسَجَدُوا، وَجَعَلُوا يِلْحَظُونَ الْجَبَلَ وَهُمْ سَاجِدُونَ، فَصَارَتْ سُنَّةً فِي الْيَهُودِ، لَا يَسْجُدُونَ إِلَّا عَلَى أَنْصَافِ وُجُوهِهِمْ، وَيَقُولُونَ: بِهَذَا السَّجُودِ رُفِعَ الْعَذَابُ عَنَّا<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

[٦٤] ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أَي: أَعْرَضْتُمْ .

﴿ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ أَي: مِنْ بَعْدِ مَا قَبِلْتُمْ التَّوْرَةَ .

(١) «عنا» سقطت من «ن» .

## جنة السنة

﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ بالإمهال وتأخير العذاب عنكم .

﴿ لَكُنْتُمْ ﴾ أي : لصرتم .

﴿ مِنَ الْخَيْرِينَ ﴾ أي : المغبونين بالعقوبة ، وذهاب الدنيا والآخرة ، كأنه رحمهم بالإمهال .

\*\*\*

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (٦٥) .

[٦٥] ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ أي : جاوزوا الحدَّ ، وأصلُ السَّبْتِ : القطع ، وسمي بذلك يوم السبت ، لأن الله تعالى قطع فيه الخلق ، وقيل : لقطع أشغالهم فيه ، وتعظيمه بترك العادات ، والإتيان بالعبادات .

واختلف هل للقاضي أن يحضر اليهودي<sup>(١)</sup> إلى مجلس الحكم في يوم السبت لسماع دعوى خصمه ، وإلزامه بما يثبت عليه؟ فمذهب الشافعي : يُحْضَرُ يَوْمَ السَّبْتِ ، ويُكسر سبته عليه ، وهو ظاهرُ عبارة الحنفية في كتبهم ؛ لإطلاقهم أن القاضي يحكم بين أهل الذمّة إذا ترفعوا إليه بحكم الإسلام .

واختلف في مذهب مالك في كراهة طلبه ، فقيل : يُكْرَهُ طَلْبُهُ وَتَمَكِينُ خَصْمِهِ مِنْ ذَلِكَ ، وقيل : يجوز من غير كراهة ، واختار البساطي من علماء المالكية أنه يُمنع المسلم من طلبه ، إلا أن تقوم القرائن أن المسلم اضطرَّ إلى ذلك ، ولم يقصد ضرراً .

(١) في «ت» : «اليهود» .

## جنة السنة

وعند أحمد: ليس للقاضي إحضاره يوم السبت؛ لبقاء تحريمه عليه، وروى أحمد عن النبي ﷺ حديثاً منه. «وَأَنْتُمْ يَهُودٌ عَلَيْكُمْ خَاصَّةٌ أَلَّا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ»<sup>(١)</sup>، ولهذا لا يُكره امرأته على إفساده، مع تأكّد حقّه.

والقصة في السبت أنهم كانوا في زمان داود - عليه السلام - بأرض يُقال لها: أيلة، حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، فكانوا إذا دخل عليهم السبت، لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك، حتى يُخرجن خراطيمهنّ من الماء؛ لأمنها، حتى لا يرى الماء من كثرتها، فإذا مضى السبت، تفرّقن، ولزمن مقل البحر، فلا يرى شيء منها، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيَتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> [الأعراف: ١٦٣]، ثم إن الشيطان وسوس إليهم، وقال: إنما نُهيئتم عن أخذها يوم السبت، فعمد رجالٌ فحفروا الحياض حول البحر، وشرعوا منه إليها الأنهار، فإذا كانت عشية الجمعة، فتحو تلك الأنهار، فأقبل الموج بالحياتان إلى الحياض يوم السبت، فلا يقدرن على الخروج، لبعدها عميقها، وقلة مائها، فإذا كان يوم الأحد، أخذوها، ففعلوا ذلك زماناً، ولم تنزل عليهم عقوبة، فتجرؤوا على الذنب، وقالوا: ما نرى السبت إلا قد حلّ لنا، فأخذوا وأكلوا، وملّحوا وباعوا، وأثروا، وكثُر مالهم، فلما فعلوا ذلك، صار أهل القرية - وكانوا نحواً من سبعين ألفاً - ثلاثة أصناف: صنف أمسك

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٩/٤)، والنسائي (٤٠٧٨)، كتاب: تحريم الدم، باب: السحر، والترمذي (٣١٤٤)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة بني إسرائيل، وقال: حسن صحيح، وغيرهم، عن صفوان بن عسال - رضي الله عنه -.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٣٢/١)، عن السدي.

## جنة السنة

ونهى، وصنفُ أمسكٌ ولم يَنه، وصنفُ انتهكُ الحرمة، فلما أبى المجرمون قَبُولَ نُصْحِهِمْ، قالوا: والله لا نُسَاكِنُكُمْ في قرية واحدة، فقسموا القرية بجدار، واستمروا كذلك سنين، فلعنهُم داوُد، وغضبَ اللهُ عليهم؛ لإصرارهم على المعصية، فخرج الناهون ذات يوم من بابهم، ولم يخرج من المجرمين أحدٌ، ولم يفتحوا بابهم، فلما أبطؤوا، تَسَوَّرُوا عليهم الحائط، فإذا هم جميعاً قِرْدَةً لها أذنانٌ يَتَعَاوَنُ، فمكثوا ثلاثة أيام، ثم هلكوا، ولم يتوالدوا<sup>(١)</sup>، قال الله تعالى:

﴿ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا ﴾ أمرٌ تحويل وتكوين؛ أي: صيروا.

﴿ قِرْدَةً خَاسِئِينَ ﴾ مبعدين مطرودين، والخساء: الطرد والإبعاد. قرأ الكسائي (قِرْدَةً) بإمالة الدال حيث وقف على هاء التأنيث.

\*\*\*

﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٦٦).

[٦٦] ﴿ فَجَعَلْنَاهَا ﴾ أي: عقوبتهم بالمسخ.

﴿ نَكَالًا ﴾ أي: عقوبةٌ وعبرة<sup>(٢)</sup>، والنكال: اسمٌ لكلِّ عقوبةٍ يَنكُلُ الناظرُ من فعل ما جعلت العقوبةُ جزاءً عليه، ومنهُ النكولُ عن اليمين، وهو الامتناعُ، وأصله من النكل، وهو القيدُ، وجمعه أنكال.

﴿ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ أي: جعلنا تلك العقوبةَ جزاءً لما تقدّم من ذنوبهم قبل نهيمهم عن أخذ الصيد.

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣٣٢/١).

(٢) «وعبرة» سقطت من «ت».

## جنة السنة

﴿وَمَا خَلَفَهَا﴾ وما حضرت من الذنوب التي أخذوا بها، وهي العصيان بأخذ الحيتان.

﴿وَمَوْعِظَةً﴾ أي: تذكرة.

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ للمؤمنين من أمة محمد ﷺ، فلا يفعلون مثل فعلهم.

ويأتي ذكرُ آيلة ومحلّها في سورة الأعراف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ [الأعراف: ١٦٣] إن شاء الله تعالى.

واختلف الأئمة في جواز الحيلة، وهو فعل ما ظاهره مباح ويتوصل به إلى محرّم، فسَدَّ الذرائع مالكٌ وأحمدٌ، ومنعاً منه، وأباحه أبو حنيفة والشافعي.

والحيلة: اسمٌ من الاحتيال، وهي التي تحوّل المرء عمّا يكره إلى ما يُحبُّ.

\*\*\*

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

[٦٧] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وورش: (يَأْمُرُكُمْ) بغير همز، والباقون بالهمز، واختلف عن أبي عمرو في اختلاس ضمّة الراء وإسكانها من (يَأْمُرُكُمْ، وَيَأْمُرُهُمْ، وَيَنْصُرُكُمْ، وَيُشْعِرُكُمْ) حيث وقع ذلك، فقرأ الدوري عنه بالاختلاس، وقرأ السوسي بالإسكان، وقرأ الباقر بإشباع

## جنة السنة

الحركة<sup>(١)</sup>، والهاء في (بقرة) ليست للتأنيث، وإنما هي لتدلّ على أنها واحدة من جنس؛ كالبطة، والدجاجة، ونحوهما، وهي مأخوذة من البقر، وهو الشق، سميت به؛ لأنها تشقُّ الأرض للحراثة.

والقصة فيه أنه كان في بني إسرائيل رجلٌ غني، وله ابنٌ عمٌّ فقيرٌ لا وارث له سواه، فلما طال عليه موته قتله ليرثه، وحمله إلى قريةٍ أخرى، فألقاه بفنائهم، ثم أصبح يطلبُ ثأره، وجاء بناسٍ إلى موسى يدّعي عليهم القتل، فسألهم موسى، فجحدوا، فاشتبه أمرُ القتل على موسى، وذلك قبل نزول القسامة في التوراة، فسألوا موسى أن يدعو الله؛ ليبين لهم بدعائه، فدعا موسى - عليه السلام - فأمرهم بذبح بقرة، فقال لهم موسى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾.

﴿قَالُوا أَنْتَحِدْنَا هُزُؤًا﴾ أي: تستهزئ بنا، نحن نسألك عن أمر القتل، وتأمّرنا بذبح البقرة، وإنما قالوا ذلك؛ لبعدهما بين الأمرين في الظاهر، ولم يدروا ما الحكمة فيه. قرأ حمزة، وخلف: (هُزُؤًا) بجزم الزاي، وقرأ الباقون بضم الزاي، وحفصٌ بإبدال الهمزة واو<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٨٤)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١١٨)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/٢٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/٢٤٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٦٧-٦٨).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٨٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٧-١٥٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨١-٨٢)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١١٨)، و«الكشف» لمكي (١/٢٤٧)، و«تفسير البغوي» (١/٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، =



﴿ قَالَ ﴾ موسى :

﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ ﴾ أمتنع بالله .

﴿ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ المستهزئين ؛ لأن الهزء من أفعال الجاهلين ، فلما علم القوم أن ذبح البقرة عزم من الله - عز وجل - استوصفوه ، ولو أنهم عمدوا إلى أذنى بقرة فذبحوها ، لأجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا ، فشدد الله عليهم ، وكانت تحته حكمة ، وذلك أنه كان في بني إسرائيل رجلٌ صالحٌ له ابنٌ طفلٌ ، وله عجلةٌ أتى بها إلى غيضة ، وقال : اللهم أستودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ، ومات الرجل ، وصارت العجلة في الغيضة عواناً ، وكانت تهرب من كل من رآها ، فلما كبر الابن كان باراً بوالدته ، وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث ، يصلي ثلثاً ، وينام ثلثاً ، ويجلس عند رأس أمه ثلثاً ، فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره ، فيأتي به إلى السوق ، فيبيعه بما شاء الله ، ثم يتصدق بثلثه ، ويأكل بثلثه ، ويعطي لوالدته ثلثه ، فقالت له أمه يوماً : إن أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا ، فانطلق فادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحق أن يردها عليك ، وعلامتها أنك إذا نظرت إليها ، يخيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها ، وكانت البقرة تسمى المذبة ؛ لحسنها وصفرتها ، فأتى الفتى الغيضة ، فرآها ترعى ، فصاح بها ، وقال : أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ، فأقبلت تسعى حتى وقفت بين يديه ، فقبض على عنقها يقودها ، فتكلمت البقرة بإذن الله تعالى ، فقالت : أيها الفتى البار بوالدته ! اركبني ؛ فإن ذلك أهون عليك ، فقال

= «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٦٨) .

الفتى: إن أمي لم تأمرني بذلك، ولكن قالت: خُذْ بعنقها، فقالت البقرة: وإله بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر عليّ أبداً، فانطلق؛ فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك، لفاعل؛ برك بأمك، فسار الفتى بها إلى أمه، فقالت له: إنك فقير، ولا مال لك، ويشقُّ عليك الاحتطابُ بالنهار والقيام بالليل، فانطلق فبع هذه البقرة، قال<sup>(١)</sup>: بكم أبيعها؟ قالت بثلاثة دنانير، ولا تبع بغير مشورتني، وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير، فانطلق بها إلى السوق، فبعث الله ملكاً ليرى خلقه قدرته، وليختبر الفتى كيف برّه بوالدته، وكان الله به خبيراً، فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقرة؟ قال: بثلاثة دنانير، وأشترط عليك رضا والدتي، فقال الملك له: ستة دنانير ولا تستأمر والدتك، فقال الفتى: لو أعطيتني وزنها ذهباً، لم آخذه إلا برضا أمي، فردّها إلى أمه، فأخبرها بالثمن، فقالت: ارجع فبعها بستة دنانير على رضا مني، فانطلق بها الفتى إلى السوق، فأتى الملك فقال: استأمرت أمك؟ فقال الفتى: إنها أمرتني ألا أنقصها من ستة دنانير، على أن أستأمرها، فقال الملك: فإني<sup>(٢)</sup> أعطيك اثني عشر ديناراً على ألا تستأمرها، فأبى الفتى، ورجع إلى أمه، فأخبرها بذلك، فقالت: إن الذي يأتيك ملكٌ يأتك في صورة آدمي ليجربك، فإذا أتاك، فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ ففعل، فقال له الملك: اذهب إلى أمك، وقل لها: أمسكي هذه البقرة؛ فإن موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يقتل في بني إسرائيل، فلا تبعوها إلا بملء مسكها دنانير، فأمسكوها، وقدّر الله على

(١) في «ت»: «فقال».

(٢) في «ت»: «إني».

## جنة السنة

بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها، فما زالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة له على برِّه بوالدته، فضلاً منه ورحمة<sup>(١)</sup>، فذلك قوله تعالى:

\*\*\*

﴿ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا  
بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تُوْمَرُونَ ﴾ ﴿٦٨﴾ .

[٦٨] ﴿ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾ أي: ما شئتها؟ فسأل الله تعالى.

﴿ قَالَ ﴾ موسى .

﴿ إِنَّهُ ﴾ يعني: إن الله .

﴿ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾ أي: لا كبيرة ولا صغيرة، والفارضُ: المُسنَّة التي لا تلد، والبكرُ: الفتاة الصغيرة التي لم تلد قط، وحذفت الهاءُ منهما للاختصاص بالإناث؛ كالحائض .

﴿ عَوَانٌ ﴾ نصفٌ .

﴿ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ أي: بين الشئتين، يقال: عَوَّنتِ المرأةُ تَعْوِينًا: إذا زادت على الثلاثين .

﴿ فَأَفْعَلُوا مَا تُوْمَرُونَ ﴾ من ذبح البقرة، ولا تكررُوا السؤال . قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وورش: (تُوْمَرُونَ) بسكون الواو بغير همز، والباقون بالهمزة<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/٨٢ - ٨٣) .

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٦٩) .

﴿ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ  
صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴾ [٦٩].

[٦٩] ﴿ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ  
صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ﴾ أي: خالصُ الصُّفرة، يقال: أصفرُ فاقعٌ، وأسودُ  
حالِكٌ، وأحمرُ قانٍ، وأخضرُ ناضِرٌ، وأبيضُ ناصعٌ؛ للمبالغة.  
﴿ تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴾ إليها، ويُعجبهم حسنُها وصفاءُ لونها.

\*\*\*

﴿ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ  
لَمُهتدون ﴾ [٧٠].

[٧٠] ﴿ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾ أسائمةٌ أم عاملة؟  
﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا ﴾ ولم يقل: تشابهت؛ لتذكير لفظِ البقر؛ أي:  
التبسَ واشتبه أمرُه علينا، فلا نهتدي إليه.

﴿ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهتدون ﴾ إلى وصفها، قال رسول الله ﷺ:  
«وَأَيْمُ اللَّهِ! لَوْ لَمْ يَسْتَشْنُوا، لَمَا بَيَّنَّتْ لَهُمْ إِلَى آخِرِ الْأَبَدِ»<sup>(١)</sup>. قرأ حمزة،  
وخلف، وابنُ ذكوان: (إِنْ شَاءَ اللَّهُ) بالإمالة<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا  
شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ حِثَّتْ بِالْحَقِّ فذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [٧١].

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣٤٧/١)، عن ابن جريج معضلاً.  
(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧١/١).

[٧١] ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ ﴾ مدللة بالعمل، يقال: رجلٌ ذليلٌ  
بينُ الذَّلِّ، ودابةٌ ذَلُولٌ: بينةُ الذَّلِّ.  
﴿ تُثِيرُ الْأَرْضَ ﴾ تقلبها للزراعة.

﴿ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ ﴾ بالسَّانِيَةِ أو غيرها من الآلات، والحَرْثُ: ما حُرِّثَ  
وَزُرِعَ؛ أي: تحرثٌ ولا تَسْقِي، وقيل: معناه: لم تُدَلَّلْ للكرابِ وإثارةِ  
الأرضِ، ولا هي من النواضح التي يُسْنَى عليها لسقي الحَرْثِ، و(لا)  
الأولى للنفي، والثانية مزيدةٌ لتأكيد الأولى، والفعالانِ صفتانِ للذلول، كأنه  
قيل: لا ذلولٌ مثيرةٌ وساقيةٌ.

﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ بَرِيَّةٌ من العيوب.

﴿ لَا شِيَةَ فِيهَا ﴾ لا لمعةٌ فيها تخالفُ لونها. قرأ حمزةٌ: (لا شِيَةَ) بالمدِّ  
بحيثُ لا يبلغُ الإشباع<sup>(١)</sup>، والكسائيُّ يُميل الياءَ حيثُ وقفَ على هاءِ  
التانيث.

﴿ قَالُوا الْفَنَ جِثَّتْ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالبيان التام الشافي الذي لا إشكالَ فيه،  
فطلبوها فلم يجدوها بكمال وصفها إلا مع الفتى، وكان اسمه ميثا،  
فاشتروها بملء مَسْكِها ذهباً. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر: (جِيت) بياء  
ساكنةٍ بغير همز، والباقون بالهمز<sup>(٢)</sup>.

﴿ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ من غلاء ثمنها، واضطرابهم فيها، و(كاد)  
من أفعالِ المقاربة.

(١) انظر: تفسير الآية (٢) من سورة البقرة.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٢/١)،  
وقد ذكراها من قراءة السوسي.

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُم فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [٧٢].

[٧٢] ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ هذا أول القصة، وإن كانت مؤخره في التلاوة،

واسم القتيل عاميل.

﴿ فَادَرَأْتُم فِيهَا ﴾ أصله تدارأتم، فأدغمت التاء في الدال، وأدخلت

الألف، مثل قوله: ﴿ أَنَا قَتَلْتُمُ ﴾ [التوبة: ٣٨]. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر بغير همز، والباقون بالهمز، ومعناه: اختلفتم فيها<sup>(١)</sup>.

﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ ﴾ أي: مظهر.

﴿ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ فإن القاتل كان يكتم القتل.

\*\*\*

﴿ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [٧٣].

[٧٣] ﴿ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ ﴾ يعني: القتل.

﴿ بِبَعْضِهَا ﴾ أي: ببعض البقرة، وذلك البعض هو العظم الذي يلي

الغضروف، وهو المقتل في قول ابن عباس، وأكثر المفسرين، وقيل:

بذنبها، ففعلوا ذلك، فقام القتيل حياً بإذن الله تعالى، وأوداجه تشخب

دماً، وقال: قتلني فلان، ثم سقط ومات مكانه، فحرم قاتله الميراث وقتله

موسى قصاصاً<sup>(٢)</sup>، ثم أمرهم موسى بسلخ البقرة، فلما سلخوها، ملؤوا

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٩)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٧٢/١).

(٢) «وقتلته موسى قصاصاً» سقط من «ظ».

جلدها ذهباً، وأعطاه موسى لميشا، وفي الخبر «ما ورث قاتلٌ بعدَ صاحبِ البقرة»<sup>(١)</sup>، وفيه إضمارٌ تقديره: فَضْرِبَ، فَحَيِّيَ.

﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ كما أحيأ عاميل .

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ المراد منكم ، فتمنعون نفوسكم عن هواها .

أما حكمُ هذه المسألة في الإسلام إذا وُجد قتيلٌ في موضعٍ لا يُعرف قاتله، فإن كانَ ثمَّ لوثٌ على إنسان، وهو العداوةُ الظاهرةُ كما بينَ القبائل، أو ما يغلبُ على القلبِ صدقُ المدَّعي؛ بأن اجتمع جماعةٌ في بيتٍ أو صحراءٍ فتنفروا عن قتيلٍ يغلبُ على القلب أن القاتلَ فيهم، أو وُجد قتيلٌ في محلَّةٍ أو قريةٍ كلُّهم أعداءُ القتيل، لا يخالطهم غيرهم، فيغلبُ على القلب أنهم قتلوه، فادَّعى الوليُّ على بعضهم، فعندَ مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ: يحلفُ المدَّعي خمسين يميناً، وإن كانَ الأولياءُ جماعةً، فتقسمُ الأيمانَ بينهم بالحساب، ثم بعد حلفهم يأخذونَ الديةَ من عاقلةِ المدَّعي عليه إن ادَّعوا قتلَ خطأ، وإن ادَّعوا قتلَ عمد، فمن مالِ المدَّعي عليه، ولا قودَ على الجديدِ من قولِي الشافعي .

وقال مالكٌ وأحمدُ بوجوبِ القودِ .

ومن اللوثِ عندَ مالكٍ قولُ المجروحِ الحرِّ البالغِ المسلم: دمي عندَ

(١) روى عبد الرزاق في «المصنف» (١٧٧٩٤)، عن عبيدة قال: أول ما قضي أن لا يرث القاتل في صاحب بني إسرائيل. وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٩١٥)، عن ابن سيرين قال: أول ما منع القاتل الميراث؛ لمكان صاحب البقرة.

## جنة السنة

فلانٍ عمداً، واستدلَّ بهذه النازلة في قصة البقرة على تجويز قولِ القَتِيلِ، وأن تقع مع القسامة، وإن لم يكن على المدعى عليه لوثٌ، فالقولُ قولُه مع يمينه، ويُحلفُ يميناً واحدة عند مالك، ولم يُحلفْ عندَ أحمدَ على المذهبِ المشهور عنه، وعنه رواية ثانية: يحلفُ يميناً واحدةً، وهو أظهرُ، واختاره جماعةٌ من أصحابه، والأظهرُ من مذهبِ الشافعيِّ تغليظُ اليمينِ بالعدَد؛ لأنه يمينُ دمٍ، فيحلفُ خمسينَ يميناً، وعندَ أبي حنيفةَ لا حكمَ للوِثِ، ولا يبدأُ بيمينِ المدعي، بل إذا وُجد قَتيلٌ في محلة، يختارُ الوليُّ خمسين رجلاً من صلحائهم، فيحلفهم أنهم ما قتلوه، ولا عرفوا له قاتلاً، ثم يأخذ الديةَ من سكانها، وإن ادَّعى على غيرهم، ولا بينة، لزم المدعى عليه يميناً واحدة كسائر الدعاوى، وتسقطُ القسامةُ عن أهل المحلة.

\*\*\*

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [٧٤].

[٧٤] ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ ييست وجفت، وجفاف القلب: خروجُ

الرحمةِ واللينِ عنه.

﴿ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ من بعد ظهور الدلالات، وما تقدّم من أمر القتل، وهي

عبارةٌ عن خلوها من الإنابة والإذعان لآياتِ الله تعالى.

﴿ فَهِيَ ﴾ في الغلظة والشدة.

﴿ كَالْحِجَارَةِ أَوْ ﴾ بل.

﴿ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ وإنما لم يشبها بالحديد، مع أنه أصلب من الحجارة؛



## جنة السنة

لأن الحديد قابل للين؛ فإنه يلين بالنار، وقد لان لداود - عليه السلام -،  
والحجارة لا تلين قط، ثم فَضَّلَ الحِجَارَةَ عَلَى القَلْبِ القَاسِي فَقَالَ:

﴿ وَإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ ﴾ قيل: أراد به جميع الحجارة

وقيل: أراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى للأسباط.

﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ أَمْوَاءٌ ﴾ أراد به عيوناً دون الأنهار.

﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَهْبِطُ ﴾ ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله.

﴿ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ وقلوبكم لا تلين ولا تخشع يا معشر اليهود، فإن

قيل: الحجر جماد لا يفهم، فكيف يخشى؟ قيل: الله يفهمها ويُلهمها

فتخشى بإلهامه، ومذهب أهل السنة أن الله علماً في الجمادات وسائر

الحيوانات سوى العقلاء، لا يقف عليه غيره، فلها صلاة وتسبيح وخشية،

قال الله: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَيْسَرُ بِهِ ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال: ﴿ وَالطَّيْرُ صَفَقَتِ

كُلُّ قَدِّعِلْمٍ صَلَاتُهُمْ وَسَبِيحُهُمْ ﴾ [النور: ٤١]، وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي

السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ الآية [الحج: ١٨]، فيجب على المرء

الإيمان به، ويكفل العلم إلى الله عز وجل.

﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ وعيد وتهديد. قرأ ابن كثير: (يَعْلَمُونَ)

بالغيب.

والباقون بالخطاب مناسباً بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ (١).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٠)،  
و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٠)، و«الكشف» لمكي (١/٢٤٨)، و«تفسير  
البنغوي» (١/٦٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/٧٧)، و«النشر في القراءات  
العشر» لابن الجزري (٢/٢١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: =

﴿ أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٧٥﴾ .

[٧٥] ﴿ أَفَنظَمُونَ ﴾ أترجون؟ يريد: محمداً ﷺ وأصحابه، وأصل الطمع: نزوع النفس إلى شيء ما شهوةً.

﴿ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾ يصدقكم اليهود بما تخبرونهم به. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وورش: (يؤمنوا) بغير همز، والباقون بالهمز<sup>(١)</sup>.

﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ أي: طائفة من اليهود.

﴿ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾ يعني: التوراة.

﴿ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ ﴾ يغيرون ما فيها من الأحكام.

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ علموه؛ كما غيروا صفة محمد ﷺ وآية الرجم.

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم كاذبون، ثم أخبر عن صنعهم فقال:

\*\*\*

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٧٦﴾ .

[٧٦] ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يعني: منافقي اليهود الذين آمنوا بألسنتهم، إذا لقوا المؤمنين المخلصين.

= (١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٧٥).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٨).

﴿ قَالُوا آمَنَّا ﴾ كإيمانكم .

﴿ وَإِذَا خَلَا ﴾ رجع .

﴿ بَعْضُهُمْ ﴾ الذين لم ينافقوا .

﴿ إِلَى بَعْضٍ ﴾ الذين نافقوا، وهم رؤوساء اليهود، لاموهم على ذلك .

﴿ قَالُوا ﴾ منكرين عليهم :

﴿ اتَّخَذْتُوهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ بما قضى الله عليكم في كتابكم، وأعطاكم من العلم أن محمداً حقٌّ، وقوله صدق؟!، ويقال للقاضي: الفتاح، وأصل الفتح: إزالة الإغلاق .

﴿ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ ﴾ ليخاصموكم، يعني: أصحاب محمد ﷺ، ويحتجوا بقولكم عليكم، فيقولون: قد أقررتُم بأنه نبيُّ حقٍّ في كتابكم، ثم لا تتبعونه، وذلك أنهم قالوا لأهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد ﷺ: آمنوا به؛ فإنه حق، ثم قال بعضهم لبعض: اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجُّوكم به لتكون لهم الحجة عليكم<sup>(١)</sup> .

﴿ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ في الدنيا والآخرة .

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أنهم إذا علموا ذلك احتجوا به عليكم؟! ثم استفهم

فقال :

\*\*\*

﴿ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾

(١) في «ت»: «لهم الحجة عليهم»، وفي «ن»: «لهم حجة عليكم» .

## جنة السنة

[٧٧] ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ يخفون .

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يبدون، يعني: اليهود. قرأ أبو عمرو: (يعلم ما) بإدغام الميم في الميم<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾<sup>(٧٨)</sup>.

[٧٨] ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾ أي: من اليهود لا يحسنون القراءة ولا الكتابة، جمع أمي، منسوب إلى الأم، كأنه باقٍ على ما انفصل من الأم، لم يتعلم قراءة ولا كتابة.

﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ وهي جمعُ الأُمِّيَّةِ، وهي التلاوةُ حفظاً من غير معرفةٍ معناه. قرأ أبو جعفر: (أَمَانِيَّ) بتخفيف الياء كلَّ القرآن، حذف إحدى الياءين استخفافاً، والباقون بالتشديد<sup>(٢)</sup>، والمراد بها الأشياء التي كتبها علماءهم من عند أنفسهم، ثم أضافوها إلى الله - عز وجل - من تغيير نعت النبي ﷺ وغيره.

﴿وَإِنْ هُمْ﴾ أي: وما هم .

﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ظناً وتوهماً لا يقيناً.

(١) انظر: تفسير الآية (٤) من سورة الفاتحة .

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٩٠)، و«تفسير الطبري» (٢/٢٦٤)، و«المحتسب» لابن جني (١/٩٤)، و«تفسير البغوي» (١/٦٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للددياطي (ص: ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٧٦).

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكُتُبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (٧٩).

[٧٩] ﴿ فَوَيْلٌ ﴾ هي كلمة يقولها كلُّ واقع في هَلَكَةٍ بمعنى الدعاء على النفس بالعذاب .

﴿ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكُتُبَ ﴾ أي : المحرّف .

﴿ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ وذلك أن أحبار اليهود خافوا ذهابَ ما كُتِبَ لهم ، وزوالَ رياسَتِهِمْ حينَ قدَمَ النبي ﷺ المدينةَ ، فاحتالوا في تعويقِ اليهود عن الإيمان به ، فعمدوا إلى صفته في التوراة ، وكان صفته فيها : حسن الوجه ، حسن الشعر ، أكحل العينين ، ربعةً فغيروها ، وكتبوا مكانها : طوال أزرق سبط الشعر ، فإذا سألهم سفلتهم عن صفته ، قرؤوا ما كتبوا ، فيجدونه مخالفًا لصفته ، فيكذبونه<sup>(١)</sup> ، قال الله تعالى :

﴿ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ يعني : كتبوا بأنفسهم اختراعاً من تغيير نعته ﷺ .

﴿ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ من المآكل . قرأ أبو عمرو ، ورؤيس عن يعقوب : (الكتاب بأيديهم) بإدغام الباء الأولى في الثانية<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر : «تفسير أبي السعود» (١/١٢٠) .

(٢) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٣٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٧٦) .

﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ نَفُؤُلُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٨٠﴾ .

[٨٠] ﴿ وَقَالُوا ﴾ يعني : اليهود :

﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ ﴾ لن تصيبنا النار .

﴿ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ قدراً مقدراً، ثم يزولُّ عنا العذاب، يعنون : أربعين يوماً التي عبد آباؤهم فيها العجل، وقيل غير ذلك، فقال الله - عزَّ وجلَّ - تكذيباً لهم :

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد :

﴿ أَتَّخَذْتُمْ ﴾ ألف استفهامٍ دخلت على ألفِ الوصل، أصله إتخذتم، وزنه افتعلتم من الأخذ، سُهِّلَتِ الهمزةُ الثانية؛ لامتناع جمع همزتين، فاضطربت الياء في التصريف، جاءت ألفاً في ياءٍ تخذ، فبُدلت بحرف التاء، وأدغمت، فلما دخلت ألف التقرير، استغني عن ألف الوصل .

﴿ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾ أي : موثقاً ألا يعذبكم إلا هذه المدة .

﴿ فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ ﴾ أي : وعده .

﴿ أَمْ نَفُؤُلُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ تلخيصه : إن كان لكم عنده عهدٌ فلا يُنقضُ، ولكنكم تتخرصون، ولما قالوا: لن تمسنا النار، ردَّ ذلك عليهم، فقال :

\*\*\*

﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَظَّتْ بِهِ خَطِئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿٨١﴾ .

[٨١] ﴿بَلَىٰ﴾ وبلى وبل حرفا استدراك، ومعناها نفى الخبر الماضي، وإثبات الخبر المستقبل. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (بلى) بالإمالة<sup>(١)</sup>.

﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ يعني: الشرك.

﴿وَأَحْطَطَ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ أي: استولت عليه، والإحاطة: الإحداق بالشيء من جميع نواحيه، وهي الشرك يموت عليه. قرأ نافع، وأبو جعفر (خَطِيئَاتُهُ) على الجمع، والباقون على الأفراد<sup>(٢)</sup>، وعن أبي جعفر وجه ثانٍ: (خَطِيئَاتُهُ) بتشديد الياء بغير همز<sup>(٣)</sup>.

﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: (النَّارِ) بالإمالة حيث وقع مجروراً<sup>(٤)</sup>. ثم بشر المؤمنين بالجنة فقال:

\*\*\*

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٧/١).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٣)، و«الكشف» لمكي (٢٤٩/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٧١/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٧/١).

(٣) وذكرها الدمياطي في «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، عن حمزة، وانظر: «معجم القراءات القرآنية» (٧٨/١).

(٤) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٨/١).

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾ .

[٨٢] ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ دائمون .

\*\*\*

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِئِلِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ ﴿٨٣﴾ .

[٨٣] ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ في التوراة، إخبارٌ في معنى النهي، والميثاق: العهد الشديد.

﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: (لا يَعْبُدُونَ) بالغيب، والباقون بالخطاب<sup>(١)</sup>؛ لقوله: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ معناه: ألا تعبدوا، فلما حذف (أن)، صار الفعل مرفوعاً.

﴿ وَيَالِئِلِدِينَ ﴾ أي: ووصيئناهم بالوالدين.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٣)، و«الكشف» لمكي (١/٢٤٩-٢٥٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٠)، و«تفسير البغوي» (١/٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٧٨).



## جنة السنة

﴿إِحْسَنًا﴾ بَرًّا بِهِمَا، وَعَطْفًا عَلَيْهِمَا، وَنَزولًا عِنْدَ أَمْرِهِمَا فِيمَا لَا يُخَالِفُ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾ أَي: وَبِذِي الْقُرْبَى، وَالْقُرْبَى مُصَدَّرٌ كَالْحَسَنَى. قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو، وَحَمْزَةٌ، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلَفٌ: (الْقُرْبَى) بِالْإِمَالَةِ.

﴿وَالْيَتَامَى﴾ جَمْعُ يَتِيمٍ، وَهُوَ الطِّفْلُ الَّذِي لَا أَبَ لَهُ، وَأَصْلُ الْيَتَمِ: الْإِنْفِرَادُ. قَرَأَ الدَّوْرِيُّ عَنِ الْكَسَائِيِّ: (وَالْيَتَامَى) بِالْإِمَالَةِ<sup>(١)</sup>.

﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ يَعْنِي: الْفُقَرَاءَ.

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ صِدْقًا وَحَقًّا فِي شَأْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَمَنْ سَأَلَكُمْ عَنْهُ، فَاصْدُقُوهُ، وَبَيِّنُوا لَهُ صِفَتَهُ، وَلَا تَكْتُمُوا أَمْرَهُ. قَرَأَ حَمْزَةٌ، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلَفٌ، وَيَعْقُوبٌ: (حَسَنًا) بَفَتْحِ الْحَاءِ وَالسَّيْنِ<sup>(٢)</sup>؛ أَي: قَوْلًا حَسَنًا.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا مِنْهُمْ آمَنُوا.

﴿وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ كَأَعْرَاضِ آبَائِكُمْ.

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٧٩).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٩٢)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٢)، و«الكشف» لمكي (١/٢٥٠) و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (١/٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٨٠).

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ [٨٤]

[٨٤] ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ﴾ على نحو ما سبق من الإخبار في معنى النهي .

﴿ لَا تَسْفِكُونَ ﴾ لا تريقون .

﴿ دِمَاءَكُمْ ﴾ أي : لا يسفك بعضكم دم بعض .

﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾ أي : لا يخرج بعضكم بعضاً من داره .

﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ ﴾ بهذا العهد أنه حق ، وقبلتم .

﴿ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ اليوم على ذلك يا معشر اليهود ، وتعترفون بالقبول .

\*\*\*

﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْكَرَى تَقْتُلُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُونُونَ بِبَعْضِ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [٨٥]

[٨٥] ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ ﴾ يعني : يا هؤلاء اليهود ! وهؤلاء للتنبية .

﴿ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي : بعضكم بعضاً .

﴿ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ قرأ أبو عمرو ، والكسائي (ديارهم)

## جنة السنة

بالإمالة، واختلف عن ابن ذكوان، ورُوي عن ورشٍ الإمالة بينَ بينَ، وكذلك رُوي عن حمزة، وقرأ الباقون بالفتح<sup>(١)</sup>.

﴿ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ ﴾ بتشديد الظاء؛ أي: تتظاهرون، أدغمت التاء في الظاء. وقرأ عاصمٌ، وحمزة، والكسائيُّ، وخلفٌ: (تَظَاهَرُونَ) بتخفيف الظاء<sup>(٢)</sup>، ومعناها: تتعاونون، والظهيرُ: العون.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن دُونِهِ أَتَأْتُونَ الْبُيُوتَ إِذْ يَخْرُجُونَ ﴾ بالمعصية والظلم.

﴿ وَإِنْ يَأْتُوكُمُ الْأَسْرَىٰ ﴾ قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وورشٌ: (يَأْتُوكُم) بغير همز، والباقون بالهمز<sup>(٣)</sup>، وقرأ حمزة: (أَسْرَى) بفتح الألف الأولى وسكون السين وإسقاط الألف بعدها، وهما جمع أسير، ومعناها واحد.

﴿ تَقَادُوهُمْ ﴾ بالمال، وتنقذوهم. قرأ نافعٌ، وأبو جعفر، وعاصمٌ، والكسائيُّ، ويعقوبٌ: (تَقَادُوهُمْ) بضم التاء وألفٍ بعد الفاء<sup>(٤)</sup>؛ أي:

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨١/١) وقد ذكرها عن أبي عمرو وورش.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٦٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٢٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٤)، و«الكشف» لمكي (١/٢٥٠-٥٢١)، و«تفسير البغوي» (١/٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨١/١).

(٣) ذكر الصفاسي في «الغيث» (ص: ١٢٢) قراءة ورش وهي (ياتوكمو)، بإبدال الهمزة، وضم الميم مع مدها، وانظر: «معجم القراءات القرآنية» (٨٢/١).

(٤) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٤)، و«الكشف» لمكي (١/٢٥١-٢٥٢)، =

## جنة السنة

تبادلونهم<sup>(١)</sup>، أراد: مفاداة الأسير بالأسير، وأصل الفداء: حفظ الشيء بما تبدلته<sup>(٢)</sup> عنه صيانة له، ومعنى الآية: إن الله تعالى أخذ على بني إسرائيل في التوراة ألا يقتل بعضهم بعضاً، ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، وأئماً عبدٍ أو أمةٍ وجدتموه من بني إسرائيل، فاشتروه بما قام من ثمنه، وأعتقوه، وكانت قريظة حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج، وكانوا يقتتلون في حرب سُمير<sup>(٣)</sup>، فإذا اقتتلا، عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار وإجلاء أهلها، وإذا أسر رجلٌ من الفريقين، جمعوا له حتى يفدوه، وإن كان الأسير من عدوهم، فتعيرهم العرب، وتقول: كيف تقاتلونهم وتفدونهم؟ قالوا: إنا أمرنا أن نفديهم، فيقولون: لم تقاتلونهم؟ قالوا: إنا نستحي أن يُستدَلَّ حلفاؤنا، فعيرهم الله تعالى، فقال: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

وفي الآية تقديم وتأخير، ونظمها: وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان، وهو محرّم عليكم إخراجهم، وإن يأتوكم أسارى تفدوهم، فكان الله أخذ عليهم أربعة عهود: ترك القتل،

= و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٧٣/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٨٢-٨٣).

(١) في «ت» و«ظ»: «تبادلونهم».

(٢) في «ن»: «يبدله».

(٣) في «ن»: «سُمير».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (١/٣٩٧)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/١٦٣).

## جنة السنة

وترك الإخراج، وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم، وفداء أسرائهم، فأعرضوا عن الكلِّ إلا الفداء، قال الله - عزَّ وجلَّ -:

﴿ أَفْتَوْمُنُونَ بِنِعْمِ الْكِتَابِ ﴾ أي: بالفداء؛ لأنه من جملة ما أخذ في الميثاق.

﴿ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ ﴾ بالقتل والإخراج. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وورش: (أَفْتَوْمُنُونَ) بغير همز، والباقون بالهمز، قال مجاهد: يقول: إن وجدته في يد غيرك، فديته، وأنت تقتله بيدك.

﴿ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ ﴾ يا معشر اليهود.

﴿ إِلَّا خِزْيٌ ﴾ عذاب وهوان.

﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وكان خزْيُ قريظة القتل والسبي، وخزْيُ بني النضير الجلاء والنفي عن منازلهم إلى أذرعات وأريحا من الشام.

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴾ وهو عذاب النار.

﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، ويعقوب، وخلف، وأبو بكر: (يَعْمَلُونَ) بالغيب، والباقون بالخطاب<sup>(١)</sup>.

ثم أخبرهم متهدداً أن عذابي الدنيا والآخرة لا يُفترُّ عنهم ولا مانع لهم منه بقوله:

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٥)، و«الكشف» لمكي (١/٢٥٢-٢٥٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٢)، و«تفسير البغوي» (١/٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٨٤).

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [٨٦]

[٨٦] ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا ﴾ استبدلوا .

﴿ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ ﴾ أي : يهون عليهم .

﴿ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ أي : يُمنعون من عذاب الله عزَّ وجلَّ .

\*\*\*

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [٨٧]

[٨٧] ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا ﴾ أعطينا .

﴿ مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ التوراة جملة واحدة .

﴿ وَقَفَّيْنَا ﴾ أتبعنا .

﴿ مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾ رسولا بعد رسول .

﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ عيسى : اسمٌ عبرانيٌّ أو (١) سريانيٌّ، والبيّناتُ : الدّلالات الواضحاتُ، وهي ما ذكر الله تعالى في سورة آل عمران والمائدة . قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف : (عيسى) بالإمالة حيثُ وقع (٢) .

(١) في «ت» : «و» .

(٢) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ١٢٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٨٤) .

﴿وَأَيَّدَنَّهُ﴾ قَوَيْنَاهُ .

﴿رُوحَ الْقُدُسِ﴾ قرأ ابن كثير: (القدس) بسكون الدال، والباقون بضمها، وهما لغتان مثل: الرُّعْب، والرُّعْب<sup>(١)</sup>، وروح القدس: هو جبريلُ - عليه السلام - والقدس: الطهارة؛ وُصِفَ جبريلُ بها لأنه لم يقترب ذنباً، وقيل غير ذلك، فلما سمعت اليهود ذكرَ عيسى، قالوا: يا محمد! لا مثلَ عيسى - كما تزعم - فعلتَ، ولا كما تُقصُّ علينا من الأنبياء فَعَلتَ، فائتينا بما أتى<sup>(٢)</sup> به عيسى إن كنتَ صادقاً، قال الله تعالى:

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ﴾ يا معشر اليهود .

﴿رَسُولٌ يَمَّا لَا تَهْوَى﴾ تحبُّ .

﴿أَنْفُسِكُمْ﴾ والهوى: هو ميلان القلب إلى ما يستلذُّ به .

﴿أَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم، وتعظمتم عن الإيمان .

﴿فَفَرِيقًا﴾ طائفة .

﴿كَذَّبْتُمْ﴾ مثل عيسى ومحمد .

﴿وَفَرِيقًا نَقُولُونَ﴾ أي: قتلتم، مثل زكريا ويحيى وشعيا وسائر مَنْ قَتَلُوا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -، ولم يقل: قتلتم، وإن أريدَ الماضي؛

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٩٨)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٤)، و«الكشف» لمكي (١/٥٢٣)، و«تفسير البغوي» (١/٧٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٨٥).  
(٢) في «ن»: «أوتي» .

## جنة السنة

تعظيماً لهذه الحالة، فكأنها - وإن مضت - حاضرة؛ لشناعتها، ولثبوت عارها عليهم وعلى ذريتهم بعدهم.

\*\*\*

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٨٨﴾ .

[٨٨] ﴿ وَقَالُوا ﴾ يعني : اليهود .

﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ جمع أغلاف؛ أي : هي في أكنة، معناه : عليها غشاوة، فلا تعي، ولا تفقه ما تقول، قال الله تعالى :

﴿ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ أي : أبعدهم من كل خير .

﴿ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي : لا يؤمن منهم إلا قليل؛ لأن من آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود، ونصب (قليلًا) على الحال .

\*\*\*

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٨٩﴾ .

[٨٩] ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ يعني : القرآن .

﴿ مُصَدِّقٌ ﴾ موافق .

﴿ لِمَا مَعَهُمْ ﴾ يعني : التوراة .

﴿ وَكَانُوا ﴾ يعني : اليهود .

﴿ مِن قَبْلُ ﴾ مبعث محمد ﷺ .

﴿ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ يستنصرون .



## جنة السنة

﴿ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ على مشركي العرب، وذلك أنهم كانوا يقولون إذا حَزَبَهُمْ أَمْرٌ، أَوْ دَهَمَهُمْ عَدُوٌّ: اللَّهُمَّ انصُرْنَا عَلَيْهِم بِالنَّبِيِّ الْمَبْعُوثِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ الَّذِي نَجَدُ صِفَتَهُ فِي التَّوْرَةِ، فَكَانُوا يُنصَرُونَ، وَكَانُوا يَقُولُونَ لِأَعْدَائِهِمْ مِنَ الْمَشْرِكِينَ: قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُ نَبِيِّ يَخْرُجُ بِتَصَدِيقِ مَا قُلْنَا، فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمٍ<sup>(١)</sup>.

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا ﴾ يعني: محمداً ﷺ من غير بني إسرائيل، وعرَفُوا نَعْتَهُ وَصِدْقَهُ.

﴿ كَفَرُوا بِهِءً ﴾ بغياً وحسداً.

﴿ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴾ قرأ أبو عمرو، والكسائي، ورؤيس: (الْكٰفِرِينَ) بالإمالة حيث وقع بالياء<sup>(٢)</sup>، مجروراً كان أو منصوباً، واختُلف عن ابن ذكوان في الإمالة والفتح، وأماله ورشٌ بينَ بينَ، وفتحَه الباقون، وجوابٌ لما ولما الثانية في قوله: (كفروا)، وأعيدت لما الثانية؛ لطول الكلام، ويفيد ذلك تقريراً للذنب وتأكيده له.

\*\*\*

﴿ بِئْسَمَا أَشْتَرُوا بِهِءَ أَنْفُسِهِمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾.

[٩٠] ﴿ بِئْسَمَا أَشْتَرُوا بِهِءَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر: (بِيس)

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣٤/٤)، وانظر «الدر المنثور» للسيوطي (٢١٥-٢١٦).

(٢) «بالياء» سقطت من «ن».

## جنة السنة

بغير همز<sup>(١)</sup>، وبُئِسَ ونِعَمَ فعلانِ ماضيانِ وُضِعَا للمدح والذَّمَّ، ولا يتصرّفان تصرّفَ الأفعال، معناه: بئس الذي اختاروا لأنفسهم حين استبدلوا<sup>(٢)</sup> الباطلَ بالحق.

﴿ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ يعني: القرآن.

﴿ بَغِيًّا ﴾ أي: حسداً، وأصلُ البغي: الفسادُ، والبغيُّ الظلمُ، وأصلُه الطلبُ؛ فالباغي طالبٌ<sup>(٣)</sup> للظلم، والحاسدُ يظلمُ المحسودَ جهدهُ طلباً لإزالةِ نعمةِ الله عنه.

﴿ أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ النبوة والكتاب. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو، ويعقوبُ: (يُنزِلُ) بالتخفيف مع إسكان النون<sup>(٤)</sup>، والباقون بفتح النون والتشديد<sup>(٥)</sup>.

﴿ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ محمدٌ ﷺ.

﴿ فَبَاءُوا ﴾ رجعوا.

- 
- (١) المصادر السابقة.
- (٢) في «ت»: «استبدوا».
- (٢) في «ن»: «الطالب».
- (٤) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٨٦).
- (٥) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٥)، و«الكشف» لمكي (١/٢٥٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٣)، و«تفسير البغوي» (١/٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٨٦).

## جنة السنة

﴿بِعَضْبٍ عَلَىٰ عَضْبٍ﴾ أي: مع غضب، الغضبُ الأولُ بتضييعهم التوراةَ وتبديلهم، والثاني بكفرهم بمحمدٍ ﷺ.

﴿وَالْكَافِرِينَ﴾ الجاحدين بنبوّة محمد ﷺ من الناس كلِّهم.

﴿عَذَابٌ مُّهِيتٌ﴾ مُخزٍ يُهانون فيه.

\*\*\*

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾.

[٩١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ يعني: القرآن. قرأ أبو عمرو:

(قِيلَ لَهُمْ) بإدغام اللام في اللام (١).

﴿قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا﴾ يعني: التوراة، يكفيننا ذلك.

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ أي: بما سواه من الكتب.

﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ يعني: القرآن.

﴿مُصَدِّقًا﴾ نصب على الحال.

﴿لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد.

﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ أي: قتلَ آباؤكم، ولما رضيتمُ بفعالهم، فكأنكم قد

قتلتم.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٨٧).

## جنة السنة

﴿ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ ولم أصله (لما)، فحذفت الألف فرقاً بين الخبر والاستفهام؛ كقولهم: فيم، وبم. وقف البزئي ويعقوب، بخلاف عنهما: (فَلِمَهُ) بالهاء، وكذلك (لِمَهُ، وَفِيْمَهُ، وَبِمَهُ، وَعَمَّهُ، وَمِمَهُ) حيث وقع.

﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ بالتوراة، وقد نهيتم فيها عن قتل الأنبياء عليهم السلام.

\*\*\*

﴿ ﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ .

[٩٢] ﴿ ﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ﴿ بالدلالات الواضحة، والمعجزات. قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم، وابن ذكوان، وأبو جعفر، ويعقوب: (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ) بإظهار الدال عند الجيم، وكذلك عند السين والشين والصاد حيث وقع، والباقون بالإدغام<sup>(١)</sup>.

﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ بما صدر منكم. قرأ ابن كثير، وحفص (اتخذتم) بإظهار الذال عند التاء، واختلف عن رويس، والباقون بالإدغام<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (ص: ١/١٧٢)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٨٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٨٧).

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

[٩٣] ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ وقلنا:

﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ ﴾ في التوراة .

﴿ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا ﴾ أي : استجبوا وأطيعوا، سميت الطاعة والإجابة سمعاً على المجاوزة؛ لأنه سبب الطاعة والإجابة .

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا ﴾ قولك بالآذان .

﴿ وَعَصَيْنَا ﴾ أمرك بالقلوب، والمعصية: مخالفة الأمر قصداً. قال أهل المعاني: إنهم لم يقولوا هذا بألستهم، ولكن لما سمعوا وتلقوه بالعصيان، نسب ذلك إلى القول اتساعاً .

﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ أي: حبه، معناه: أدخل في قلوبهم حب العجل وخالطها .

﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ ﴾ أن تعبدوا العجل من دون الله؛ أي: بئس إيمان يأمر بعبادة العجل .

﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ بزعمكم، وذلك أنهم قالوا: نؤمن بما أنزل علينا، فكذبهم الله - عز وجل - .

\*\*\*

﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿٩٤﴾ .

[٩٤] ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ وذلك أن اليهود ادَّعَوْا دَعَاوَى بَاطِلَةً مِثْلَ قَوْلِهِمْ: ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ [البقرة: ٨٠] و ﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا ﴾ [البقرة: ١١١] وقولهم ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ فكذبهم الله - عزَّ وجلَّ -، وألزمهم الحجة، فقال: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ؛ يعني: الجنة عند الله. ﴿ خَالِصَةً ﴾ خَاصَّةً .

﴿ مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ ﴾ أي: اطلبوه وسلوه؛ لأن من علم أن الجنة مأواه، حنَّ إليها، ولا سبيلَ إلى دخولها إلا بعد الموت، فاستعجلوه بالتمني .

﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في قولكم . وعن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْ تَمَنَّوْا الْمَوْتَ، لَغَصَّ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ بِرَبِيْقِهِ، وَمَا بَقِيَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يَهُودِيٌّ إِلَّا مَاتَ»<sup>(١)</sup> . قال الله تعالى:

\*\*\*

﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٩٥﴾ .

[٩٥] ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ لعلمهم أنهم كاذبون في دعواهم، وأراد بما قدمت أيديهم: ما قدموا من الأعمال، وأضاف إلى اليد؛ لأن أكثر جنایات الإنسان تكون باليد .

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/٤٢٥)، عن ابن عباس موقوفاً عليه .

## جنة السنة

﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ تهديدٌ شديد؛ لأن علمه بهم كعلمه بغيرهم، ثم قال مخاطباً لنبيه ﷺ:

\*\*\*

﴿ وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ  
لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا  
يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٦﴾ .

[٩٦] ﴿ وَلَنَجِدَنَّهُمْ ﴾ اللامُ لامُ القسم، والنونُ تأكيدُه، تقديرُه: والله لتجدنهم يا محمد؛ يعني: اليهود.

﴿ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ ﴾ متطاوله، وهي حياتهم التي هم فيها.  
﴿ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ أي: وأحرص من الذين أشركوا، والمراد بالذين  
أشركوا: المجوس، سُموا مشركين؛ لأنهم يقولون بالنور والظلمة.  
﴿ يَوَدُّ ﴾ يتمنى.

﴿ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ ﴾ يعني: يعيش.  
﴿ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ وهي تحيةُ المجوس فيما بينهم: عشُ ألف سنة،  
يقول الله تعالى: اليهودُ أحرصُ على الحياة من المجوس الذين يقولون  
ذلك.

﴿ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ لَهُ ﴾ بمباعده.  
﴿ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ من النار.  
﴿ أَنْ يُعَمَّرَ ﴾ أي: طولُ عمره لا يُنقذه من العذاب.

## جنة السنة

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم. قرأ يعقوب: (تَعْمَلُونَ) بالخطاب، والباقون بالغيب<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٩٧)</sup>.

[٩٧] ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ قرأ ابن كثير: (جَبْرِيلَ) بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز، وحمزة، والكسائي، وخلف: (جَبْرِئِيلَ) بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة بعدها ياء، وأبو بكر: (جَبْرِئِلَ) بفتح الجيم والراء وحذف الياء بعد الهمزة، والباقون بكسر الجيم والراء من غير همز، كلُّها لغات<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إِنَّ حَبْرًا مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورِيَا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَيُّ مَلِكٍ يَأْتِيكَ مِنَ السَّمَاءِ؟ قَالَ: «جَبْرِيلُ»، قال: ذاك<sup>(٣)</sup> عدوُّنا من الملائكة، ولو كان ميكائيلَ، لَأَمَّنَّا بِكَ؛

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٨٩).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٠٠-٢٠١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٦-١٦٧)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٧)، و«تفسير البغوي» (١/٨٠-٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٨٩-٩٠).

(٣) في «ت»: «ذلك».



## جنة السنة

إن جبريل ينزل بالعذاب والقتال والشدة، وإنه عادانا مراراً، وكان أشد ذلك علينا أن الله أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له: بخت نصر، وأخبر بالحين الذي يخرب فيه، فلما كان وقته، بعثنا رجلاً من أقوياء بني إسرائيل في طلبه ليقتله، فانطلق حتى لقيه ببابل غلاماً مسكيناً، فأخذه ليقتله، فدفع عنه جبريل، وكبر بخت نصر وقوي، فغزانا وخرّب بيت المقدس، فلهذا نتخذُه عدواً، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿فَإِنَّهُ﴾ يعني: جبريل.

﴿نَزَّلَهُ﴾ يعني: القرآن؛ كناية عن غير مذكور.

﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ يا محمد.

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمر الله.

﴿مُصَدِّقًا﴾ موافقاً.

﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما قبله من الكتب.

﴿وَهَدَى﴾ أي: هداية.

﴿وَبُشِّرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف:

(وَبُشِّرَى) بالإمالة<sup>(٢)</sup>، وتقدّم الاختلاف في إبدال الهمز<sup>(٣)</sup> في (المؤمنين)<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر «العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/٢٩٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٩١).

(٣) في «ن»: «الهمزة».

(٤) عند تفسير الآية (٣) من سورة البقرة.

﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [٩٨].

[٩٨] ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ خَصَّهَما بالذكر من جملة الملائكة، مع دخولهما في قوله: وملائكته<sup>(١)</sup>؛ تفضيلاً وتخصيصاً؛ كقوله تعالى: ﴿ فِيهَا فَكَيْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن: ٦٨] خَصَّ النخْلَ والرمان بالذكر مع دخولهما في ذكرِ الفاكهة، والواو فيهما بمعنى (أو)؛ يعني: من كان عدواً لأحد هؤلاء؛ لأن الكافر بالواحد كافراً بالكل. قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحفص (ميكال) بغير همزة<sup>(٢)</sup> ولا ياء بعدها. وقرأ نافع، وأبو جعفر: (ميكائل) بهمزة من غير ياء بعدها. وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، وخلف: (وميكائيل) بهمزة بعدها ياء، وتقدم الخلاف في (جبريل)<sup>(٣)</sup>.

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ تلخيصه: من عاداهم، عاداه الله، ومن عاداه الله، عذبه.

وقد روي أن جبريل - عليه السلام - نزل على آدم اثنتي عشرة مرة، وعلى إدريس أربع مرات، وعلى نوح خمسين مرة، وعلى إبراهيم اثنتين وأربعين مرة، وعلى يوسف أربع مرات، وعلى موسى أربع مئة مرة، وعلى عيسى عشر مرات، وعلى محمد أربعة وعشرين ألف مرة - صلوات الله عليهم أجمعين -، ولم يذكر في القرآن من الملائكة باسمه سوى أربعة:

(١) «وملائكته» سقطت من «ن».

(٢) في «ن»: «همز».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٨١ / ١)، عند تفسير الآية (٩٧) من هذه الآية.

## جنة السنة

جبريل، وميكائيل، والرعد، ومالك في قوله في سورة الزخرف: ﴿وَنَادُوا  
يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّنَا﴾ [الآية: ٧٧]، وأشير إلى إسرئيل في سورة ق قوله:  
﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [الآية: ٤١]، وأشير إلى عزرائيل في الم  
السجدة: ﴿قُلْ يَتُوفَّئِكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ [الآية: ١١]، وبقية الملائكة ذكروا  
إجمالاً، وأشير إلى بعضهم كالحفظة والسائق والشهيد، ومعنى جبريل  
وميكائيل: عبد الله، فجبر وميك: هما<sup>(١)</sup> العبد، وإيل وآل: هو الله،  
وكذلك إسرئيل، فقال ابن سوريا: ما جئنا يا محمد بشيء نعرفه،  
فأنزل الله تعالى:

\*\*\*

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا  
الْفَاسِقُونَ﴾ [٩٩].

[٩٩] ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات مفصلات بالحلال  
والحرام، والحدود والأحكام.

﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن أمر الله - عز وجل - .

\*\*\*

﴿أَوْ كَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا  
يُؤْمِنُونَ﴾ [١٠٠].

[١٠٠] ﴿أَوْ﴾ واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام، تقديره:  
أكفروا بالبينات.

(١) في «ن»: «فجبر وهماميك».

## جنة السنة

﴿كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا﴾ يعني: اليهود عاهدوا: لئن خرج محمدٌ، لنؤمننَّ به، فلما خرج محمدٌ كفروا به. قال ابنُ عباسٍ: لما ذكرَ رسولُ الله ﷺ لهم ما أخذَ اللهُ عليهم، وعَهَدَ إليهم في محمدٍ أن يؤمنوا به، قال مالكُ بنُ الصيفِ<sup>(١)</sup>: والله ما عهدَ إلينا في محمدٍ عهداً، فأنزل اللهُ هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

يدلُّ عليه قراءةُ أبي رجاء العطارديّ: (أَوْ كَلَّمَا عُوهِدُوا) فجعلهم مفعولين<sup>(٣)</sup>.

﴿نَبَذَهُ﴾ طرحه ونقضه.

﴿فَرِيقٌ﴾ طوائفُ.

﴿مِّنْهُمْ﴾ من اليهود.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالتوراة، ولا يبالون بالدين، فلا يعتدُّون بنقض العهد.

\*\*\*

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(١) في «ت» و«ظ»: «الضيف».

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٤٤٧/١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٣/١).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٨١/١)، و«الكشاف» للزمخشري (٨٥/١)، و«تفسير الرازي» (٤٢٦/١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣٢٤/١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩٣/١).

[١٠١] ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ يعني : محمداً ﷺ .

﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ يعني : التوراة ، وقيل : القرآن ؛ أي : لم يعملوا بما فيها .

﴿ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ كانوا يقرؤون التوراة ولا يعملون بها .

\*\*\*

﴿ وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمَرُوتَ ۖ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۗ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلِيَسَّ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١١٧﴾ .

[١٠٢] ﴿ وَأَتَّبَعُوا ﴾ يعني : اليهود .

﴿ مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ ﴾ أي : ما تلت ؛ أي : تكلمت به . والعربُ تضعُ المستقبل موضعَ الماضي وعكسه .

﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ أي : على زمن ملكه ، وهو سليمان بن داود - عليهما السلام - ، عاش اثنتين وخمسين سنة ، ومدة ملكه أربعون سنة ، ووفاته في أواخر سنة خمس وسبعين وخمس مئة لوفاة موسى - عليه السلام - وبين وفاته والهجرة الشريفة الإسلامية ألف وسبع مئة وثلاث

وسبعون سنة، ونُقل أن قبره بالبيت المقدس<sup>(١)</sup> عند الجيسمانية، وأنه هو وأبوه داود في قبرٍ واحد.

وقصة الآية: أن الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف: هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك، ثم دفنوها تحت مصلاه حين نزع الله الملك عنه، ولم يشعر سليمان بذلك، فلما مات، استخرجوها، وقالوا للناس: إنما ملككم سليمان بهذه، فتعلموها، فأما علماء بني إسرائيل وصلحاؤهم، فقالوا: معاذ الله أن يكون هذا من علم سليمان، وأما السفلة، فقالوا: هذا علم سليمان، وأقبلوا على تعلمه، ورفضوا كتب أنبيائهم، وفشت الملامة لسليمان، فلم يزل هذا حالهم حتى بعث الله محمداً ﷺ، وأنزل عليه براءة سليمان، فقال:

﴿ وَمَا كَفَرْتُ بِأَنْ يَكُونَ لِلنَّاسِ لِسُنَّةِ اللَّهِ كَلِمَةٌ مِمَّا يَكْفُرُ النَّاسُ بِأَشْيَاءِ اللَّهِ مِنْ قَبْلِهِ إِذْ أُنزِلَتْ عَلَيْهَا مِنْ قِبَلِ رَبِّهِمْ حَقًّا وَمَا يَكْفُرُونَ بِهِ إِلَّا عَمَلٌ خَالِفٌ لِمَنْزِلِ الْوَحْيِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ رَبِّهِمْ مِنْ قَبْلُ وَمَا كَفَرُوكَ إِلَّا بِآيَاتِ اللَّهِ وَمَا كَفَرُوكَ إِلَّا بِالْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾

﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ باستعمال السحر وكتبه. قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف: (وَلَكِنْ) خفيفة النون (الشَّيَاطِينَ) رفع، والباقون: (وَلَكِنَّ) مشددة النون (الشَّيَاطِينَ) نصب<sup>(٢)</sup>.

ومعنى (لكن) نفى الخبر الماضي، وإثبات المستقبل.

﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ والسحر عبارة عن التَّمويه والتخييل، ووجوده

(١) في «ن»: «بيت المقدس».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٦)، و«الكشف» لمكي (١/٢٥٦)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٧)، و«تفسير البغوي» (١/٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٩٤).

## جنة السنة

حقيقةً عند أهل السنّة، وعليه أكثر الأمم، وهو محرّم بالإجماع.

واختلف الأئمة فيمن يتعلّم السحر ويستعمله، فقال أبو حنيفة ومالك: يكفر بذلك، وبعض أصحاب أبي حنيفة فصل، فقال: إن تعلّمه ليتقيه، أو ليتجنبه، فلا يكفر، وإن تعلّمه معتقداً لجوازه، أو أنه ينفعه، فإنه يكفر.

وقال الشافعي: إذا تعلّم السحر قلنا له: صِفْ سحرَكَ، فإن وصف ما يوجب الكفر، مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يُلتمس منها، فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر، فإن اعتقد إباحته، كفر، وإلا فلا.

وقال أحمد: الساحر الذي يركب المكنسة، فتسير به في الهواء، ونحوه؛ كالذي يدعي أن الكواكب تخاطبه، يكفر، ويقتل هو ومن يعتقده حلّه، فأما الذي يسحر بالأدوية والتدخين<sup>(١)</sup> وسقي شيء يضرّ، فلا يكفر، ويعزّر.

ويقتل بمجرد تعلّمه واستعماله عند مالك، وإن لم يقتل به.

وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يُقتل بذلك، فإن قتل بالسحر، قُتل عندهما، إلا أن أبا حنيفة قال: لا يُقتل حتى يقرّ بأني<sup>(٢)</sup> قتلت إنساناً بعينه.

وقال الشافعي: لو قال: قتلته بسحري، وسحري يقتل غالباً، فقد أقرّ بقتل العمد، وإن قال: وهو يقتل نادراً، فهو إقرارٌ بشبه العمد، وإن قال: أخطأت من اسم غيره إلى اسمه، فهو إقرارٌ بالخطأ، ثم دية شبه العمد،

(١) في «ت»: «التسخين».

(٢) في «ت»: «أني».

## جنة السنة

ودية الخطأ مخففة، كلاهما في مال الساحر، لا تطالبُ العاقلةُ بشيء إلا أن يصدّ قوه؛ لأن إقراره عليهم لا يُقبل.

وقال أحمد: إن قتلَ بفعله غالباً اقتُصَّ منه، وإلا الديةُ.

ويقتل حدّاً عند أبي حنيفة، ومالك.

وقال الشافعي وأحمد: يُقتل قصاصاً، وتقبل توبته عند الشافعي.

وقال مالك وأبو حنيفة - في المشهور عنه -، وأحمد في أصح روايته: لا تُقبل.

وأما ساحرُ أهل الكتاب، فقال مالك والشافعي وأحمد: لا يقتل، وقال أبو حنيفة: يُقتل.

وأما المسلمةُ الساحرة، فقال الثلاثة: حكمها حكمُ الرجل، وقال أبو حنيفة: تُحبس ولا تُقتل.

﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾ أي: ويعلمون الذي أنزل على الملكين؛ أي: ألهما وعُلّما، فالإنزالُ بمعنى الإلهام والتعليم، وبابل: هي بابلُ العراق، سميت به لتبليبلِ الألسنِ بها عند سقوطِ صرحِ نمرود؛ أي: تفرّقتها.

والأصحُّ مما قيل في ذلك: أن الله سبحانه امتحنَ الناسَ بالملكين في ذلك الوقت، فالشقيُّ بتعلّمه<sup>(١)</sup> فيكفر، والسعيد بتركه<sup>(٢)</sup> فيبقى على الإيمان.

﴿هَرُوتَ وَمَرُوتَ﴾ اسمان سريانان، وهما في محل الخفض على

(١) في «ن» و«ظ»: «يتعلمه».

(٢) في «ظ»: «يتركه».



تفسير الملكين، إلا أنهما نُصبا لعجمتهما وتعريفهما، وكانت قصتهما أن الملائكة رأوا ما يصعدُ إلى السماء من أعمالِ بني آدم الخبيثة في زمن إدريس - عليه السلام - فعيروهم، وقالوا: هؤلاء الذين جعلتَهُم في الأرض واخترتَهُم، فهم يعصونك، فقال الله - عز وجل -: لو أنزلتُكم<sup>(١)</sup> إلى الأرضِ ورَكَّبْتُ فيكم ما رَكَّبْتُ فيهم، ارتكبْتُم مثل ما ارتكبوا، فقالوا: سبحانك ما ينبغي لنا أن نعصيك، قال الله تعالى: فاختاروا ملكين من خياركم أهبطَهُما إلى الأرضِ، فاختاروا هاروتَ وماروتَ، وكانا من أصلح الملائكة وأعديهم، فرَكَّبَ اللهُ فيهما الشهوةَ، وأهبطَهُما إلى الأرضِ، وأمرَهُما أن يحكما بينَ الناسِ بالحقِّ، ونهاهُما عن الشُّركِ، والقتلِ بغيرِ الحقِّ، والزنا، وشربِ الخمرِ، فكانا يقضيان بين الناسِ يومَهُما، فإذا أمسيا ذكرا اسمَ اللهُ الأعظم، وصَعِدَا إلى السماء، فما مرَّ عليهما شهرٌ حتى افتتنا جميعاً، وذلك أن الزُّهْرَةَ - امرأة من أجمل النساء - جاءتَهُما تخاصمُ زوجها إليهما، فوقعَتْ في أنفسهما، فراوداها عن نفسها، فأبت وانصرفت، ثم عادت في اليوم الثاني، ففعلا مثلَ ذلك، فأبت وقالت: لا، إلا أن تعبدا ما أعبد، وتصلبياً لهذا الصنم، وتقتلا النفسَ، وتشربا الخمر، فقالا: لا سبيلَ إلى هذه الأشياء؛ فإن الله قد نهانا عنها، فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث، ومعها قدحٌ من خمر، وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها، فراوداها عن نفسها، فعرضت عليهما ما قالت بالأمس، فقالا: الصلاةُ لغيرِ اللهِ عظيمٌ، وقتلُ النفسِ عظيمٌ، وأهونُ الثلاثةِ شربُ الخمرِ، فشربا الخمرَ، فانتشياً، ووقعا بالمرأة فرنيا، فلما فرغا، رآهما إنسانٌ فقتلاه،

(١) في «ت»: «نزلتكم».

## جنة السنة

وسجدا للصنم، فمسخ الله الزهرة كوكباً، وحكي غير ذلك، فلما أمسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب؛ أي: اكتسباه، همًا بالصعود إلى السماء، فلم تطاوعهما أجنحتهما، فعلما ما حلَّ بهما، فقصدا إدريس النبي - عليه السلام -، فأخبراه بأمرهما، وسألاه أن يشفع لهما إلى الله، وقال له: إنا رأيناك يصعدك لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض، فاستشفع لنا إلى ربك، ففعل ذلك إدريس، فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا؛ إذ علما أنه ينقطع، فهما يبابل يعدبان إلى قيام الساعة<sup>(١)</sup>.

وروي أن رجلاً قصد هاروت وماروت لتعلم السحر، فوجدهما معلقين بأرجلهم، مزرقة أعينهما، مسودة جلودهما، ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا أربعة أصابع، وهما يعدبان بالعطش، فلما رأى ذلك، هاله مكانهما، فقال<sup>(٢)</sup>: لا إله إلا الله، فلما سمعا كلامه، قال له: من أنت؟ قال: رجل من الناس، قال: من أي أمة؟ قال: من أمة محمد ﷺ، قال: وقد بعث محمد ﷺ؟ قال: نعم قال: الحمد لله، وأظها الاستبشار، فقال<sup>(٣)</sup> الرجل: بم استبشاركما؟ قال: إنه نبي الساعة، وقد دنا انقضاء عذابنا<sup>(٤)</sup>.

﴿وَمَا يُعْلِمَانِ﴾ يعني: الملكين.

﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ أي: أحداً، و(مِنْ) صلة.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/١٠٠ - ١٠١).

(٢) في «ت»: «فقلا».

(٣) في «ن»: «فسأل».

(٤) المرجع السابق: (١/١٠١).

﴿ حَقٌّ ﴾ ينصحاء أولاً .

﴿ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ أي : ابتلاءً ومحنةً .

﴿ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ أي : لا تتعلم السحر لتعمل به فتكفر، وأصل الفتنة : الاختبار والامتحان، فإن أبي إلا التعلّم<sup>(١)</sup>، قال له : ائت هذا الرماد فبل عليه، فيخرج منه نورٌ ساطع في السماء، فتلك المعرفة، وينزل شيء أسود شبه الدخان حتى يدخل مسامعه، وذلك غضبُ الله - عز وجل - .

قال مجاهد : إن هاروتَ وماروتَ لا يصلُ إليهما أحدٌ، ويختلفُ فيما بينهما شيطانٌ في كلِّ مسألةٍ اختلافًا واحدةً .

﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ وهو أن يؤخذ كلُّ واحدٍ منهما عن صاحبه، ويُبَغِّضَ كلُّ واحدٍ إلى صاحبه، قال الله تعالى :

﴿ وَمَاهُمْ ﴾ أي : السحرة أو الشياطينُ .

﴿ بِضَارِّينَ بِهِ ﴾ أي : بالسحر .

﴿ مِنْ أَحَدٍ ﴾ أي : واحداً .

﴿ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أي : بقضاء الله وقدره ومشئته .

﴿ وَيَنْعَمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ ﴾ يعني : السحرُ يضرهم .

﴿ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا ﴾ يعني : اليهود .

﴿ لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ أي : اختار السحرَ . قرأ أبو عمرو، وحمزة،

والكسائي، وخلف : (اشتره) بالإمالة<sup>(٢)</sup> .

(١) في «ن» : «التعليم» .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ١٦٨)، و«الغيث» للصفارسي (ص : ١٢٧)، =

﴿ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ ﴾ أي: في الجنة.

﴿ مِنْ خَلْقٍ ﴾ نصيب، خبر.

﴿ وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا ﴾ أي: باعوا.

﴿ بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ أي: حظ أنفسهم؛ حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق.

﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني: اليهود، وقوله: ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ بعد قوله ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا ﴾ أي: لما لم يعملوا بما علموا، فكانهم لم يعلموا.

وقد أنكر القاضي عياض - رحمه الله - قصة هاروت وماروت، ونسب ما قيل فيها من الأخبار إلى كتب اليهود وافتراءهم كما نصه الله أول الآيات من افتراءهم بذلك على سليمان، وتكفيرهم إياه، وحكى عن خالد بن أبي عمران أنه نزههما عن تعليم السحر، وحكى قولاً: أن هاروت وماروت عِلجان<sup>(١)</sup> من أهل بابل، وقيل: كانا ملكين من بني إسرائيل، فمسخهما الله، والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

= و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩٦/١).

(١) في «ن»: «علمان».

(٢) انظر: «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (٢/٨٥٣). قال ابن كثير في «تفسيره» (١/١٤٢): وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين، كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ =

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٠٢﴾ .

[١٠٣] ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا ﴾ بمحمد ﷺ، والقرآن .

﴿ وَاتَّقَوْا ﴾ اليهودية والسحر .

﴿ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ لكان ثوابُ الله إياهم .

﴿ خَيْرٌ ﴾ لهم .

﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أي : أن ثوابَ الله خيرٌ مما هم فيه .

\*\*\*

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَأَسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿١٠٤﴾ .

[١٠٤] ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ وذلك أن المسلمين

كانوا يقولون : راعنا يا رسول الله ؛ من المراعاة ؛ أي : أرعنا سمعك ؛ أي :

فرغ سمعك لكلامنا ، وكانت هذه اللفظة شيئاً قبيحاً بلغة اليهود ؛ بمعنى

الحمق والرعونة ، فإذا أرادوا أن يحمقوا إنساناً ، قالوا له : راعنا ؛ أي :

يا أحمق ، فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين ، قالوا فيما بينهم : كنا

= ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم ، الذي لا ينطق عن الهوى ، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب ، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى ، والله أعلم بحقيقة الحال .

## جنة السنة

نسبُ محمدًا سرًّا، فأعلنوا به الآن، وكانوا يأتونه ويقولون: راعنا يا محمدُ، ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعدُ بنُ مُعاذٍ، ففطنَ لها، وكان يعرفُ لغتَهُم، فقال لليهود: لئن سمعتُها من أحدٍ منكم يقولُها لرسولِ الله ﷺ، لأضربنَّ عنقه، فقالوا: أولستُم تقولونها؟ فأنزل الله هذه الآية نهيًا للمؤمنين عن التشبُّه بهم، وقطعاً للذريعة لكيلا يجد اليهود والمنافقون بذلك سبيلاً إلى شتم رسولِ الله ﷺ (١).

﴿ وَقُولُوا أَنْظِرْنَا ﴾ أي: انظر إلينا.

﴿ وَأَسْمَعُوا ﴾ ما تؤمرون به؛ أي: وأطيعوا.

﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعني: الذين تهاونوا بالرسولِ ﷺ وسبُّوه، وهم اليهود.

\*\*\*

﴿ مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾.

[١٠٥] ﴿ مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ الآية، وذلك أن

المسلمين كانوا إذا قالوا لحلفائهم من اليهود: آمنوا بمحمد، قالوا: ما هذا

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧)، و«تفسير البغوي» (١/١٠٢)، و«العجاب» (١/٢٤٤)، و«فتح الباري» كلاهما لابن حجر (٨/١٦٣)، و«لباب النقول» للسيوطي (ص: ٢٤). قال ابن حجر: رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» عن ابن عباس بسند ضعيف جداً.

## جنة السنة

الذي تدعوننا إليه بخير مما نحنُ عليه، ووددنا<sup>(١)</sup> لو كان خيراً، فأَنْزَلَ اللهُ تكذيباً لهم<sup>(٢)</sup>:

﴿ مَا يُوَدُّ ﴾ أي: ما يحب ويتمنى .

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ يعني: اليهود .

﴿ وَلَا الْمُشْرِكِينَ ﴾ جرُّهُ بالنسق على (من)، والمراد: مشركو العرب؛ كأبي سفيان وغيره، والشركُ: وضعُ الشيء مع مثله .

﴿ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أي: خيراً ونبوءةً، و(من) صلة . قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو، ويعقوب: (يُنزَلُ) بالتخفيف مع إسكان النون، والباقون بالتشديد مع فتح النون<sup>(٣)</sup> .

﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ ﴾ أي: بنبوته .

﴿ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ والفضلُ: ابتداءُ الإحسان بلا علة .

\*\*\*

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

[١٠٦] ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾ قرأ العامةُ: بفتح النون والسين من

(١) في «ن» و«ت»: «وودنا» .

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧)، و«تفسير البغوي» (١/١٠٣)، و«العجاب» لابن حجر (١/٣٤٧) .

(٣) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٩٨) .

## جنة السنة

النسخ؛ أي: نرفعها. وقرأ ابنُ عامرٍ: (نُسِخَ) بضم النون الأولى، وكسر السين؛ من الإنساخ؛ أي: نجعله من المنسوخ<sup>(١)</sup>، وذلك أن المشركين قالوا: إن محمداً يأمرُ أصحابه بأمرٍ، ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ما يقوله إلا من تلقاء نفسه، يقول لهم اليومَ قولاً، ويرجعُ عنه غداً؛ كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾ [النحل: ١٠١]، وأنزل: ﴿ مَا نُنسَخُ مِنْ آيَةٍ ﴾، فبيّن وجه الحكمة في النسخ بهذه الآية.

﴿أو نسئها﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو: بفتح النون والسين، وهمزة ساكنة بين السين والهاء؛ أي: نُؤخِّرُها في اللوح المحفوظ. وقرأ الباقون: (نُسِها) بضم النون وكسر السين من غير همز؛ أي: نجعلها منسيةً، أي: متروكة<sup>(٢)</sup>.

﴿نَاتٍ بِحَيْرٍ مِّنْهَا﴾ أي: بما هو أنفعُ لكم، وأسهلُ عليكم، وأكثرُ

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٦)، و«الكشف» لمكي (٢٥٧/١)، و«تفسير البغوي» (٩٠/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢١٩/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩٨/١). غير أنه وقع من مطبوعة «تفسير البغوي»: قراءة العامة بفتح النون وكسر السين. والصحيح أنها بفتح السين، كما مرَّ في مراجع القراءات آنفاً.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢٠٦/١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٦)، و«الكشف» لمكي (٢٥٨/١)، و«تفسير البغوي» (٩٠/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢١٩/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩٩/١).



## جنة السنة

لأجركم، لا أن آية خير من آية؛ لأن كلام الله واحد كله خير.

﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾ في المنفعة والثواب، فكل<sup>(١)</sup> ما نسخ إلى الأيسر، فهو أسهل في العمل، وما نسخ إلى الأشق، فهو في الثواب أكثر.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من النسخ والتبديل، لفظه استفهام، ومعناه تقرير؛ أي: إنك تعلم. والنسخ لغة: الرفع والإزالة، ومنه نسخت الشمس الظل، والنقل نسخت الكتاب، وشرعاً: رفع حكم شرعي متراخ، والمنسوخ: الحكم المرتفع بالناسخ، والناسخ حقيقة هو الله، وأهل الشرائع على جوازه عقلاً، ووقوعه شرعاً، وخالف أكثر اليهود في الجواز، ويجوز النسخ قبل الفعل بعد دخول الوقت بالاتفاق، ويجوز نسخ التلاوة دون الحكم، وعكسه، وهما بالاتفاق، ويجوز نسخ قرآن وسنة متواترة بمثلها<sup>(٢)</sup>، وسنة بقرآن بالاتفاق، ولا حكم للناسخ مع جبريل - عليه السلام - اتفاقاً، فإذا بلغه، لم يثبت حكمه في حق من لم يبلغه. وزيادة عبادة مستقلة من غير الجنس ليست نسخاً، وكذا من الجنس، بالاتفاق.

\*\*\*

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿١٠٧﴾.

[١٠٧] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ﴾ يا معشر الكفار عند نزول العذاب.

(١) في «ت»: «وكل».

(٢) في «ن»: «بمثلها».

﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ مما سوى الله .

﴿ مِنْ وَلِيِّ ﴾ قريب ولا صديق .

﴿ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ناصرٍ يمنعكم من العذاب .

\*\*\*

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۗ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١٠٨) .

[١٠٨] ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ ﴾ نزلت في اليهود حين<sup>(١)</sup>

قالوا: يا محمد ايتنا بكتابٍ من السماءِ جملةً كما أتى موسى بالتوراة، قال الله تعالى:

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾ يعني: أتريدون، والميمُ صلةٌ.

﴿ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ ﴾ محمداً ﷺ .

﴿ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ سألهُ قومُه، فقالوا: ﴿ أَرَأَىٰ اللَّهُ جَهْرَةً ﴾

[النساء: ١٥٣]، ففيه منعهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلائل والبراهين .

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ ﴾ أي: أخطأ .

﴿ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ أي: وسط الطريق . قرأ ابن كثير، وعاصم، وقالون،

وأبو جعفر، ويعقوب: (فَقَدْ ضَلَّ) بإظهار دال (قد) عند الضاد، وكذلك

عند الظاء والذال والزاي حيث وقع، وافقهم ورشٌ عند الذال والزاي<sup>(٢)</sup> .

(١) في «ن»: «حيث» .

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٠٣) .

﴿ وَذَكَرَ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا نَبَّأْنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١٠٩﴾ .

[١٠٩] ﴿ وَذَكَرَ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ نزلت في نفرٍ من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أُحُدٍ: لو كنتم على الحق، ما هُزمتم، فارجعوا إلى ديننا، فنحن أهدي سبيلاً منكم، فقال لهم عمار: وكيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد، قال: فإنني عاهدتُ الله ألا أكفر بمحمد ﷺ ما عشتُ، فقالت اليهود: أما هذا، فقد صبأ، وقال حذيفة: أما أنا<sup>(١)</sup> رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، وبالكعبة قبلةً، وبالمؤمنين إخواناً، ثم أتيا رسولَ الله ﷺ فأخبراه بذلك، فقال: «أَصَبْتُمَا الْخَيْرَ وَأَفْلَحْتُمَا»، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَذَكَرَ كَثِيرٌ ﴾<sup>(٢)</sup> أي: تمنى، وأراد: أهل الكتاب من اليهود.

﴿ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ ﴾ يا معشرَ المؤمنين .

﴿ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا ﴾ نصبٌ على المصدر؛ أي: يحسدونكم حسداً .

﴿ مِّنْ عِنْدِ ﴾ أي: من تلقاء .

﴿ أَنفُسِهِمْ ﴾ لم يأمرهمُ الله بذلك .

(١) «أما أنا» سقطت من «ن» .

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٨)، و«تفسير البغوي» (١/١٠٥)، و«العجاب» لابن حجر (١/٣٥٦-٣٥٧) .

## جنة السنة

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ ﴾ في التوراة أَنَّ قَوْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ صَدَقَ،  
وَدِينُهُ حَقٌّ .

﴿ فَأَعْفُوا ﴾ أي : فاتركوا .

﴿ وَأَصْفَحُوا ﴾ أي : تجاوزوا، فالعفو: المحو، والصفح: الإعراض،  
وكان هذا قبل آية القتال .

﴿ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ﴾ بعذابه : القتل والسبي لبني قريظة، والجلاء  
والنفي لبني النضير .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فيقدر على الانتقام منهم .

\*\*\*

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ  
عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

[ ١١٠ ] ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا ﴾ أي : تُسلفوا .

﴿ لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ ﴾ طاعة وعمل صالح .

﴿ تَجِدُوهُ ﴾ أي : تجدوا ثوابه .

﴿ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ لا يضيع عنده عمل .

\*\*\*

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ  
قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

[ ١١١ ] ﴿ وَقَالُوا ﴾ عطف على ﴿ وَدَّ ﴾ ، والضمير لأهل الكتابين .

## جنة السنة

﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا ﴾ أي: يهودياً، واليهودُ جمعُ هائدٍ.  
﴿ أَوْ نَصْرِيًّا ﴾ وذلك أن اليهود قالوا: لن يدخل الجنة<sup>(١)</sup> إلا من كان يهودياً، ولا دين إلا اليهودية، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً، ولا دين إلا النصرانية، نزلت في وفدِ نجران، وكانوا نصارى، اجتمعوا في مجلسِ رسولِ الله ﷺ مع اليهود، فكذَّب<sup>(٢)</sup> بعضهم بعضاً، قال الله تعالى:

﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير الحق.  
قرأ أبو جعفر: بسكون الياء والتخفيف، مع كسر الهاء، والباقون: بتشديد الياء، وضم الهاء<sup>(٣)</sup>.

﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ.

﴿ هَاتُوا ﴾ أصله: آتوا.

﴿ بُرْهَانِكُمْ ﴾ حُجَّتكم على ما زعمتم.

﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في دَعْوَاكم، ثم قال رداً:

\*\*\*

﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿١١٦﴾.

(١) «الجنة» سقطت من «ت».

(٢) في «ت»: «فكذبت».

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٠٤).

[١١٢] ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أي: ليس كما قالوا، بل الحكم للإسلام، وإنما يدخل الجنة من أسلم.

﴿وَجَهَّهُ لِرَبِّهِ﴾ أي: أخلص دينه لله، وأصل الإسلام: الاستسلام والخضوع، وخصَّ الوجه؛ لأنه إذا جادَ بوجهه في السجود، لم يبخل بسائر جوارحه.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عمله.

﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة، وإلا فالיום المؤمنون أشدَّ خوفاً وحزناً من غيرهم؛ لنظرهم في مصيرهم، ولما قدم وفد نجران على النبي ﷺ، أتاهم أعيان اليهود، فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم، فقال لهم اليهود: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعبسى والإنجيل، وقال لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بموسى والتوراة، فأنزل الله تعالى:

\*\*\*

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ قَالَ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[١١٣] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: أمر يصح ويُعتدُّ به.

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ وكلا الفريقين يقرؤون الكتاب، معناه: ليس في كتابهم هذا الاختلاف، فدلَّ تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم ما فيه على كونهم على الباطل.

## جنة السنة

﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني : آباءهم الذين مضوا .

﴿ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ يقضي بين المحق والمبطل .

﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ من الدين . قرأ السوسي عن أبي عمرو : (يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ)<sup>(١)</sup> (أَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) (مَرِيَمَ بُهْتَانًا) (آدَمَ بِالْحَقِّ) وشبهه حيث وقع : بإسكان الميم عند الباء إذا تحرك ما قبلها تخفيفاً؛ لتوالي الحركات، فتخفى إذ ذاك بغنة، فإن سكن ما قبلها، تُرِكَ ذلك إجماعاً .

\*\*\*

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

[١١٤] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ أي : أكفر وأعتى .

﴿ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ ﴾ يعني : بيت المقدس ومحاربه .

﴿ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى ﴾ عمل .

﴿ فِي خَرَابِهَا ﴾ هو بُحْت نَصْرٌ وأصحابه، غزوا اليهود، وخرَّبوا بيت المقدس، وأعانهم على ذلك النصارى : طَيْطُوسُ الرومي وأصحابه، فغزوا بني إسرائيل ثانياً، فقتلوا مقاتلتهم، وسبوا ذراريهم، وحرقوا التوراة، وخرَّبوا بيت المقدس، وقذفوا فيه الجيف، وذبحوا فيه الخنازير، فكان

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٠٥).

## جنة السنة

خراباً إلى أن بناه المسلمون في أيامِ عمرَ بنِ الخطابِ - رضي الله عنه - ،  
فأنزل الله تعالى الآية (١) ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ  
وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾ (٢) .

﴿ أَوْلَيْتِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ أي : على وجه التهيّب ،  
وذلك أنّ بيتَ المقدسِ موضعُ حجِّ النَّصارى ، ومحلُّ زيارتهم ، قال ابن  
عباس : لم يدخلها بعدِ عمارتها روميّ إلا خائفاً ، لو عَلِمَ به ، قُتِلَ .

﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ عذابٌ وهوانٌ ، قال قتادة : هو القتلُ للحربيّ ،  
والجزيةُ للذميّ .

﴿ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وهو النارُ .

وقيل : نزلت في مشركي مكّة ، وأراد بالمساجد : المسجدَ الحرامَ ،  
منعوا رسولَ الله ﷺ وأصحابه من حجّه والصلاة فيه عامَ الحُدَيْبيةِ ، وإذا  
مَنَعُوا مَنْ يَعْمرُهُ بذكر الله ، فقد سَعَوْا في خرابه ﴿ أَوْلَيْتِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ  
يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ يعني : أهلَ مكّة ، يقول : أَفْتَحَهَا عَلَيْكُمْ حَتَّى  
تَدْخُلُوهَا ، وتكونوا أولى بها منهم ، ففتَحَهَا عليهم ، وأمرَ النبي ﷺ منادياً  
ينادي : « أَلَا لَا يَحُجَّنَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ » (٣) ، فهذا خوفُهم ، وثبتَ الشرعُ أن

(١) «الآية» سقطت من «ن» .

(٢) انظر : «تفسير الطبري» (٤٩٨/١) ، و«أسباب النزول» للواحدي (ص : ١٩) ،  
و«تفسير البغوي» (١٠٧/١) ، و«العجاب» لابن حجر (٣٥٩/١) ، و«الدر  
المنثور» للسيوطي (٢٦٤/١) .

(٣) رواه البخاري (٣٦٢) ، كتاب الصلاة ، باب : ما يستر من العورة ، ومسلم  
(١٣٤٧) ، كتاب : الحج ، باب : لا يحج البيت مشرك . . . عن أبي هريرة  
رضي الله عنه .



## جنة السنة

لا يُمَكَّنَ مشركٌ من دخولِ الحرم ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ﴾ الذُّلُّ والهوانُ والقتلُ والسبيُّ والنفيُّ<sup>(١)</sup>.

واختلف الأئمةُ في دخولِ الكفارِ المساجدَ، فقال أبو حنيفةٌ وأصحابه: يجوزُ للذميِّ دخولُ المسجدِ الحرامِ<sup>(٢)</sup> وغيره بالإذنِ، ومنعه مالكٌ وأحمدٌ مطلقاً، والشافعيُّ يمنعه في المسجدِ الحرامِ، ويُجيزه في غيره، ويأتي ذكرُ اختلافِهم في دخولِ الذميِّ حرمَ مكةَ، ومنعه من استيطانِ الحجازِ في سورة التوبة عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [الآية: ٢٨].

\*\*\*

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [١١٥].

[١١٥] ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ مُلْكاً وَخَلْقاً.

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ تَحَوَّلُوا وَجُوهَكُمْ.

﴿فَثَمَّ﴾ هُنَاكَ.

﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ أَي: جِهَتُهُ الَّتِي أَمَرَ بِهَا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: خَرَجَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ قَبْلَ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَصَابَهُم الضَّبَابُ، وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَتَحَرَّوْا الْقِبْلَةَ، وَصَلَّوْا، فَلَمَّا ذَهَبَ الضَّبَابُ، اسْتَبَانَ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَصِيبُوا، فَلَمَّا قَدِمُوا، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/١٠٧).

(٢) «الحرام» سقطت من «ن».

## جنة السنة

ذلك، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. وقال عبدُ الله بنُ عمر: نزلت في المسافرِ يصلي التطوُّعَ حيثما توجَّهتْ به راحلته<sup>(٢)</sup>، وقيلَ غيرُ ذلك.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ أي: غنيٌّ يعطي من السَّعة.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ بِنِيَّاتِهِمْ حَيْثَمَا صَلَّوْا وَدَعَوْا.

\*\*\*

﴿وَقَالُوا أَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلْبِنُونَ﴾<sup>(١١٦)</sup>.

[١١٦] ﴿وَقَالُوا أَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: (قَالُوا) بغيرِ واو، وقرأ الباكون بالواو<sup>(٣)</sup>. [و]<sup>(٤)</sup> نزلتْ في يهود المدينة؛ حيث قالوا: عزيزُ ابنُ الله، وفي نصارى نجران حيثُ قالوا: المسيحُ ابنُ الله، وفي مشركي العرب حيثُ قالوا: الملائكةُ بناتُ الله<sup>(٥)</sup>.

- 
- (١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩)، و«تفسير البغوي» (١/١٠٨).
- (٢) رواه مسلم (٧٠٠)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجَّهت.
- (٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٨)، و«الكشف» لمكي (١/٢٦٠)، و«تفسير البغوي» (١/٩٦)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٠٦).
- (٤) زيادة من «ن».
- (٥) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠)، و«تفسير البغوي» (١/١٠٨)، =

﴿سُبْحٰنَهُۥٓ نَزَّهَةً وَعَظَمَ نَفْسَهُۥ﴾ .

﴿بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ عَبِيدًا وَمُلْكًا﴾ .

﴿كُلُّ لَّهُ قٰنِیْنُوْنَ﴾ أي : طائعون .

\*\*\*

﴿بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَإِذَا قَضٰیٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُۥ كُنْ فَيَكُوْنُ﴾ (١١٧) .

[١١٧] ﴿بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ﴾ أبداع؛ أي : اخترع بلا مثالٍ سبق .

﴿وَإِذَا قَضٰیٰٓ أَمْرًا﴾ أي : قَدَّرَهُ، وأصلُ القضاءِ : الفراغُ، ومنه قيل لمن مات : قُضِيَ عليه؛ لفراغه من الدنيا، ومنه قضاءُ الله وقدره؛ لأنه فُرِغَ منه تقديرًا وتدبيرًا، وقد وردَ لفظُ القضاءِ في القرآن على عشرةٍ أوجهٍ سيأتي ذكرها في سورة الزخرف - إن شاء الله تعالى - .

﴿فَإِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُۥ كُنْ فَيَكُوْنُ﴾ أي : احدثُ فيحدثُ . قرأ ابن عامر : (كُنْ فَيَكُوْنُ) بنصب النون في جميع المواضع، إلا في آل عمران : ﴿كُنْ فَيَكُوْنُ﴾ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿آل عمران: ٥٩-٦٠﴾، وفي الأنعام : ﴿كُنْ فَيَكُوْنُ قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وإنما نصبها؛ لأن جواب الأمر بالفاء يكون منصوبًا . وقرأ الباقون : بالرفع<sup>(١)</sup> على معنى : فهو يكون، فأما

= و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/٣٦٦) .

(١) انظر : «الحجة» لأبي زرعة (ص : ١١٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ١٦٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص : ٨٨)، و«الكشف» لمكي (١/٢٦٠)، و«تفسير البغوي» (١/٩٧)، و«التيسير» للداني (ص : ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٤٦) ، =

## جنة السنة

حرف آل عمران، فإن معناه: كن، فكان، وأما حرف الأنعام، فمعناه الإخبار عن القيامة، وهو كائن لا محالة، ولكنه لما كان ما يُراد في القرآن من ذكر القيامة كثيراً يذكر بلفظ الماضي؛ نحو: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [١٥] وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ ﴿[الحاقة: ١٥-١٦]، وَنَحْوِ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، ونحو ذلك، فشابه ذلك، فرُفع، ولاشك أنه إذا اختلفت المعاني اختلفت الألفاظ. قال الأخفش الدمشقي: إنما رفع ابن عامر في الأنعام على معنى سين الخبر؛ أي: فسيكون.

\*\*\*

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [١١٨].

[١١٨] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هم الجهلة المشركون، نفى العلم عنهم؛ لعدم انتفاعهم به.

﴿لَوْلَا﴾ أي: هلا.

﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ عياناً أنك رسوله.

﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ دلالة وعلامة على صدقك، قال الله تعالى:

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: كفار الأمم الخالية.

﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: أشبه بعضها بعضاً في الكفر

والعمى.

= و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٠٦).

﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿ أَنَّهَا آيَاتٌ يَجِبُ الاعْتِرَافُ بِهَا  
والإيمان، ثم أوضح الآياتِ فقال:

\*\*\*

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ  
الْجَحِيمِ ﴾ ﴿١١٩﴾ .

[١١٩] ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالصدق، وهو القرآن.

﴿بَشِيرًا﴾ أي: مبشراً لأولياي وأهل طاعتي بالثواب الكريم.

﴿وَنَذِيرًا﴾ أي: منذراً مخوفاً لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الأليم.

﴿وَلَا تُسْأَلُ﴾ قرأ نافعٌ ويعقوبُ: (وَلَا تُسْأَلُ) بفتح التاء وجزم اللام على

النهي، قال ابن عباس: وذلك أن النبي ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: «لَيْتَ شِعْرِي مَا

فَعَلَ أَبَوَايَ»، فنزلت<sup>(١)</sup>. وقرأ الباقون (وَلَا تُسْأَلُ) بالرفعِ على النفي؛ أي:

ولست بمسؤولٍ<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٥١٦/١)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠ -

٢١)، و«تفسير البغوي» (١١٠/١)، و«العجاب» لابن حجر (٣٦٨/١)، و«الدر

المنثور» (٢٧١/١)، و«لباب النقول» كلاهما للسيوطي (ص: ٢٨).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرة (ص: ١١١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٩)،

و«إعراب القرآن» للنحاس (٢٠٩/١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٧)،

و«الكشف» لمكي (٢٦٢/١)، و«تفسير البغوي» (٩٨-٩٩)، و«الكشاف»

للزمخشري (٩١/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات

العشر» لابن الجزري (٢٢١/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص:

١٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٧/١).

## جنة السنة

﴿عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَبِيبٍ﴾ ما لهم لم يوقنوا بعدما بَلَغَتْ، والجحيمُ: مُعْظَمُ النار.

\*\*\*

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾.

[١٢٠] ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ وذلك أنهم<sup>(١)</sup> كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنة، ويُطِيعونه أنه إن أمهلهم، اتبعوه، فأنزل الله هذه الآية<sup>(٢)</sup>، معناه: إنك وإن هادنتهم، فلا يرضون بها، وإنما يطلبون ذلك تعللاً، ولا يرضون منك إلا باتباع ملَّتِهم، والملة: الطريقة.

﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ﴾ الذي هو الإسلام.

﴿هُوَ الْهُدَىٰ﴾ الذي لا زيادة عليه.

﴿وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الخطابُ مع النبي ﷺ، والمرادُ به الأمة؛ كقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: البيانِ بأنَّ دينَ الله هو الإسلام، والقبلة قبلة إبراهيم، وهي الكعبة.

﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

(١) «أنهم» سقطت من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/١١٠)، و«أسباب النزول» للواحي (ص: ٢١)، و«لباب النقول» للسيوطي (ص: ٢٨).

## جنة السنة

ونزل في أهل السفينة الذين قَدِمُوا مع جعفر بن أبي طالب، وكانوا أربعين رجلاً: اثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من رهبان الشام، منهم بحيرا الراهب. وقيل: فيمن آمن من اليهود: عبد الله بن سلام وأصحابه، وقيل: في أصحاب محمد ﷺ، وقيل: في جميع المؤمنين<sup>(١)</sup>:

\*\*\*

﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ءَأُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ؕ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ؕ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ .

[١٢١] ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴕ أَي : يقرؤونه كما أنزل، ولا يُحرّفونه .

﴿ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ؕ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ؕ ﴕ من المحرّفين<sup>(٢)</sup> .

﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴕ لا استبدالهم الضلالة بالهدى .

\*\*\*

﴿ يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ ۞ .

[١٢٢] ﴿ يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴕ .

\*\*\*

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحيدي (ص: ٢١).

(٢) في «ن»: «المجرمين» .

﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [١٢٣].

﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ومعنى ﴿ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ ﴾ أي: ليست ثم، وليس المعنى أنه يشفع فيهم أحدٌ فيردُّ.

\*\*\*

﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [١٢٤].

﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ ﴾ أي: واذكر إذا ابتلى، والابتلاء: الاختبار، وابتلاء الله العباد ليس ليعلم حالهم بالابتلاء؛ لأنه عالمٌ بهم، ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضاً.

﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ هو اسمٌ أعجميٌّ، ولذلك لا يُجرُّ، ومعناه بالسريانية: الأب الرحيم، وهو إبراهيم بن تارح بن ناحور، وكان مولده بكوثا، ولكن نقله أبوه إلى بابل أرضِ نمرود بنِ كنعان، عاش إبراهيم - عليه السلام - مئة وخمسة وسبعين سنة، وقيل غير ذلك، وبين وفاته والهجرة الشريفة الإسلامية ألفان وسبع مئة وثمانية عشرة سنة، ودفن بمغارة حبرون<sup>(١)</sup> بجبل بيلون تجاه بيت المقدس مما يلي القبلة بمسافة<sup>(٢)</sup> تقرب من برّيدين، فقيل: إنها ثلاثة عشر ميلاً، وقيل: ثمانية عشر ميلاً، ثم بنى سليمان - عليه السلام - على المغارة حيزاً بأمر الله تعالى، ولم يثبت قبرُ نبيٍّ من الأنبياء سوى قبرِ

(١) في «ن»: «حبرون».

(٢) في «ن»: «من مسافة».



## جنة السنة

نبينا محمد ﷺ بداخل الحُجْرَةِ الشريفةِ بِطَيْبَةِ المَشْرِفَةِ، وقبر الخليل - عليه السلام - بداخل الحَيْرِ السُّلَيْمَانِيِّ، وما عداهما من الأنبياء - عليهم السلام -، فمحل قبورهم بالظن لا بالقطع. قرأ هشامٌ: (إبراهيم) بالألفِ جميعاً ما في هذه السورة، وجملته خمسة عشر موضعاً، واختلِفَ عن ابنِ ذكوان، وكذلك رُوي عنهما في مواضعٍ أُخرى يأتي ذكرها في محلّها، جملتها ثمانية عشر موضعاً غير ما في هذه السورة، ووجه خصوصيّة هذه المواضع، وهي ثلاثة وثلاثون موضعاً: أنها كُتبت في المصاحف الشامية بحذف الياء منها خاصّةً، وكذلك وُجدت في المصحفِ المدنيّ، وكُتبت في بعضها في سورة البقرة خاصّةً، ورُوي عن ابنِ عامرٍ الألفُ في جميع القرآن<sup>(١)</sup>.

﴿ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ ﴾ هُنَّ شَرَائِعُ الإِسْلَامِ .

﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ أَي : أَدَاهُنَّ وَعَمَلَ بِهِنَّ .

﴿ قَالَ ﴾ اللهُ ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ يُقْتَدَى بِكَ فِي الخَيْرِ .

﴿ قَالَ ﴾ إِبْرَاهِيمُ ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ أَي : مِنْ أَوْلَادِي أَيْضًا ، فَاجْعَلْ مِنْهُمْ

أُمَّةٌ يُقْتَدَى بِهِمْ .

﴿ قَالَ ﴾ اللهُ تَعَالَى :

﴿ لَا يَتَّأَلُ ﴾ لَا يَصِيبُ .

﴿ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ أَي : مَنْ كَانَ مِنْهُمْ ظَالِمًا لَا يَصِيبُهُ عَهْدِي ؛ أَي :

الإِمَامَةُ . وَنَصَبَ (الظَّالِمِينَ) ؛ لِأَنَّ العَهْدَ يَنَالُ كَمَا يُنَالُ . قَرَأَ حَمْزَةً ، وَحَفِصٌ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٩)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٣٥)،

و«تفسير البغوي» (١/١٠١)، و«الكشف» لمكي (١/٢٦٣)، و«النشر في

القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢١-٢٢٢)، و«إتحاف فضلاء البشر»

للدمياطي (ص: ١٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١١٠).

## جنة السنة

(عَهْدِي) بِإِسْكَانِ الْيَاءِ، وَالْبَاقُونَ: بِفَتْحِهَا<sup>(١)</sup>، وَمَعْنَى الْآيَةِ: لَا يَنْالُ مَا عَهَدْتُ إِلَيْكَ مِنَ النَّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ مَنْ كَانَ ظَالِمًا مِنْ وَلَدِكَ.

\*\*\*

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ .

﴿ وَإِذْ ﴾ عَطْفٌ عَلَى (إِذ) الْمَتَقَدِّمَةِ .

﴿ جَعَلْنَا الْبَيْتَ ﴾ يَعْنِي: الْكَعْبَةَ . قَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو جَعْفَرٍ، وَعَاصِمٌ، وَابْنُ ذَكْوَانَ، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلَادٌ، وَيَعْقُوبُ، وَخَلْفٌ: (وَإِذْ جَعَلْنَا) بِإِظْهَارِ ذَالِ (إِذ) عِنْدَ الْجِيمِ حَيْثُ وَقَعَ، وَالْبَاقُونَ: بِالْإِدْغَامِ<sup>(٢)</sup> .

﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ أَي: مَرْجِعًا لَهُمْ .

﴿ وَأَمْنَاً ﴾ يَأْتُونَ فِيهِ مِنْ إِذْيَاءِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَإِنَّهُمْ مَا كَانُوا يَتَعَرَّضُونَ لِأَهْلِ مَكَّةَ، وَيَقُولُونَ: هُمْ أَهْلُ اللَّهِ، وَيَتَعَرَّضُونَ لِمَنْ حَوْلَهُ .

﴿ وَاتَّخِذُوا ﴾ قَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ: بِفَتْحِ الْخَاءِ عَلَى الْخَبَرِ، وَالْبَاقُونَ: بِكسرها على الأمر<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/١٠١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٣٥)، و«التيشير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١١٠) .

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١١١) .

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: =

﴿ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ والصحيحُ أن مقام إبراهيم هو الحجرُ الذي في المسجد يصلي خلفه الإمام المقلدُ لمذهب الشافعيّ، وذلك الحجرُ الذي قامَ عليه إبراهيمُ عندَ بناء البيت .

وعن عمر - رضي الله عنه - أنه قال: «وافقتُ اللهَ في ثلاثٍ، ووافقتني ربي في ثلاث: قلتُ: يا رسولَ الله! لو اتخذتَ من مقام إبراهيم مُصَلًّى، فأنزل الله - عز وجل -: ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾، وقلتُ: يا رسولَ الله! يدخلُ عليك البرُّ والفاجرُ، فلو أمرتَ أمهاتِ المؤمنينَ بالحجاب<sup>(١)</sup>، فأنزل الله آيةَ الحجاب، قال: وبلغني معاتبَةُ النبي ﷺ بعضَ نسائه، فدخلتُ عليهنَّ، قلتُ: إن انتهيتنَّ أو لبيدلنَّ اللهُ رسوله خيراً منكُنَّ، فأنزلَ الله - عز وجل -: ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ ﴾<sup>(٢)</sup> [التحریم: ٥].

وأما قصةُ المقام، فروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: «لما أتى إبراهيمُ بإسماعيلَ وهاجرَ، ووضعهما بمكَّةَ، وأتت على ذلك مدَّةً، ونزلها الجُرهميُّونَ، وتزوَّجَ إسماعيلُ منهم امرأةً، وماتت هاجرُ، استأذنَ إبراهيمُ سارةَ أن يأتيَ مكَّةَ، فأذنتُ له، وشرطتُ ألاَّ ينزلَ، فقدمَ إبراهيمُ فذهبَ إلى بيتِ إسماعيلَ، فقال لامرأته: أين صاحبُك؟ قالت:

= (١٩٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/٢١٠)، و«الكشف» لمكي (١/٢٦٤)، و«تفسير البغوي» (١/١٠٢)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١١١).

(١) في «ن»: «الحجاب».

(٢) رواه البخاري (٤٢١٣)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ عن أنس. ورواه مسلم (٢٣٩٩)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر - رضي الله عنه -، عن ابن عمر مختصراً.

ذهب يتصيد، وكان إسماعيلُ يخرج من الحرم فيصيدُ، فقال لها إبراهيم: هل عندك ضيافة؟ قالت: ليس<sup>(١)</sup> عندي، وسألها عن عَيْشِهِمْ، فقالت: نحنُ في ضيقٍ وشدّةٍ، وشكيتُ إليه، فقال لها: إذا جاءَ زوجك فأقرئيه السّلامَ، وقولي له: فليغيرُ عتبهُ بابِه، وذهب إبراهيمُ فجاءَ إسماعيلُ فوجدَ ريحَ أبيه، فقال لامرأته: هل جاءكِ أحدٌ؟ قالت: جاءني شيخٌ من صفته كذا وكذا؛ كالمستخفة<sup>(٢)</sup> بشأنِه، قال: فما قال لكِ؟ قالت: قال: أقرئي زوجك السّلامَ، وقولي له يغيرُ عتبهُ بابِه، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك، فطلقها، وتزوجَ منهم أخرى، فلبثَ إبراهيمُ ما شاءَ الله، ثم استأذنَ سارةَ أن يزورَ إسماعيلَ، فأذنتُ له، وشرطتُ عليه ألا ينزلَ فجاءَ إبراهيمُ حتى انتهى إلى بابِ إسماعيلَ، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ذهبَ يتصيدُ، وهو يجيءُ الآن إن شاءَ الله، فانزلُ يرحمك الله، قال: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم، فجاءت باللبنِ واللحمِ، وسألها عن عَيْشِهِمْ، فقالت: نحنُ بخير وسعةٍ، فدعا لهما بالبركة، ولو جاءت يومئذٍ بخبزٍ أو بُرٍّ أو شعيرٍ أو تمرٍ، لكانت أكثرَ أرضِ الله بُرًّا وشعيراً وتمرّاً، فقالت له: انزلُ حتى أغسلَ رأسك، فلم ينزلُ، فجاءته بالمقام، فوضعتُه عن شِقِّهِ الأيمنِ، فوضع قدمه عليه، فغسلت شِقَّ رأسِهِ الأيمنِ، ثم حَوَّلَتْهُ إلى شِقِّهِ الأيسرِ، فغسلت شِقَّ رأسِهِ الأيسرِ، فبقيَ أثرُ قدميه عليه، فقال لها: إذا جاءَ زوجك، فأقرئيه السّلامَ، وقولي له: قد استقامتُ عتبهُ بابِك، فلما جاءَ إسماعيلُ، وجدَ ريحَ أبيه، فقال لامرأته: هل جاءكِ أحدٌ؟ قالت: نعمُ شيخٌ أحسنُ

(١) في «ت»: «ليست».

(٢) في «ن»: «المستخفية».

الناسِ وجهاً، وأطيبهم ريحاً، وقال لي: كذا وكذا، وقلت له: كذا وكذا، وغسلت رأسه، وهذا موضع قدميه، فقال: ذاك إبراهيم، وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك».

وعن ابن عباس أيضاً قال: «ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعدُ وإسماعيلُ يبُري نبلاً تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه، قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالدُ بالولد، والولدُ بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل! إن الله أمرني بأمرٍ تعينني عليه؟ قال: أعينك، قال: إن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً، فعند ذلك رفع القواعدَ من البيتِ، فجعل إسماعيلُ يأتي بالحجارة، وإبراهيمُ يبني حتى ارتفع البناءُ، جاء بهذا الحجر، فوضعه له، فقام إبراهيمُ على حَجَرِ المَقَامِ، وهو بيني وإسماعيلُ يناوله الحجارة، وهما يقولان:

﴿رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]»<sup>(١)</sup>.

وفي الخبر: «الرُّكْنُ وَالْمَقَامُ يَأْقُوتَتَانِ مِنْ يَوَاقِيتِ الْجَنَّةِ، وَلَوْلَا مَا مَسَّتُهُ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ، لَأَضَاءَتَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري (٣١٨٤)، كتاب: الأنبياء، باب: ﴿يَرْفُونَ﴾. وانظر: «تفسير البغوي» (١/١١٣).

(٢) رواه الترمذي (٨٧٨)، كتاب: الحج، باب: ما جاء في فضل الحجر الأسود والركن والمقام، وقال: حديث غريب، والإمام أحمد في «المسند» (٢/٢١٣)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٧٣١)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٧١٠)، والحاكم في «المستدرک» (١٦٧٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/٧٥)، وغيرهم، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما - بلفظ: «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله نورهما، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب». وما ذكره المؤلف من لفظ الحديث، فإنما نقله عن البغوي في «تفسيره» (١/١١٤).

## جنة السنة

﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أي: أمرناهما، وأوصينا إليهما، وسُمِّي إسماعيل؛ لأن إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولداً، ويقول: اسمع يا إيل، وإيل هو الله، فلما رُزق، سماه به<sup>(١)</sup>، وقيل: معناه بالعبراني مطيعُ الله، وأمه هاجر، وُلد لمضيِّ ستِّ وثمانين سنةً من عُمر إبراهيم، وأرسله الله إلى قبائل اليمن وإلى العماليق، وعاش مئةً وسبعاً وثلاثين سنةً، ومات بمكة، ودفن عند قبر أمه بالحجر، وكانت وفاته بعد وفاة أبيه إبراهيم بثمان وأربعين سنةً.

﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي﴾ يعني: الكعبة، أضافه إليه تخصيصاً وتفضيلاً؛ أي: ابنيه على الطهارة والتوحيد. قرأ نافع، وأبو جعفر، وهشام، وحفص (بَيْتِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها<sup>(٢)</sup>.

﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ الدائرین حوله.

﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ المقيمين والمجاورين.

﴿وَالرُّكَّعِ﴾ جمع راعٍ.

﴿السُّجُودِ﴾ جمع ساجد، وهم المصلُّون.

\*\*\*

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/١٠٤).

(٢) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٧)، و«الكشف» لمكي (١/٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«تفسير البغوي» (١/١٠٤)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١١٢).

مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ  
وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ .

[١٢٦] ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا ﴾ يعني : المكان .

﴿ بَدَاءً آمِنًا ﴾ أي : ذا أمنٍ يَأْمَنُ فِيهِ أَهْلُهُ .

﴿ وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ إنما دعا بذلك ؛ لأنه كان بوادٍ غيرِ ذي زرع ،  
وفي القصص أن الطائفَ كان من مدائنِ الشامِ بِأَرْدُنَّ ، فلما دعا إبراهيمُ -  
عليه السلام - هذا الدعاءَ أمرَ اللهُ جبريلَ - عليه السلام - حتى قلعَها من  
أصلِها ، فأدارَها حولَ البيتِ سبعاً ، ثم وضعَها موضعَها الذي هي الآن فيه ،  
فمنها أكثرُ ثمراتِ مكة<sup>(١)</sup> .

﴿ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ دعا للمؤمنين خاصةً .

﴿ قَالَ ﴾ اللهُ تعالى .

﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ ﴾ أي : أَمُدُّ لَهُ ؛ ليتناول من لذات الدنيا ؛ إثباتاً للحجة  
عليه ، وأصلُ المتوع : الامتداد . قرأ ابنُ عامرٍ : (فَأُمْتِعُهُ) بسكون الميم  
وتخفيف التاء ، والباقون : بفتح الميم وتشديد التاء<sup>(٢)</sup> ، ومعناها واحد .  
﴿ قَلِيلًا ﴾ إلى منتهى أجله ، وذلك أن الله تعالى وعدَ الرزقَ للخلقِ كافَّةً ،  
مؤمنهم وكافرهم ، وإنما قيد بالقلَّة ؛ لأن متاعَ الدنيا قليل .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (١/١٠٥) .

(٢) انظر : «الحجة» لأبي زرعة (ص : ١١٣) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ١٧٠) ،  
و«الحجة» لابن خالويه (ص : ٨٧) ، و«الكشف» لمكي (١/٢٦٥) ، و«تفسير  
البغوي» (١/١٠٥) ، و«التيسير» للداني (ص : ٧٦) ، و«النشر في القراءات  
العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١١٢) .

## جنة السنة

﴿ ثُمَّ أَصْطَرُّهُ ﴾ أي: أُلجئه في الآخرة.

﴿ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُنَسِّ الْمَصِيرُ ﴾ المرجع الذي يصير إليه. قرأ أبو جعفر، وقالون، وأبو عمرو (بيس) بغير همز، والباقون بالهمز<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [١٢٧].

[١٢٧] ﴿ وَإِذْ ﴾ أي: واذكر إذ.

﴿ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ وتعطفُ على إبراهيم.

﴿ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ روي أن الله خلق موضع البيت قبل الأرض، بألفي عام، وكانت زبدة بيضاء على الماء، فدحيت الأرض من تحتها، فلما أهبط الله آدم إلى الأرض، استوحش، فشكا إلى الله تعالى، فأنزل الله البيت المعمور من ياقوتة من ياقوت الجنة له بابان من زمرّد أخضر، له باب شرقي، وباب غربي، فوضعه على موضع البيت، وقال: يا آدم! إني أهبطت إليك بيتاً تطوف به كما يطاف حول عرشي، وتصلي عنده كما يُصلّى عند عرشي، وأنزل الحجر، وكان أبيض، فاسودّ من لمس الحِيض في الجاهلية، فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشياً، وقبض الله له ملكاً يدلّه على البيت، فحجّ البيت، وأقام المناسك، فلما فرغ، تلقته الملائكة وقالوا: بَرَّ حُجُّكَ يا آدم، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام.

(١) انظر: «إتحاف الفضلاء» للدمياطي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية»

(١١٤/١).



قال ابن عباس: حجَّ آدمُ أربعينَ حجَّةً من الهندِ إلى مكة على رجليه، وكان على ذلك إلى أيام الطوفان، فرفعه الله إلى السماء الرابعة، يدخله كلَّ يوم سبعون ألفَ ملكٍ لا يعودون إليه، وبعث الله جبريلَ حتى خَبَأَ الحجرَ الأسودَ في جبل أبي قُبَيْسٍ؛ صيانَةً له من الغرق، وكان موضعُ البيتِ خالياً إلى زمن إبراهيم - عليه السلام -، ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم بعد ما وُلد له إسماعيلُ وإسحاقُ ببناء بيتٍ يُذكَرُ فيه، فسأل الله - عز وجل - أن يبين له موضعه، فبعث الله سبحانه سحابةً على قَدْرِ الكعبة، فجعلت تسيروا إبراهيمُ يمشي في ظلِّها إلى أن وافت مكة، ووقفت على موضع البيتِ، فنودي منها: يا إبراهيم! أن ابنِ علي ظلِّها لا تزُد ولا تنقص، فبنى إبراهيمُ وإسماعيلُ البيتَ، فكان إبراهيمُ بينيه، وإسماعيلُ يناوله الحجارة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ يعني: الأساس، جمعُ قاعدة، فلما انتهى إبراهيمُ إلى موضع الحجرِ الأسود، قال لابنه إسماعيلَ: اتنني بحجرٍ حسنٍ يكون للناسِ علماً، فأتاه بحجرٍ، فقال: اتنني بأحسن من هذا، فمضى إسماعيلُ<sup>(١)</sup> يطلبه، فصاح أبو قُبَيْسٍ: يا إبراهيم! إن لك عندي وديعةً فخذها، فأخذ الحجرَ الأسودَ فوضعه مكانه.

وقيل: أولُ مَنْ بنى الكعبةَ في الأرض الملائكةُ بأمرِ الله بحيالِ البيتِ المعمورِ في السماءِ على قدره ومثاله، وقيل: أولُ من بنى الكعبةَ آدمُ، واندرسَ زمن الطوفان، ثم أظهره الله لإبراهيمَ حتى بناه<sup>(٢)</sup>.

(١) في «ت»: «إبراهيم».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/١٠٥ - ١٠٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/٢٦٥).

﴿ رَبَّنَا نَقْبَلُ مَنَّا ۖ فِيهِ إِضْمَارٌ؛ أَي: وَيَقُولَانِ: رَبَّنَا تَقْبَلُ مِنَّا بِنَاءَنَا الْبَيْتَ .  
 ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ ﴾ لِدَعَائِنَا .  
 ﴿ أَعْلِيمُ ﴾ بِنِيَاتِنَا .

\*\*\*

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [١٢٨] .

[١٢٨] ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ ﴾ أَي: صَيَّرْنَا مَوْحِدِينَ مُطِيعِينَ مَخْلِصِينَ خَاضِعِينَ لَكَ، وَكَانَا كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ<sup>(١)</sup> التَّثْبِيثَ وَالِدَوَامَ، وَالْإِسْلَامَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْإِيمَانَ وَالْأَعْمَالَ جَمِيعاً .  
 ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا ﴾ أَي: وَمِنْ أَوْلَادِنَا .  
 ﴿ أُمَّةً ﴾ جَمَاعَةً، وَالْأُمَّةُ: أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ .

﴿ مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ خَاضِعَةً لَكَ، وَ(مِنْ) هُنَا لِلتَّبَعِيضِ، وَخَصَّ مِنَ الذَّرِيَّةِ بَعْضاً؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْلَمَهُ أَنَّ مِنْهُمْ ظَالِمِينَ .

﴿ وَأَرِنَا ﴾ عَلَّمْنَا . قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَيَعْقُوبُ: (وَأَرِنَا) بِإِسْكَانِ الرَّاءِ، وَأَبُو عَمْرٍو: بِالِاخْتِلَاسِ، وَالْبَاقُونَ: بِكَسْرِهَا<sup>(٢)</sup>، وَأَصْلُهَا: أَرَيْنَا، فَحَذَفَتْ

(١) فِي «ن» وَ«ت»: «أَرَادَ» .

(٢) انظُر: «الْحِجَّةُ» لِأَبِي زُرْعَةَ (ص: ١١٤)، وَ«السَّبْعَةُ» لِابْنِ مَجَاهِدٍ (ص: ١٧٠)، وَ«الْحِجَّةُ» لِابْنِ خَالَوَيْهِ (ص: ٨٧)، وَ«تَفْسِيرُ الْبَغْوِيِّ» (١/١٠٦-١٠٧)، وَ«الْكَشَافُ» لِلزَّمَخْشَرِيِّ (١/٩٤)، وَ«التَّيْسِيرُ» لِلدَّانِي (ص: ٧٦)، وَ«النَّشْرُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ» لِابْنِ الْجَزْرِيِّ (٢/٢٢٢)، وَ«مَعْجَمُ الْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ» (١/١١٥) .

الياء للجزم، ونقلت حركة الهمزة إلى الراء، وحُذفت تخفيفاً، ومن سكن قال: ذهبت الهمزة، فذهبت حركتها.

﴿مَنَاسِكُنَا﴾ شرائع ديننا، وأعلام حَجِّنَا، وأصل النسك: العبادة، والناسك: العابد، فأجاب الله دعاءهما، وبعث جبريل - عليه السلام - فأراهما المناسك في يوم عرفة، فلما بلغ عرفات، قال: عرفت يا إبراهيم؟ قال: نعم، فسمي الوقتُ عرفة، والموضعُ عرفات<sup>(١)</sup>.

﴿وَبَّ عَلَيْنَا﴾ وتجاوز عنا.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ لمن تاب.

\*\*\*

﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[١٢٩] ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي: في الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل.

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ أي: مرسلًا، وأراد به محمداً ﷺ. قال ابن عباس: «كلُّ الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، ويعقوب، ومحمد - صلواتُ الله عليهم أجمعين -»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١٠٧/١).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٧٢٣)، والحاكم في «المستدرک» (٣٤١٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٣).

﴿يَتْلُوا﴾ يقرأ.

﴿عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ﴾ كتابك يعني: القرآن، والآية من القرآن: كلام متصل إلى انقطاعه، وتقدم الكلام على ذلك بآتم من هذا في أول التفسير عند الكلام على معنى السورة والآية.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي: القرآن.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: مواعظه وما فيه من الأحكام، وقيل: الشريعة.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يطهرهم من الشرك والذنوب.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الذي يقهر ولا يقهر، والعزة: القوة.

﴿الْحَكِيمُ﴾ المصيبُ مواقع الفعل، المحكم لها. ثم استفهم منكراً

بقوله:

\*\*\*

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠).

[١٣٠] ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وذلك أن عبد الله بن سلام دعا

ابني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام، فقال لهما: قد علمتُما أن الله - عز وجل - قال في التوراة: إني باعثُ من ولدِ إسماعيلَ نبياً اسمه أحمدُ، فمن آمنَ به، فقد اهتدى، ومن لم يؤمن به، فهو ملعونٌ، فأسلمَ سلمةُ، وأبى مهاجراً أن يسلمَ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ (١) أي:

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/١٠٨)، و«العجاب» لابن حجر (١/٣٧٨ - ٣٧٩)، و«الباب النقول» للسيوطي (١/٢٩).

## جنة السنة

يترك دينه وشريعته، يقال: رغب في الشيء: إذا أراده، ورغب عنه: إذا تركه، والمعنى: ما يرغب عن ملة إبراهيم.

﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أي: خسر نفسه، وامتهنها، والسفاهة: الجهل وضعف الرأي، وكلُّ سفيه جاهلٌ، وذلك أن من عبد غير الله، فقد (١) جهل نفسه، لأنه لم يعرف الله خالقها، وقد جاء: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ، فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ. ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ﴾ اخترناه.

﴿فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يعني: مع الأنبياء في الجنة.

\*\*\*

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٣١).

[١٣١] ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ﴾ أي: استسلم على الإسلام، واثبت عليه؛ لأنه كان مسلماً، والعامل في (إذ) اصطفيناه.

﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ أي: فوضت أموري.

﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقد حَقَّقَ ذَلِكَ حِينَ لَمْ يَسْتَعِنْ بِأَحَدٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

\*\*\*

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَى إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٢).

[١٣٢] ﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ أي: بالملة ﴿إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ وهم (٢): إسماعيلُ

(١) «فقد» سقطت من «ت».

(٢) في «ن»: «وهو».

## جنة السنة

من هاجرَ القبطية، وإسحاقُ من سارة، وستةٌ من امرأةٍ تزوّجها من الكنعانيين بعد موتِ سارة اسمها قُطورا بنتُ يَقْطَن<sup>(١)</sup>، وهم: مَدَيْنُ، ومدَانُ، ويقْشانُ، وزُمْرَانُ، ويشْبِقُ، وشُوح. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (وَأَوْصَى) بالألف، وكذلك هو في مصاحفِ المدينةِ والشامِ، والباقون: مشدداً بغير ألف، وهما لغتان مثل نَزَلَ وأنزَلَ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَيَعْقُوبُ﴾ ورفعُ (يعقوب) عطفٌ على إبراهيم، معناه: ووصى إبراهيمُ بنيه، ويعقوبُ بنه الاثني عشر؛ كما وصى إبراهيمُ بنيه الثمانية، وسيأتي ذكرُ أسماءِ بني يعقوبَ أولَ سورةِ يوسفَ، ويعقوبُ سمي بذلك؛ لأنه والعيصُ كانا توأمين، فتقدّم عيصُ في الخروجِ من بطن أمه، وخرج يعقوبُ على إثره آخذاً بعقبه، وعاشَ مئةَ وسبعاً وأربعينَ سنةً، ومات بمصرَ، وأوصى أن يُحملَ إلى الأرضِ المقدّسةِ، ويدفنَ عندَ أبيه وجدّه، فحمله ابنُه يوسفُ ودفنَهُ عندهما بمغارةِ حبرون<sup>(٣)</sup>.

﴿يَبْنِي﴾ معناه: أن<sup>(٤)</sup>: يا بني.

﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى﴾ اختار.

- 
- (١) في «ن»: «يقطف».
- (٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٩)، و«تفسير البغوي» (١/١٠٩)، و«الكشاف» للزمخشري (١/٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١١٦).
- (٣) في «ن»: «جبرون».
- (٤) في «ن»: «أي».

﴿ لَكُمْ الدِّينَ ﴾ أي: دين الإسلام.

﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ أي: مؤمنون، والنهي في ظاهر الكلام وقع على<sup>(١)</sup> الموت، وإنما نهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام، معناه: داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا وأنتم مسلمون.

\*\*\*

﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَايَكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَجِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾.

[١٣٣] ﴿ أَمْ كُنْتُمْ ﴾ أي: أكنتم.

﴿ شُهَدَاءَ ﴾ جمعُ شهيدٍ بمعنى الحاضر، يريد: ما كنتم حضوراً.

﴿ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ﴾ أي: حينَ قربَ يعقوبُ من الموت. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ورُوِّحُ: (شُهَدَاءَ إِذْ) بتحقيق الهمزتين، وقرأ الباقون: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وهي أن تجعل بينَ بينَ<sup>(٢)</sup>. نزلت إنكاراً على اليهود حينَ قالوا للنبي ﷺ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ يَعْقُوبَ يَوْمَ مَاتَ أَوْصَى بِنِيهِ بِالْيَهُودِيَّةِ؟<sup>(٣)</sup>.

﴿ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ ﴾ بدلٌ من (إذ) قبلها، العاملُ فيهما (شُهَدَاءَ). ورُوِّي أنه

(١) في «ن»: «عند».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١١٧).

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢١)، و«تفسير البغوي» (١/١١٠).

## جنة السنة

لما دخل يعقوبُ مصرَ، ورآهم يعبدونَ الأصنامَ، فخافَ على ولده، فقال لهم وقد جمعهم: قد حضر أجلي<sup>(١)</sup>.

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي ﴾ أي: بعد موتي، و(ما) هنا بمعنى (من) يدلُّ عليه (أن).

﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ وكان إسماعيلُ عمًّا لهم، والعربُ تسمِّي العمَّ أبا، كما تسمي الخالةَ أمًّا، قال النبي ﷺ: «عَمُّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ»<sup>(٢)</sup>، وقال في عمه العباس: «رُدُّوا عَلَيَّ أَبِي؛ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَفْعَلَ بِي قُرَيْشٌ مَا فَعَلَتْ ثَقِيفٌ بِعُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ»<sup>(٣)</sup>، وذلك أنهم قتلوه.

وإسحاقُ هو ابنُ إبراهيمَ - عليه السلام -، وأمه سارةُ، ولدتهُ ولها تسعونَ سنةً، ولأبيه إبراهيمَ مئةٌ وعشرونَ سنةً، وكانَ إسحاقُ ضريراً، وكان هو وإسماعيلُ ولوطُ ويعقوبُ أنبياءَ على عهدِ إبراهيمَ<sup>(٤)</sup> - صلواتُ الله عليهم أجمعين -، وعاشَ إسحاقُ مئةً وثمانينَ سنةً، ودُفنَ عند أبيه بمغارةِ حبرون<sup>(٥)</sup>.

﴿ إِلَهًا وَجِدًا ﴾ نصبٌ على البدلِ من قوله: (إِلَهَكَ).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/١١٠).

(٢) رواه مسلم (٩٨٣)، كتاب: الزكاة، باب: في تقديم الزكاة ومنعها، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٩٠٢)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/٣١٤)، عن عكرمة مرسلاً. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/٨٩).

(٤) في «ن»: «أبيهم».

(٥) في «ن»: «جبرون».



## جنة السنة

﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ قرأ أبو عمرو: (وَنَحْنُ لَهُ) بإدغام النون في اللام<sup>(١)</sup>.

ثم أشار إلى إبراهيم وأولاده المذكورين الموحدين إسماعيل وإسحاق ويعقوب بقوله:

\*\*\*

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٣٤).

[١٣٤] ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ ﴾ جماعة.

﴿ قَدْ خَلَتْ ﴾ مَضَتْ.

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ من العمل.

﴿ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ تلخيصه: لا يُسأل أحدٌ إلا عن عمله فقط، لا عن عمل غيره.

\*\*\*

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٣٥).

[١٣٥] ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾ نزلت في رؤوس يهود المدينة: كعب بن الأشرف، ومالك بن الصَّيْفِ<sup>(٢)</sup>، ووهب بن يهودا،

(١) انظر: «إتحاف الفضلاء» للدمياطي (ص: ١٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١٩/١).

(٢) في جميع النسخ: «الضيف».

## جنة السنة

وأبي ياسر بن أخطب<sup>(١)</sup>، وفي نصارى أهل نجران: السيد والعاقب وأصحابهما، وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين، كلُّ فرقة تزعم أنها أحقُّ بدين الله، فقالت اليهود: نبينا موسى أفضلُ الأنبياء، وكتابنا التوراة أفضلُ الكتب، وديننا أفضلُ الأديان، وكفرتُ بعبسى والإنجيل، وبمحمدٍ ﷺ والقرآن، وقالت النصارى: نبينا عيسى أفضلُ الأنبياء، وكتابنا الإنجيل أفضلُ الكتب، وديننا أفضلُ الأديان، وكفرتُ بمحمدٍ والقرآن، وقال كلُّ واحدٍ من الفريقين للمؤمنين: كونوا على ديننا، فلا دينَ إلا ذلك<sup>(٢)</sup>، فقال الله - عز وجل -:

﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ .

﴿بَلْ مَلَّةٌ إِزْهَعَمَ﴾ أي: بل نتبعُ ملَّةَ إبراهيمَ .

﴿حَنِيفًا﴾ نصبٌ على الحال؛ أي: مائلاً عن الباطل إلى الحقِّ، وأصله من الحنْفِ، وهو ميلٌ وعوجٌ يكون في القدم .

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وهذا توبيخٌ للكفارِ أهلِ الكتاب؛ لأنهم كانوا يدعون أنهم على ملَّة، وهم على الشرك .

ثم علّم المؤمنين طريقَ الإيمان، فقال تعالى:

\*\*\*

---

(١) في «ن»: «الأحطب» .

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢١)، و«تفسير البغوي» (١/ ١١١)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٣٨٠ - ٣٨١) .

﴿ قُلُوبًا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [١٣٦].

[١٣٦] ﴿ قُلُوبًا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ يعني: القرآن.

﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ وهو عشرُ صحفٍ.

﴿ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ يعني: أولادَ يعقوبَ، واحدُهم سبطٌ، وهم اثنا عشرَ سبطاً، سُمُّوا بذلك؛ لأنه وُلد لكلِّ واحدٍ منهم<sup>(١)</sup> جماعةٌ، وسبطُ الرجلِ: حافِدَتُهُ، ومنه قيلَ للحسن والحسين: سِبْطًا رسولَ الله ﷺ، فالأسباطُ من بني إسرائيل كالقبائلِ من العرب من بني إسماعيلَ والشعوبِ من العجم، وكان في الأسباط أنبياءٌ، وسنذكرُ أولادَ يعقوبَ الذين هم آباءُ الأسباطِ في سورة يوسف - إن شاء الله تعالى -.

﴿ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى ﴾ يعني: التوراة.

﴿ وَعِيسَى ﴾ يعني: الإنجيل.

﴿ وَمَا أُوتِيَ ﴾ أُعْطِيَ.

﴿ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ من الكتبِ والآيات.

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ﴾ فنؤمنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعضٍ كما فعلت اليهود

والنصارى.

﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ تقدّمَ مذهبُ أبي عمرو في إدغام (وَنَحْنُ لَهُ).

\*\*\*

(١) «منهم» سقطت من «ن».

﴿ فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ .

[١٣٧] ﴿ فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ ﴾ أي : بما آمنتم به ، والمثلُ صلةٌ ؛ كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] ؛ أي : ليسَ كهو شيءٌ .  
﴿ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أي : أعرضوا عما تدعونهم إليه من الإيمان .  
﴿ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ أي : خلافٍ وعداوةٍ .  
﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ يا محمدُ ؛ أي : يكفيك شرَّ اليهودِ والنصارى ، وقد كفي بإجلاء بني النَّضِيرِ ، وقتلِ بني قُرَيْظَةَ ، وضربِ الجزيةِ على اليهودِ والنصارى .

﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ لأقوالهم .

﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بأفعالهم .

\*\*\*

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ .

[١٣٨] ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ أي : دينَ الله ، وهو نصبٌ على الإغراء ؛ يعني : الزموا دينَ الله ، وإنما سماه صبغةً ؛ لأنه يظهرُ أثرُ الدينِ على المتديِّين كما يظهرُ أثرُ الصَّبْغِ على الثوبِ ، قال ابنُ عباسٍ : «هي أنَّ النصارى إذا وُلد لهم ولدٌ ، فأتى عليه سبعةُ أيامٍ ، غمسوه في ماءٍ لهم أصفر يقال له : المعموديةُ ، وصبغوه به ، ليظهروه بذلك مكانَ الخِتانِ ، فإذا فعلوا به ذلك ، قالوا : الآنَ صار نصرانياً حقاً ، فأخبرَ الله تعالى أن دينه الإسلامُ ، لا ما يفعله النصارى<sup>(١)</sup> .

(١) انظر : «أسباب النزول» للواحدي (ص : ٢٢) ، و«تفسير البغوي» (١/١١٣) ، =

## جنة السنة

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ أي: ديناً.

﴿ وَنَحْنُ لَهُمْ عِبِيدُونَ ﴾ مُطِيعُونَ.

\*\*\*

﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلِنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ  
وَنَحْنُ لَهُمْ مُخْلِصُونَ ﴾ (١٣٩).

[١٣٩] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لليهود والنصارى:

﴿ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ ﴾ في دين الله، والمحااجة: المجادلة لإظهار الحجّة،  
وذلك أنهم قالوا: إن الأنبياء كانوا منا، وعلى ديننا، وديننا أقدم، فنحن  
أولى بالله منكم، فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ ﴾.

﴿ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ أي: نحن وأنتم سواء في الله؛ فإنه ربنا وربكم.

﴿ وَلِنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ ﴾ أي: لكل واحدٍ جزء عمله.

﴿ وَنَحْنُ لَهُمْ مُخْلِصُونَ ﴾ يعني: كيف تدعون أنكم أولى بالله، ونحن له  
مخلصون، وأنتم به مشركون؟! والإخلاص: أن يخلص العبد دينه<sup>(١)</sup>  
وعمله لله، فلا يشرك به في دينه، ولا يرائي بعمله.

\*\*\*

﴿ أَمْرًا نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ

= و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/١٥١)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/٣٨٣ - ٣٨٤).

(١) في «ن»: «العبودية» بدل «العبد دينه».

كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً  
عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ .

[١٤٠] ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ يعني: أيقولون؟ صيغته صيغة الاستفهام، ومعناه التوبيخ. قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص، ورويس: (تَقُولُونَ) بالخطاب؛ لقوله: ﴿أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾، وقال بعده<sup>(١)</sup>: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾، وقرأ الباقر بالغيب؛ يعني: يقول اليهود والنصارى<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ﴾ يا محمد.

﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ﴾ بدينهم.

﴿أَمِ اللَّهُ﴾ وقد أخبر الله تعالى أن إبراهيم لم يكن يهودياً، ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً، وهذا تقريرٌ على فسادِ دعواهم؛ إذ لا جواب لمفطورٍ - [أي: مخلوق]<sup>(٣)</sup> - إلا أن الله تعالى أعلم. وتقدّم اختلاف القراءة في حكم الهمزتين من كلمة عند قوله تعالى: (ءَأَنْذَرْتَهُمْ)، وكذلك اختلافهم في قوله: (ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ).

(١) في «ت»: «بعد».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢١٩/١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٩)، و«الكشف» لمكي (٢٦٦/١)، و«تفسير البغوي» (١١٣/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٢٣/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٢٠/١).

(٣) «أي: مخلوق» سقطت من «ن».

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ ﴾ أي: أخفى. قرأ أبو عمرو: (أَظْلَمَ مِمَّنْ) بإدغام الميم في الميم (١).

﴿ شَهَادَةٌ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾ وهي علمهم بأن (٢) إبراهيم وبنيه كانوا مسلمين، وأن محمداً حقّ ورسولٌ، أشهدهم الله عليه في كتبهم، لفظه الاستفهام، والمعنى: لا أحد أظلم منهم، وإياهم أراد الله تعالى بكتمان الشهادة، ثم تهددهم فقال:

﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ثم كرر:

\*\*\*

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٤١).

[١٤١] ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ تأكيداً.

\*\*\*

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَن قِبَلِنَاهُمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١٤٢).

[١٤٢] ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ ﴾ أي: الجهال من الناس وهم مشركو مكة، واليهود.

﴿ مَا وَلَّيْنَاهُمْ ﴾ صرفهم وحوّلهم.

(١) عند تفسير الآية (٤) من سورة الفاتحة.

(٢) في «ت»: «أن».

﴿عَنْ قِبَلِهِمُ النَّبِيُّ كَانُوا عَلَيْهَا﴾ يعني: بيت المقدس، والقبلة فِعْلَةٌ من المقابلة، سميت قبلة؛ لأن المصلي يُقابلها وتُقابلُه. نزلت في الفريقين لما طعنوا في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة، فقال مشركو مكة: قد تردّد على محمدٍ أمرُهُ، واشتاق إلى مولده، وقد يرجع نحو بلدكم، وهو راجع إلى دينكم، وقالت اليهود: اشتاق الرجل إلى وطنه، فقال الله تعالى:

﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ بما فيهما، المعنى: إنكم تصلّون إلى الكعبة وهي بالشرق، وإلى بيت المقدس وهو بالمغرب، وكلها له.

﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فيوجّهه تارة إلى مكة، وتارة إلى بيت المقدس، لا اعتراض عليه؛ لأنه المالك وحده. قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن كثير، وأبو جعفر، ورؤيس: (يَشَاءُ إِلَى) بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية، واختلّف في كيفية تسهيلها، فذهب جمهور المتقدمين إلى أنها تبدل أوأ خالصة مكسورة، وذهب بعضهم إلى أنها تجعل بين الهمزة والياء، وهو مذهب أئمة النحو والمتأخرين من القراء، وهو الأوجه في القياس. وقرأ الباقون، وهم الكوفيون، وابن عامر، وروح: بتحقيق الهمزتين<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ

(١) انظر: «إتحاف الفضلاء» للدماطي (ص: ١٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٢٢).



الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكِثْرَةٌ لِأَعْلَىٰ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٣﴾ .

[١٤٣] ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ نزلت لما قال رؤساء اليهود لمعاذ بن جبل: ما ترك محمدٌ قبلتنا إلا حسداً، وإن قبلتنا قبله الأنبياء، وقد علم محمدٌ أنا عدلٌ بين الناس، فقال معاذ: إنا على حقٍّ<sup>(١)</sup> وعدلٍ، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>؛ أي: ومثل ذلك جعل الصالح الذي جعلنا إبراهيم وذريته جعلناكم أمةً وسطاً؛ أي: عدلاً خياراً، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُكُمْ ﴾ [القلم: ٢٨]؛ أي: خيرهم وأعدلهم، وخير الأشياء أوسطها.

﴿ لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم.

﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ ﴾ محمد ﷺ .

﴿ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ معدلاً مزكياً لكم، وذلك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم يقول لكفار الأمم: ألم يأتكم نذيرٌ؟ فينكرون ويقولون: ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ، فيسأل الأنبياء<sup>(٣)</sup> - عليهم السلام -، فيقولون: كذبوا، قد بلغناهم، فيسألهم البيّنة، وهو أعلم بهم؛ إقامة للحجة، فيؤتى بأمة محمد ﷺ، فيشهدون<sup>(٤)</sup> لهم أنهم قد بلغوا، فتقول

(١) في «ن»: «الحق».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/١١٤)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/٣٨٩-٣٩٠).

(٣) «الأنبياء» ساقطة من «ت».

(٤) في «ظ»: «ليشهدون».

## جنة السنة

الأممُ الباقيةُ: من أين عَلِمُوا وإنهم أتوا بعدنا؟! فيسأل هذه الأمة فيقولون: أرسلت إلينا رسولاً، وأنزلت علينا كتاباً أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل، وأنت صادقٌ فيما أخبرت، ثم يؤتى بمحمدٍ ﷺ، فيسأل عن حال أمته، فيزكّيهم، ويشهدُ بصدقهم.

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ﴾ أي: تحويلها؛ يعني: بيت المقدس، فيكون من باب حذف المضاف.

﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ قال أهل المعاني: معناه إلا لعلمنا، وقيل: معناه: ليعلم رسولنا والمؤمنون به، وجاء الإسنادُ بنون العظمة إذ هم حزبهُ وخالصةُ.

﴿ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ ﴾ فيوافقه ويصدقّه. قرأ أبو عمرو: (لِنَعْلَمَ مَنْ) بإدغام الميم في الميم<sup>(١)</sup>.

﴿ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ ﴾ أي: يرجع ناكِصاً.

﴿ عَلَى عَقَبَيْهِ ﴾ فيرتدُّ، كأنه سبق في علم الله تعالى أن تحويل القبلة سببٌ لهداية قومٍ وضلالة آخرين، والرجوعُ على العقب أسوأ حالات الرجوع في مشيه عن وجهه، فلذلك شُبِّه المرتدُّ في الدين به، وظاهرُ التشبيه أنه بالمتقهِّر، وهي مشيةُ الحيرانِ الفازع من شرٍّ قد قرب منه، وفي الحديث: أَنَّ الْقِبْلَةَ لَمَا حُوِّلَتْ، ارتدَّ قومٌ من المسلمين إلى اليهودية، وقالوا: رجع محمدٌ إلى دين آبائه<sup>(٢)</sup>. ورُوي أَنَّ أَحْبَارَ الْيَهُودِ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ بَيْتَ الْمَقْدِسِ هُوَ قِبْلَةُ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنْ صَلَّيْتَ إِلَيْهَا، اتَّبَعْنَاكَ،

(١) كما هو المعروف من مذهبه.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/١١٦).

## جنة السنة

فأمره الله بالصلاة إليه امتحاناً لهم ، فلم يؤمنوا ، والجمهورُ على أن أمرَ قبلةِ بيتِ المقدسِ كان بوحىٍ غيرِ متلوّ .

﴿ وَإِنْ كَانَتْ ﴾ أي : وقد كانت التوليةُ إلى الكعبة .

﴿ لَكَبِيرَةً ﴾ أي : لثقيلةٌ شديدةً .

﴿ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ أي : هداهم الله ، وهم التائبون المخلصون .

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ وذلك أن حِيَّ بنَ أخطبَ وأصحابه من

اليهود قالوا للمسلمين : أخبرونا عن صلاتكم نحوَ بيتِ المقدس ، إن كانت

هُدًى ، فقد تحوّلتم عنها ، وإن كانت ضلالةً ، فقد دنتمُ اللهَ بها ، ومن مات

منكم عليها ، فقد ماتَ على الضلالة ، فقال المسلمون : إنما الهدى

ما أمر اللهُ به ، والضلالة ما نهى اللهُ عنه ، قالوا : فما شهادتكم على من مات

منكم على قبلتنا ، وكان قد ماتَ قبلَ أن تُحوَلَ القبلةُ من المسلمينَ أسعدُ بنُ

زُرارةَ من بني النجّار ، والبراءُ بنُ معرورٍ من بني سَلَمَةَ ، وكانوا من النقباء ،

ورجالٌ آخرون ، فانطلق عشائرتهم إلى النبي ﷺ ، وقالوا : يا رسول الله ! قد

صرفك اللهُ إلى قبلةِ إبراهيمَ ، فكيفَ بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلُّون إلى

بيت المقدس ؟ فأنزل الله - عز وجل - : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> ؛

يعني : صلاتكم إلى بيتِ المقدس ، وسمّى الصلاةَ إيماناً لما كانت صادرةً

عن الإيمان والتصديق في وقت بيتِ المقدس ، وفي وقتِ التحويل .

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ والرفقةُ : أشدُّ الرحمة ، وخاطبَ

الحاضرين ، والمرادُ : مَنْ حضرَ ومن ماتَ ؛ لأن الحاضر يُغَلَّبُ كما تقول

(١) انظر : «تفسير البغوي» (١/١١٦) ، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر

(١/٣٩٣) .

العرب: ألم نقتلكم في موضع كذا؟ ومن خوطب لم يُقتل، ولكنه غُلب لحضوره. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر، وابن عامر، وحفص: (لَرَوْفٌ) بالإشباع على وزن فعول، وقرأ الآخرون: بالاختلاس على وزن فَعَلٌ<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

﴿ قَدْ زَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [١٤٤]

[١٤٤] ﴿ قَدْ زَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ والمقصدُ تقلُّبُ البصر، وذكر الوجه؛ لأنه أعمُّ وأشرفُ، وهو المستعملُ في طلب الرغائب، تقول: بذلتُ وجهي في كذا، أو فعلتُ لوجهِ فلان، وهذه الآيةُ متأخرةٌ في التلاوة، متقدمةٌ في المعنى؛ فإنها رأسُ القصة، وأمرُ القبلة أولُ ما نُسخ من أمور الشرع، وذلك أن رسولَ الله ﷺ وأصحابه كانوا يصلُّون بمكة إلى الكعبة، فلما هاجر إلى المدينة، أمره الله أن يصلِّي نحوَ صخرةِ بيتِ المقدسِ كما تقدَّم؛ ليكونَ أقربَ إلى تصديق اليهود إياه إذا صلَّى إلى قبلتهم، مع ما يجدون من نعتِهِ في التوراة، فصلَّى من بعدِ الهجرةِ ستةَ عشرَ أو سبعةَ

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١/١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٩)، و«الكشف» لمكي (١/٢٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/١١٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٢٣).

## جنة السنة

عشرَ شهراً إلى بيت المقدس، وكان يحبُّ أن يتوجَّهَ إلى الكعبة؛ لأنها كانت قبلةَ أبيه إبراهيم - عليه السلام -، وكان اليهودُ يقولون: يخالفنا محمد في ديننا، ويتبعُ قبلتنا، فجعلَ ينظرُ إلى السماء رجاءً أن ينزلَ عليه الوحيُّ بالتوجهِ إليها، فأنزل الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿ فَلَنُحَوِّلَنَّكَ ﴾

﴿ قِبَلَةً ﴾ أي: إلى قبلة.

﴿ تَرْضَاهَا ﴾ أي: تحبُّها.

﴿ فَوَلِّ فَوَّلًا ﴾

﴿ وَجْهَكَ شَطْرًا ﴾ أي: نحو.

﴿ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ وأراد به الكعبة، والحرام: المحرَّم.

﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ ﴾ من برٍّ أو بحرٍ، شَرْقٍ أو غَرْبٍ.

﴿ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ عند الصلاة، وكان تحويلُ القبلة في رَجَبٍ بعدَ

زوالِ الشمسِ من السنةِ الثانيةِ من الهجرة قبلَ قتالِ بدرٍ بشهرين، ونزلتْ هذه الآيةُ ورسولُ الله ﷺ في مسجدِ بني سَلَمَةَ، وقد صَلَّى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر، فتحول في الصلاة، واستقبل الميزاب، وحولَ الرجالَ مكانَ النساءِ، والنساءَ مكانَ الرجالِ، فَسُمِّيَ ذلكَ المسجدُ مسجدَ القِبْلَتَيْنِ، وأهلُ قُبَاءٍ وصل الخبرُ إليهم في صلاة الصبح<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٠/٢)، عن مجاهد.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١١٨/١). قال المناوي في «الفتح السماوي»

(١٩٣/١): «وهذا تحريف للحديث، فإن قصة بني سلمة لم يكن فيها النبي

إماماً، ولا هو الذي تحول في الصلاة».

## جنة السنة

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: «بيننا الناس بقباء في صلاة الصُّبح إذ جاءهم آتٍ، وقال لهم: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآنٌ، وقد أمرَ أنْ يستقبلَ الكعبةَ، فاستقبلوها»، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة<sup>(١)</sup>، فلما تحولت القبلةُ، قالت اليهود: يا محمَّدُ! ما هو إلاَّ شيءٌ تبتدعه من تلقاء نفسك، فتارةً تصلِّي إلى بيت المقدس، وتارةً إلى الكعبة، ولو ثبتَّ على قبلتنا، لكنَّا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره<sup>(٢)</sup>، فأنزل الله تعالى:

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ ﴾ يعني: أمر الكعبة.

﴿ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ لأنه في بشارة أنبيائهم أنه يصلِّي إلى القبلتين، ثم هددهم فقال:

﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ قرأ أبو جعفر، وابنُ عامرٍ، وحمزة، والكسائيُّ، وروحٌ: (تَعْمَلُونَ) بالخطاب، يريد: إنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي، وما أنا بغافل عن ثوابكم جزائكم. وقرأ الباقرُ بالغيب؛ يعني: ما أنا بغافل عما يفعلُ اليهود، فأجازيهم في الدنيا والآخرة<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري (٣٩٥)، كتاب: أبواب القبلة، باب: ما جاء في القبلة، ومسلم (٥٢٦)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/١١٨).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٦)، و«الكشف» لمكي (١/٢٦٨)، و«تفسير البغوي» (١/١١٨)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٢)، و«الكشاف» للزمخشري (١/٢٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«النشر في القراءات =

﴿ وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِن آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٤٥).

[١٤٥] ﴿ وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ يعني: اليهود والنصارى.

﴿ بِكُلِّ آيَةٍ ﴾ أي: معجزة وبرهان على صدقك في أمر القبلة وغيرها.

﴿ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾ يعني: الكعبة.

﴿ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ لأنك على الحق، وقبلتك غير منسوخة أبداً.

﴿ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ لأن اليهود تستقبل بيت المقدس، وهو المغرب، والنصارى تستقبل المشرق، وقبلته المسلمين الكعبة، وكل طائفة تعتقد أن الحق دينها، ثم خوطب ﷺ والمراد غيره بقوله:

﴿ وَلَئِن آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ مرادهم.

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ ﴾ أي: وصل إليك.

﴿ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ اليقين من أمر القبلة وشرائع الإسلام.

﴿ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ وتمّ الوقف هنا.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ»<sup>(١)</sup>، والمراد بالمشرق: مشرق الشتاء في أقصر يوم في

= العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٢٤).

(١) رواه الترمذي (٣٤٤)، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء أن ما بين المشرق والمغرب قبلة، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١٠١١)، كتاب: الصلاة، باب القبلة، وغيرهما.

## جنة السنة

السنة، وبالمغرب: مغرب الصيف في أطول يوم في السنة، فأقصر الأيام في الشتاء يوم آخر القوس، وهو انسلاخ فصل الخريف، وكذلك اليوم الذي يليه، وهو أول الجدي افتتاح فصل الشتاء، ويأتي ذلك في شهر كيهك من السنة القبطية، وفي شهر كانون الأول من السنة السريانية، وأطول الأيام في الصيف يوم آخر الجوزاء، وهو انسلاخ فصل الربيع، وكذا اليوم الذي يليه، وهو أول السرطان افتتاح فصل الصيف، ويأتي ذلك في شهر بؤنة من السنة القبطية، وفي شهر حزيران من السنة السريانية، فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت عن يمينه، ومشرق الشتاء في ذلك الوقت عن يساره، كان وجهه إلى القبلة، وهذا لمن يكون في المدينة الشريفة - على الحال بها أفضل الصلاة والسلام -، وبيت المقدس ومصر والشام وما والاها ممن يستقبل الجدار الشامي من الكعبة الشريفة، وهو الذي يليه حجر إسماعيل - عليه السلام - وبأعلاه الميزاب.

ومن دلائل القبلة القطب، وهو نجم، وقيل نقطة إذا جعله المصلي وراء ظهره بالشام وما حاذها، وخلف أذنه اليمنى بالمشرق، وعلى عاتقه الأيسر بإقليم مصر وما والاها، كان مستقبلاً للقبلة<sup>(١)</sup>، والله أعلم.

\*\*\*

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [١٤٦]

[١٤٦] ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ مبتدأ، خبره:

(١) في «ن»: «القبلة».



## جنة السنة

﴿ يَعْرِفُونَهُ ﴾ والمراد: أن مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه يعرفون محمداً أنه نبي حق بما شاهدوه في كتبهم.

﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ ﴾ من الصبيان، قال عبد الله بن سلام: «لقد عرفت محمداً حين رأيتُه كمعرفة ابني، ومعرفتي له أشد من معرفة ابني؛ لأن نعتَه في كتابنا، ولا أدري ما تصنع النساء لولا النعت»<sup>(١)</sup>.

﴿ وَإِنْ فَرِحْنَا مِنْهُمْ ﴾ أي: من جهالهم ومعانديهم.

﴿ لَيَكْفُرُونَ الْحَقَّ ﴾ أي: نعتَه ﷺ وأمر الكعبة.

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وتم الوقف هنا.

\*\*\*

﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ﴿١٤٧﴾.

[١٤٧] ﴿ الْحَقُّ ﴾ مبتدأ، وخبره:

﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾ أي: هذا الحق.

﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ الشاكين فيما أُخبرت به.

\*\*\*

﴿ وَلِكُلِّ وُجْهٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١٤٨﴾.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٣)، و«تفسير البغوي» (١/١١٩ - ١٢٠)، و«العجاب» لابن حجر (١/٣٩٨)، و«الدر المثور» للسيوطي (١/٣٥٧).

## جنة السنة

[١٤٨] ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ ﴾ أي: لكل أهل<sup>(١)</sup> مِلَّة<sup>(٢)</sup> قبلة، والوجهة: اسمٌ للمتوجّه إليه .

﴿ هُوَ مَوْلِيَّهَا ﴾ قرأ ابن عامر: (مَوْلَاهَا) بفتح اللام وألف بعدها؛ أي: المستقبلُ مصروفٌ إليها، والباقون: بكسر اللام وياء بعدها على معنى مستقبلها<sup>(٣)</sup> .

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ بادروا بالطاعات .

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا ﴾ أنتم وأعداؤكم .

﴿ يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾ يوم القيامة، فيجزئكم بأعمالكم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

\*\*\*

﴿ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ .

[١٤٩] ﴿ وَمَنْ حَيْثُ ﴾ أي: أي مكان .

﴿ خَرَجْتَ ﴾ لسفري .

﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ﴾ نحو .

(١) في «ت»: «أهله» .

(٢) «ملة»: ساقطة من «ت» .

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧١)، و«الحجة» لابن خالويه، و«الكشف» لمكي (١/٢٦٧)، و«تفسير البغوي» (١/١٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٢٦) .

﴿ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ ﴾ أي: التولي.

﴿ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿ قرأ أبو عمرو بالغيب، والباقون بالخطاب (١) [٢].

\*\*\*

﴿ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿ ﴿١٥٠﴾ .

[١٥٠] ﴿ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ التكرير تأكيد النسخ؛ ليعلم أن ذلك عزيمة لا بد من فعلها، ثم أوماً إلى علة ذلك فقال:

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ المعنى: أن التولية عن الصخرة إلى الكعبة يدفع احتجاج اليهود بأن المنعوت في التوراة قبلته الكعبة، وأن محمداً يجحد ديننا، ويتبعنا في قبلتنا، والمشركين بأنه يدعي ملة إبراهيم، ويخالف قبلته. قرأ ورش عن نافع، وأبو جعفر: (ليلاً) بفتح الياء بغير همز (٣).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٧)، و«الكشف» لمكي (١/٢٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/١٠٣)، و«تفسير البغوي» (١/١٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٢٦).

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ استثناءً من الناس، وهم اليهودُ ومشركو العرب، والمراد بالحجة: الاعتراضُ والمجادلةُ، لا الحجةُ حقيقةً، والمجادلةُ الباطلةُ قد تسمى حُجَّةً؛ كقوله<sup>(١)</sup>: ﴿مُجَاهِدٌ دَاخِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ١٦]، أما قريشٌ تقولُ: رجعَ إلى الكعبة؛ لأنه علمَ أنها الحقُّ، وأنها قبلَةُ آبائه، فهكذا يرجعُ إلى ديننا، وأما اليهودُ تقول: لم ينصرفَ عن بيتِ المقدسِ معَ علمِهِ أنه حقٌّ إلا أنه يعملُ برأيه.

﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ﴾ في توجُّهكم إلى الكعبة، وتظاهُرهم عليكم؛ فإني وليكم بالحجَّةِ والنُّصرة.

﴿وَآخِشُونِي﴾ بامثالِ أمري؛ ثم عطفَ على قوله ﴿لِئَلَّا﴾ قوله:

﴿وَلَأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ بهدايتي إياكم إلى الكعبة<sup>(٢)</sup> وغيرها، ومن تمامِ النعمة الموتُ على الإسلام. ثم عطفَ على ما تقدَّم قوله:

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ من الضلالة، ولعل وعسى<sup>(٣)</sup> من الله واجبان؛ لأنهما للرجاء والإطماع، والكريمُ لا يُطمعُ إلا فيما يفعل.

\*\*\*

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

= (٢/٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمايطي (ص: ١٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٢٧).

(١) في «ت»: «لقوله».

(٢) في «ن»: «إلى الكعبة إياكم».

(٣) في «ن»: «وعسى ولعل».

[١٥١] ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ ﴾ هذه الكاف للتشبيه ترجع إلى ما قبلها،

معناه: ولأنتم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب.

﴿ رَسُولًا مِنْكُمْ ﴾ أي: محمداً ﷺ.

﴿ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ﴾ القرآن.

﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ يحملكم على ما تصيرون به أذكيا.

﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ ﴾ القرآن.

﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ السنة.

﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ من الأحكام وشرائع الإسلام.

\*\*\*

﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (١٥٢)

[١٥٢] ﴿ فَادْكُرُونِي ﴾ بطاعتي.

﴿ أَذْكُرْكُمْ ﴾ بمغفرتي. قرأ ابن كثير: (فَادْكُرُونِي) بفتح الياء<sup>(١)</sup>.

﴿ وَأَشْكُرُوا لِي ﴾ بالطاعة.

﴿ وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ بالمعصية، فشكر المنعم وهو الثناء على الله على إنعامه

واجب شرعاً بالاتفاق، لا عقلاً، فمن لم تبلغه دعوة نبي، لا يَأثم بتركه،

خلافاً للمعتزلة. قرأ يعقوب (تَكْفُرُونِي) بإثبات الياء<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/٣٣٠)،

و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٠)، و«معجم القراءات

القرآنية» (١/١٢٧).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء =

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿١٥٣﴾ .

[١٥٣] ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ ﴾ على ترك المعاصي .

﴿ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ بالعون والنصرة .

\*\*\*

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ ﴿١٥٤﴾ .

[١٥٤] ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ ﴾ أي : هم أموات .

﴿ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ نزلت في قتلى بدر من المسلمين ، وكانوا أربعة عشر رجلاً ، ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار ، ف قيل : مات فلان وفلان ، وانقطع عنهم نعيم الدنيا ، فأنزلها الله <sup>(١)</sup> ، كما قال في شهداء أحد : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

\*\*\*

﴿ وَلَنَبَلِّغُنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿١٥٥﴾ .

[١٥٥] ﴿ وَلَنَبَلِّغُنَّكُمْ ﴾ لنختبرنكم يا أمة محمد؛ ليظهر لكم منكم

= البشر» للدمياطي (ص : ١٥٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦/١) .

(١) انظر : «أسباب النزول» للواحدي (ص : ٢٣) ، وانظر : «تفسير البغوي»

(١/١٢٤) ، و«العجاب» لابن حجر (١/٤٠٣) .

## جنة السنة

المطيعُ من العاصي، لا لنعلم شيئاً لم نكنْ عالمين به .

﴿بَشَىءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ أي : خوفِ العدوِّ .

﴿وَالْجُوعِ﴾ أي : القحطِ .

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ بالخسرانِ والهلاكِ .

﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ بالقتلِ والموتِ .

﴿وَالشَّمْرَاتِ﴾ بالجائحةِ ، وهي ما يستأصلُ الشيءَ .

﴿وَكَبِيرِ الضَّرْبِينَ﴾ يا محمدُ على البلايا والرزايا، ثم وصفهم فقال :

\*\*\*

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿١٥٦﴾ .

[١٥٦] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾ أي : نائبةٌ .

﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ عبداً ومُلكاً .

﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ في الآخرة، وفي الحديثِ : «مَنْ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ

المُصِيبَةِ، جَبَرَ اللَّهُ مُصِيبَتَهُ»<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُهْتَدُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾ .

[١٥٧] ﴿أُولَئِكَ﴾ أهلُ هذه الصِّفَةِ .

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٢/٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٦٤/١)،

والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٠٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان»

(٩٦٨٩)، عن ابن عباس - رضي الله عنه - .

## جنة السنة

﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي: رحمة؛ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مِنْ اللَّهِ رَحْمَةٌ، وجمع<sup>(١)</sup> الصلوات؛ أي: رحمة بعد رحمة.

﴿وَرَحْمَةً﴾ ذكرها تأكيداً. قرأ الكسائي: (وَرَحْمَةً) بإمالة الميم حيث وقف على هاء التانيث<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ إلى الاسترجاع، وإلى سعادة الدارين.

\*\*\*

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١٥٨)</sup>.

[١٥٨] ﴿إِنَّ الصَّفَا﴾ جمع صفاة، وهي الصخرة الصلبة الملساء.

﴿وَالْمَرْوَةَ﴾ الحجر الرخو، والمراد بهما: المكانان المعروفان بطرفي المسعى بمكة المشرفة. قرأ الكسائي: (وَالْمَرْوَةَ) بإمالة الواو حيث وقف على هاء التانيث.

﴿مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ من أعلام دينه فالمطاف والمواقف والمناحر كلها شعائر<sup>(٣)</sup>، ومثلها المشاعر، والمراد بالشعائر هاهنا: المناسك التي جعلها الله أعلاماً لطاعته.

﴿فَمَنْ﴾ شرط محلها رفع ابتداءً.

﴿حَجَّ﴾ أي: قصد.

﴿الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ أي: زار، فالحج في اللغة: القصد، وفي الشرع:

(١) في «ن»: «وجميع».

(٢) انظر «الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٢٨).

(٣) في «ن»: «من شعائر».



## جنة السنة

اسم لأفعالٍ مخصوصةٍ، والعمرةُ في اللغة: الزيارةُ.

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ فلا إثمَ.

﴿عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ﴾ أي: يدورَ.

﴿بِهِمَا﴾ وأصل الطواف المشي حولَ الشيء، والمرادُ هنا: السعيُّ بينهما، وسببُ نزولِ هذه الآية: أنه كان على الصفا والمروةِ صنمانِ يسافُ ونائلةُ، وكان يسافُ على الصِّفا، ونائلةُ على المروة، وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيماً للصَّمنين، ويمسحونهما، فلما جاء الإسلامُ، وكُسرت الأصنام، فتحرَّجوا السعيَ بين الصفا والمروة لأجل الصنمين، فأذن الله فيه، وأخبر أنه من شعائر الله<sup>(١)</sup>.

واختلف العلماءُ في حكم هذه الآية ووجوب السعي بين الصفا والمروة في الحجِّ والعمرة، فعند مالكٍ والشافعيِّ وأحمد أنه ركنٌ لا يتمُّ الحجُّ إلا به، وعند أبي حنيفة أنه واجبٌ، وليس بركنٍ، وعلى من تركه دمٌ.

﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: من تبرَّع بما لم يجب عليه، وتقديره: بخيرٍ، فلما حُذِفَ الجارُّ، تعدَّى الفعلُ، فنصبَ. قرأ حمزة، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبٌ: (يَطَّوَّعَ) بالياء وتشديد الطاء وجزم العين، بمعنى يتطوَّع<sup>(٢)</sup>. وقرأ الآخرون: بالتاء وفتح العين على الماضي<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري (١٥٦١)، كتاب: الحج، باب: وجوب الصفا والمروة، ومسلم

(١٢٧٧)، كتاب: الحج، باب: بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح

الحج إلا به، عن عائشة - رضي الله عنها - .

(٢) في «ت»: «يطوع».

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس =

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ ﴾ أي: مجاز له .

﴿ عَلِيمٌ ﴾ بنيته، والشكر من الله أن يعطي فوق ما يستحق، يشكر اليسير، ويعطي الكثير.

\*\*\*

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴾ ﴿١٥٩﴾ .

[١٥٩] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ﴾ نزلت في علماء اليهود، كتموا صفة محمد ﷺ، وآية الرجم، وغيرها من الأحكام التي كانت في التوراة<sup>(١)</sup>.

﴿ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ﴾ أي: يُعدهم الله عن رحمته، وأصل اللعن: الطرد.

﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴾ أي: يسألون الله أن يلعنهم يقولون: اللهم العنهم، واللاعنون الثقلان والملائكة، ثم استثنى فقال:

\*\*\*

= (٢/٢٢٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«تفسير البغوي» (١/١٣٠)، و«الكشاف» للزمخشري (١/١٠٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٣٩)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٢٩).

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٤)، و«تفسير البغوي» (١/١٣٠)، و«العجاب» لابن حجر (١/٤١١).

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ  
الرَّحِيمُ ﴾ [١٦٠].

[١٦٠] ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ من الكفر، وأسلموا.

﴿ وَأَصْلَحُوا ﴾ الأعمال بينهم وبين الله.

﴿ وَبَيَّنُّوا ﴾ أي: أظهروا ما كتموا.

﴿ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ أتجاوز عنهم، وأقبل توبتهم.

﴿ وَأَنَا التَّوَّابُ ﴾ الرجاء بقلوب عبادي المنصرفه عني إليّ.

﴿ الرَّحِيمُ ﴾ بهم بعد إقبالهم عليّ، والتوبة: حلُّ عقْد الإصرار على

الذنب وربط العزيمة بالقلب على البعد عن مقاربتة، مع الندم عليه.

\*\*\*

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ  
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [١٦١].

[١٦١] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من الكاتمين، ولم يتوبوا.

﴿ وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ لأن الله

تعالى يلعنهم يوم القيامة، ثم يلعنهم الملائكة، ثم يلعنهم الناس، والظالم

يلعن الظالمين، ومن لعن الظالمين وهو ظالم، فقد لعن نفسه.

\*\*\*

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [١٦٢].

[١٦٢] ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ مقيمين في اللعنة، أو في النار.

## جنة السنة

﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ ﴾ أي: لا يُرْفَع عنهم.

﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ لا يُمَهَّلُونَ<sup>(١)</sup> فيعتذرون.

ولما قال كفارُ قريشٍ لمحمدٍ ﷺ صِفْ لَنَا رَبِّكَ، نَزَلَ:

\*\*\*

﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿١٦٣﴾.

[١٦٣] ﴿ وَاللَّهُمَّ ﴾ مبتدأ، خبره:

﴿ إِلَهٌ ﴾ وصفة الخبر:

﴿ وَحِدٌ ﴾ فردٌ لا نظيرَ له في ذاته، ولا شريكَ له في صفاته.

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ تلخيصه: الألوهية مختصةً به.

ولما سمعَ المشركون هذه الآية، قالوا له ﷺ: إن كنتَ صادقاً، فَأْتِ

بآية يُعْرَفُ<sup>(٢)</sup> بها صدقك، فنزل:

\*\*\*

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي

تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ

الْمُسْحَرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿١٦٤﴾.

[١٦٤] ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾<sup>(٣)</sup> جمعَ السمواتِ؛ لأن كلَّ

(١) في «ن»: «لا يجهلون».

(٢) في «ن»: «نعرف».

(٣) انظر: «شعب الإيمان للبيهقي» (١٠٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٥)، =

## جنة السنة

سماء ليست من جنس الأخرى، ووَحَّدَ الأرضَ؛ لأنها من جنسٍ واحد، وهو الترابُ.

﴿وَأَخْتَلَفَ أَيْلٌ وَالنَّهَارِ﴾ أي: تعاقبهما في الذهابِ والمجيءِ، والزيادةِ والنقصانِ، والنورِ والظلمة.

﴿وَالْفُلْكِ﴾ الشُّفْنُ، واحده وجمعه سواء، فإذا أُريدَ به الجمعُ يُوْنَثُ، وفي الواحدة يُذَكَّرُ، قال الله تعالى في الواحدةِ والتذكير: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الصفات: ١٤٠]، وقال في الجمعِ والتأنيثِ: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ﴾ [يونس: ٢٢].

﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ مُوقَرَةٌ لَا تَرُسُّ؛ أي: لا تجلس تحت الماء.  
﴿بِمَا﴾ أي: بالذي.

﴿يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من الحملِ فيها، والركوبِ عليها.

﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ﴾ أي: مطر.

﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾ أي: بالماء.

﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يبسها.

﴿وَبَثَّ﴾ أي: فرَّقَ.

﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ لأن بَثَّ الدوابُّ يكونُ بعدَ حياةِ الأرضِ بالمطر؛ لأنهم ينمونُ بالخصبِ، ويعيشون بالمطر، والدابَّةُ: كُلُّ ما يَدُبُّ.  
﴿وَتَصْرِيْفٍ﴾ أي: وتَنْقِيلِ.

= و«تفسير البغوي» (١/١٣٢)، و«الدر المثور» للسيوطي (١/٣٩٥).

## جنة السنة

﴿الرِّيحُ﴾ من مهايها قبولاً ودبوراً، وجنوباً وشمالاً، وحارةً وباردةً، وعاصفةً وليئةً، وعقيماً ولاقحاً، وغير ذلك. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (الرِّيح) بغير ألف على التوحيد. والباقون: بالألف على الجمع<sup>(١)</sup>. والرِّيحُ أعظمُ جندِ الله تعالى، وتذكرُ وتؤنثُ، وسُميت ريحاً؛ لأنها تريح النفوس، والرياحُ ثمانية: أربعةٌ للرحمة، وهي: المبرِّراتُ، والناشِراتُ، والذارياتُ، والمرسلاتُ، وأربعةٌ للعذاب: وهي: العقيمُ، والصَّرَصَرُ في البرِّ، والعاصِفُ والقاصِفُ في البحر.

﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ أي: المقيم المذل للرياح، سُمِّي سحاباً؛ لأنه يُسحبُ؛ أي: يسيرُ في سرعة كأنه ينسحبُ؛ أي: يُجرُّ.

﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ تقلِّبه في الجوِّ كيف شاءت بمشيئة الله تعالى، فيمطرُ<sup>(٢)</sup>.

﴿لَايَتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ينظرون بعقولهم، فيعلمون أنَّ لهذه الأشياء خالقاً وصانعاً، فيوحِّدونه، فبعد ثبوت الألوهية عنَّف الكفار أنَّ عبدوا غيره، ووصف الأبرار فقال:

\*\*\*

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩١)، و«الكشف» لمكي (١/٢٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/١٣٣)، و«الكشاف» للزمخشري (١/١٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٣١).

(٢) في «ن»: «فتمطر».

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [١٦٥].

[١٦٥] ﴿ وَمِنَ النَّاسِ ﴾ أي: المشركين.

﴿ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا ﴾ أي: أصناماً يعبدونها.

﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ أي: يحبون آلهتهم كحبِّ المؤمنين لله تعالى، ثم فضَّلَ محبةَ المؤمنين<sup>(١)</sup> بقوله:

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ من حبِّ الكفارِ الأنداد؛ لأن المؤمنين لا يعدُّون عن الله تعالى بكلِّ حالٍ، والكافرون يعدُّون عن أربابهم في الشدائد إلى الله تعالى، وإذا اتَّخذوا صنماً، ثم رأوا أحسنَ منه، طرحوا الأول، واختاروا الثاني.

﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ قرأ نافع، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (تَرَى) بالتاء خطاباً للنبي ﷺ، معناه: لو ترى يا محمدُ الذين ظلموا؛ أي: أشركوا، في شدةِ العذاب، لرأيتَ أمراً عظيماً. وقرأ الباقر: (يَرَى) بالياء، معناه: ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عندَ رؤيةِ العذابِ، لعرفوا مَصْرَةَ الكفر<sup>(٢)</sup>.

(١) في «ن»: «المؤمنين محبة».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢٢٧/١)، و«السبعة» لابن مجاهد (١٧٣)، و«تفسير البغوي» (١/١٣٤)، و«الكشاف» للزمخشري (١/١٠٦)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٣٢).

﴿ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ ﴾ بالعين يوم القيامة . قرأ ابنُ عامرٍ : (يُرُونَ) بضم الياء مجهولاً، والباقون: بفتحها معلوماً<sup>(١)</sup>، و(إذ) للماضي، ووقعت هنا للمستقبل؛ لأنَّ خبر الله عن المستقبل في الصحة كالماضي .

﴿ أَنْ الْقُوَّةَ ﴾ أي: القدرة الإلهية والغلبة .

﴿ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ معناه: لرأوا وأيقنوا أنَّ القوَّةَ لله . قرأ أبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (إِنَّ الْقُوَّةَ)، و(إِنَّ الله) بكسر الألف فيهما على الاستئناف<sup>(٢)</sup> .

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ وتبدلُ من ﴿ إِذْ يَرَوْنَ ﴾ .

\*\*\*

﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾<sup>(١٧٦)</sup> .

[١٦٦] ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ هم الرؤساء المقتدى بهم . قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام<sup>(٣)</sup> .

﴿ مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ هم الأتباع، وأصل التبرؤ: التخلص .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٣)، و«الكشف» لمكي (١/٢٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«تفسير البغوي» (١/١٣٤)، و«الكشاف» للزمخشري (١/١٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٣٢) .

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٢٨)، و«تفسير الطبري» (٣/٢٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/١٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٣٢) .

(٣) انظر: «إتحاف الفضلاء» للدماطي (ص: ١٥٢)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٣٣) .



## جنة السنة

﴿ وَرَأَوْا ﴾ أي: تبرؤوا في <sup>(١)</sup> حال رؤيتهم.

﴿ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ﴾ أي: عنهم.

﴿ الْأَسْبَابُ ﴾ الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا؛ من القرابات،  
والموالاة، والمخاللة، وصارت عداوةً.

\*\*\*

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَخَّطْنَا لَهُمُ اللَّهُمَّ اللَّهُمَّ اللَّهُمَّ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ <sup>(١٦٧)</sup> .

[١٦٧] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ يعني: الأتباع.

﴿ لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ ﴾ رجعة إلى الدنيا.

﴿ فَتَنَّبَرَّأْنَاهُمْ ﴾ أي: من المتبوعين.

﴿ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ﴾ اليوم.

﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي: كما أراهم العذاب كذلك.

﴿ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ كتبرؤوا <sup>(٢)</sup> بعضهم من بعض.

﴿ حَسْرَاتٍ ﴾ نداماتٍ.

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ جمعُ حسرةٍ.

﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ لأنهم خلِقوا لها.

---

(١) في «ن»: «أي».

(٢) في «ن»: «كتبري».

## جنة السنة

ونزل في ثقيفٍ وحُزاعةٍ وغيرِهِم مَمَّنْ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ الْوَصِيلَةَ وَالْبَحِيرَةَ  
وغيرَهُمَا:

\*\*\*

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ  
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١٦٨).

[١٦٨] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ (من) تبعيض؛ لأن ليس كلُّ  
ما فيها يؤكل.

﴿حَلَالًا﴾ الحلال: ما لا يُعاقبُ عليه، وهو ما أطلقَ الشرعُ فعله،  
مأخوذٌ من الحلِّ، وهو الفتح.

﴿طَيِّبًا﴾ طاهرًا من جميع الشُّبُه.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾ آثاره وطرقه. قرأ أبو جعفر، وابنُ عامرٍ،  
والكسائي، وحفصٌ، ويعقوبٌ، وقنبلٌ (خُطُوتِ) بضم الطاء حيث وقع،  
والباقون: بسكونها<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ مظهرُ العداوةِ بَيِّنُها، ثم ذكر عداوته فقال:

\*\*\*

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٤)،  
و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٠)، و«الكشف» لمكي (١/٢٧٣)، و«الغيث»  
للصفاقي (ص: ١٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«إتحاف فضلاء  
البشر» للدماطي (ص: ١٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٣٣).

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ (١٦٩).

[١٦٩] ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ ﴾ أي: الإثم، وأصله: ما يسوء صاحبه.

﴿ وَالْفَحْشَاءِ ﴾ وهي أقبح المعاصي وأخبثها.

﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ من تحريم الحرث والأنعام وغيرهما؛ لأنه لا علم لكم بذلك.

\*\*\*

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُوا كَانُوا آبَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (١٧٠).

[١٧٠] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ في تحليل ما حرّموا على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة، والهاء والميم في (لَهُمْ) عائدة على الناس في قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا ﴾.

﴿ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ﴾ قرأ الكسائي: (بل نتبع) بإدغام اللام في النون<sup>(١)</sup>.

﴿ مَا أَلْفَيْنَا ﴾ وجدنا.

﴿ عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ في التحريم والتحليل، قال الله تعالى:

﴿ أَوَّلُوا كَانُوا آبَاءَهُمْ ﴾ أي: كيف يتبعون آباءهم، وآباؤهم ﴿ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا ﴾ من الدين.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (١/١٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٣٥).

﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ للصواب، المعنى: أيتبعونهم ولو كانوا ضلالاً؟!!

ثم ضرب لهم مثلاً، فقال - جل ذكره -:

\*\*\*

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾.

[١٧١] ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ النعيق: صوت الراعي بالغنم، وهي لا تسمع إلا صوتاً وزجراً، ولا تفقه شيئاً آخر، وكذلك الكفار في دعاء النبي لهم إلى الهداية، فمعنى الآية: مثلك يا محمد في دعائك الكفار إلى الهداية، وعدم هدايتهم، كمثل الذي يصوت.

﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ منه كالبهائم.

﴿إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ تلخيصه: لا ينتفع الكفار بشيء من وعظك يا محمد، وإن سمعوا صوتك.

﴿صُمُّ﴾ تقول العرب لمن يسمع ولا يعقل: كأنه أصم.

﴿بُكُمْ﴾ عن الخير لا يقولونه.

﴿عُمَىٰ﴾ عن الهدى لا يبصرونه.

﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الموعدة.

\*\*\*

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾.

[١٧٢] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾ أي: حلالات.

﴿ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ أي: كلوا رزقكم.

﴿ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ ﴾ على نعمه.

﴿ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.

ثم بين المحرّمات فقال:

\*\*\*

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٧٣).

[١٧٣] ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴾ وهي ما لم تُدرَك ذكاتها مما<sup>(١)</sup> يُذبح. قرأ أبو جعفر: (الميتة) بالتشديد في كل القرآن<sup>(٢)</sup>.

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ ﴾ أي: واستثنى الشارع من الميتة السمك والجراد، ومن الدّم الكبد والطحال، فأحلّهما.

﴿ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ ﴾ أي: جميع أجزائه، فعبر عن ذلك باللحم؛ لأنه معظّمه.

﴿ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾ أي: ذكّر عليه اسم غير الله، وهو ما ذبح للأصنام والطواغيت، وأصل الإهلال: رفع الصوت، وكانوا عند ذبحهم لآلهتهم يرفعون أصواتهم بذكرها.

(١) في «ن»: «بما».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٣/٣١٨)، و«تفسير البغوي» (١/١٣٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٣٦).

## جنة السنة

﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ أي: أُلْجِءَ وَأُجِجَ إِلَى أَكْلِ المَيْتَةِ، وَحَدُّ الاضْطِرَارِ أَنْ يَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ، أَوْ عَلَى بَعْضِ أَعْضَائِهِ التَّلَفَ، فَلْيَأْكُلْ. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَمَنْ اضْطُرَّ) بِضَمِّ النونِ، وأبو جعفرٍ: بكسر الطاء<sup>(١)</sup>.

﴿غَيْرَ﴾ نَصَبٌ [على]<sup>(٢)</sup> الحالِ.

﴿بَاغٍ﴾ أي: خارج على السلطان، وأصلُ البغي: الفسادُ.

﴿وَلَا عَادٍ﴾ أي: عاصٍ بسفره، روي عن يعقوبَ الوقفُ بالياء على (بَاغِي) وَ(عَادِي)<sup>(٣)</sup>، وأصلُ العدوانِ: الظلمُ، فلا يجوزُ للعاصي بسفره أكلُ المَيْتَةِ للضرورة، ولا الترخُّصُ بِرُخْصِ المسافرِينَ عند الشافعيِّ، ومالكٍ، وأحمدَ، خلافاً لأبي حنيفة، واختلفوا في مقدارٍ ما يحلُّ للمضطرِّ أكله من المَيْتَةِ، فقال مالكٌ: يأكل حتى يشبع، وقالَ الثلاثةُ: يأكلُ مقدارَ ما يُمَسِّكُ رَمَقَهُ، وجوابُ (فَمَنْ):

﴿فَلَا إِيَّاهُ عَلَيْهِ﴾ أي: لا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي أَكْلِهَا.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن أكل في حالِ الاضطرارِ.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٢)، و«الكشف» لمكي (١/٢٧٤)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (١/١٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمايطي (ص: ١٥٣)، «معجم القراءات القرآنية» (١/١٣٦).

(٢) «على» لم ترد في جميع النسخ، والسياق يقتضيها.

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٢/٢٣١).

﴿رَجِيمٌ﴾ بترخيصه ذلك .

ونزل لما غيّر علماء اليهود صفة محمد ﷺ؛ خوفاً على فوات رياستهم  
وماكلهم التي كانوا يصيبنها من سفلتهم رجاء أن يكون النبي المبعوث منهم<sup>(١)</sup> :

\*\*\*

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا  
قَلِيلًا أَوْلِيَّتِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [١٧٤] .

[١٧٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني : صفة  
محمد ﷺ ونبوته .

﴿وَيَشْتُرُونَ بِهِ﴾ أي : بالمكتوب .

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عوضاً يسيراً ، يعني : المآكل التي يصيبنها من سفلتهم .

﴿أَوْلِيَّتِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا﴾ ما يؤدّهم .

﴿النَّارَ﴾ وهو الرّشوة والحرام ، فلما كان ذلك يُفضي بهم إلى النار ،  
فكانهم أكلوا النار .

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بالرحمة ، وبما يسرهم إنما يكلمهم  
بالتوبيخ .

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ لا يطهرهم<sup>(٢)</sup> من دنس الذنوب .

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي : مؤلم .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (١/١٣٩ - ١٤٠) .

(٢) في «ن» : «تطهيرهم» .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ (١٧٥).

[١٧٥] ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ ﴾ أي: استبدلوا الكفر بالإيمان.

﴿ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ﴾ قرأ السوسي، ورؤيس (وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ) (الكتاب بِالْحَقِّ) بإدغام الباء في الباء<sup>(١)</sup>، ثم أعجب من حالهم وملازمتهم ما يُوجب لهم النار، فقال:

﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ وأصل الصبر: الإمساك في ضيق.

\*\*\*

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (١٧٦).

[١٧٦] ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: العذابُ مبتدأ، خبره:

﴿ بِأَنَّ اللَّهَ ﴾ أي: بسبب أن الله.

﴿ نَزَّلَ الْكِتَابَ ﴾ أي: الكتاب.

﴿ بِالْحَقِّ ﴾ بما لا شك فيه ولا تناقض، فاختلَفوا فيها، فأمنوا ببعض، وكفروا ببعض.

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ ﴾ خلاف.

﴿ بَعِيدٍ ﴾ عن الهدى.

(١) انظر: تفسير الآية (٢٠) من سورة البقرة.



## جنة السنة

ولما صَلَّى اليهودُ نحوَ المغربِ، وادَّعَوْا أَنه البرُّ، والنصارى نحوَ  
المشرقِ، وادَّعَوْا أَنه البرُّ، نزلَ ردًّا عليهم:

\*\*\*

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ  
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي  
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ  
الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ  
وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

[١٧٧] ﴿لَيْسَ الْبِرَّ﴾ وهو كلُّ عملٍ خيِّرٍ يُفْضِي بِصَاحِبِهِ إِلَى الْجَنَّةِ،  
وَأَصْلُهُ: التَّوَشُّعُ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ. قرأ حمزة، وحفص: (البرُّ) بنصبِ الراء،  
والباقون: برفعها، فمن قرأ بالرفع، جعل البرَّ اسمَ ليس، وخبرها (أن  
تولوا)، ومن قرأ بالنصب، جعل (أن تولوا) الاسم<sup>(١)</sup>.

﴿أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ المعنى: ليس البرُّ صلَاتِكُمْ إِلَى  
غير القبلة.

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أي: وإنما البر. قرأ نافع، وابنُ عامرٍ بتخفيفِ النون<sup>(٢)</sup>،  
ورفعِ الراء مبتدأ، خبره:

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٣٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص:  
١٢٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص:  
٦٨).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)،  
و«تفسير البغوي» (١/١٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٩٢)، و«الكشف» =

﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ ﴾ يعني: الكتب المنزلة.

﴿ وَالنَّبِيِّنَ ﴾ أجمع.

﴿ وَعَائِي ﴾ أي: أعطى.

﴿ أَلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ أي: حب المال في حال صحته ومحبته.

﴿ ذَوِي الْقُرْبَىٰ ﴾ أهل القرابة، وقدّمهم؛ لأنهم أحق.

﴿ وَأَلْتَمَعَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ هو المسافر، سُمّي به لملازمته

الطريق.

﴿ وَالسَّائِلِينَ ﴾ المستطعمين.

﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ المكاتبين.

﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَعَآتَىٰ ﴾ أي: أعطى ﴿ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ ﴾ فيما

بينهم وبين الله - عز وجل -، وفيما بينهم وبين الناس.

﴿ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ إذا وعدوا<sup>(١)</sup> أنجزوا، وإذا حلفوا أو نذروا أوفوا، وإذا

قالوا صدقوا، وإذا اتّمنوا أدّوا.

﴿ وَالصَّابِرِينَ ﴾ منصوبٌ على المدح، والعرب تنصب الكلام على المدح

والكرم؛ كأنهم يريدون إفراد الممدوح والمذموم، ولا يتبعونه أول الكلام

وينصبونه.

= لمكي (٢٨١/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي»

(١٤١/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن

الجزري (٢٢٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٣٧/١).

(١) في «ن»: «توعدوا».

﴿ فِي الْبِئْسَاءِ ﴾ الشدة والفقر .

﴿ وَالضَّرَّاءِ ﴾ المرض والزمانة .

﴿ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ القتال والحرب .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ فيما عاهدوا ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ محارم الله .

\*\*\*

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ  
وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْعَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَّءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ  
ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ .

[١٧٨] ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ ﴾ فرض .

﴿ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ﴾ المساواة .

﴿ فِي الْقَتْلِ ﴾ والقصاص: المماثلة في الجراح والديات، وأصله من  
قَصَّ الأثر: إذا تبعه، وهو أن يفعل بالجاني مثل ما فعل، وسبب نزولها أنه  
كان بين حيين في الجاهلية جراحات وديات لم تستوف حتى جاء الإسلام،  
فأقسم أحد الحيين ليقتلن<sup>(١)</sup> بالرجل الواحد الرجلين، فنزلت<sup>(٢)</sup> .

﴿ الْحَرْبِ ﴾ مبتدأ، خبره تقديره: مأخوذ .

(١) في «ن»: «ليقتل» .

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٣٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٣)، و«الكشف» لمكي (١/٢٥٦)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (١/١٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٣٨) .

﴿ بِالْحُرِّ ﴾ كذلك ﴿ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ ﴾ اختلف الأئمة في حكم الآية، فمالك والشافعي وأحمد - رضي الله عنهم - لا يقتلون الحرَّ بالعبد، ولا المؤمنَ بالكافر، ويجعلون هذه الآية مفسرةً للمبهم في قوله: ﴿ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ [المائدة: ٤٥]، ولأن تلك حكاية ما خوطب به اليهود في التوراة، وهذه خطاب للمسلمين، وما فرض عليهم فيها، واستثنى مالك فقال: إلا أن يقتل المسلم الكافر غيلةً، فيقتل به، وأبو حنيفة - رضي الله عنه - يقتل الحرَّ بالعبد، والمؤمنَ بالكافر، يجعل<sup>(١)</sup> هذه الآية منسوخةً بقوله: ﴿ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾، وبدليل ما روي: «المُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ»<sup>(٢)</sup>، ولأنَّ التفاضل في الأنفس<sup>(٣)</sup> غير معتبر؛ بدليل قتل الجماعة بالواحد بالاتفاق، واتفقوا على أنه يُقتل الذكر بالأنثى، وعكسه، والصغيرُ بالكبير، والصحيحُ بالأعمى، وبالزَّمنِ، وبناقصِ الأطرافِ، وبالمجنونِ.

ونقل الزمخشري في «كشافه» أن مذهب مالك والشافعي لا يقتل الذكر بالأنثى؛ أخذاً بهذه الآية<sup>(٤)</sup>، وهو وهم؛ فإن مذهبهما يقتل الذكر بالأنثى، وعكسه، وقد صرح بذلك علماء المذهبيين في كتبهم المبسوطات والمختصرات.

﴿ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ أي: ترك له، وصفح عنه من الواجب عليه،

(١) في «ن»: «ويجعل».

(٢) رواه أبو داود (٢٧٥١)، كتاب: الجهاد، باب: في السرية ترد على أهل العسكر، وابن ماجه (٢٦٨٥)، كتاب: الديات، باب: المسلمون تتكافأ دماؤهم، وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -.

(٣) في «ت»: «النفس».

(٤) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٢٤٦/١).

## جنة السنة

وهو القصاصُ في قتل العمد، ورُضي منه بالدية، وأصلُ العفو: المحوُّ والتجاوزُ، وقوله: (مِنْ أَخِيهِ)؛ أي: من دم أخيه المقتول، وقوله: (شيءٌ) دليلٌ على أن بعض الأولياء إذا عفا، سقطَ القودُ، وتعيَّنتِ الديةُ؛ لأنَّ شيئاً من الدم قد بطلَ، وهو قولُ الثلاثة، وقال مالكٌ: إن عفا بعض مَنْ له الاستيفاءُ، فإن كانَ الجميعُ رجالاً، سقطَ القودُ، وإن كُنَّ نساءً، نظرَ الحاكمُ، فإن كانوا رجالاً ونساءً، لم يسقطُ إلا بهما، أو ببعضهما، وإلا فالقولُ قولُ المقتصِّ، ومهما سقطَ البعضُ، تعيَّنَ لباقي الورثة نصيبُهُم من ديةِ عمدٍ.

﴿ فَأَبِغْ ﴾ أي: على الطالبِ للدياتِ الاتباعُ.

﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ فلا يأخذُ منه أكثرَ من الدية، ولا يطالبُه بعنفٍ.

﴿ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ ﴾ أي: على المطلوبِ منه أداءُ الديةِ إلى وليِّ الدمِ.

﴿ بِإِحْسَانٍ ﴾ بلا ممانعةٍ ولا بخص، وهذا تأديبٌ للقاتل، ولوليِّ الدمِ.

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: المذكورُ من العفوِ وأخذِ الديةِ.

﴿ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ لأن القصاص كان حتماً على اليهود، وحُرِّمَ عليهمُ العفوُ والديةُ، وكانتِ الديةُ حتماً على النصارى، وحُرِّمَ عليهمُ القصاصُ، فخيرتُ هذه الأمةُ بين الأمرين تخفيفاً ورحمةً.

﴿ فَمَنْ أَعْتَدَى ﴾ أي تجاوزَ ما شرعَ، فقتلَ الجاني بعدَ العفوِ وقبولِ

الدية، أو قتلَ غيرَ القاتلِ.

﴿ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ أي: بعدَ أخذِ الديةِ.

﴿ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرةِ.

\*\*\*

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [١٧٩].

[١٧٩] ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ أي : بقاء؛ لأنه يزجر عن القتل .

﴿ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ العقول .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي : تنتهون عن القتل مخافة القود . وفي معنى قوله

تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ من الأمثال الدائرة على ألسن الناس :  
القتل أنفى للقتل .

\*\*\*

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ  
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ .

[١٨٠] ﴿ كُتِبَ ﴾ أي : فرض .

﴿ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ أي : أسبابه من الأمراض .

﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا ﴾ أي : مالا .

﴿ الْوَصِيَّةُ ﴾ والفاء مقدره؛ أي : فالوصية رفع مبتدأ، خبره :

﴿ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ كانت فريضة في ابتداء الإسلام، ثم نسخت بأية

الميراث، وبقول النبي ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ

لِوَارِثٍ»<sup>(١)</sup> ﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ أي : بالعدل، لا يزيد على الثلث، ولا يوصي

لغنيٍّ ويدعُ الفقير .

(١) رواه أبو داود (٢٨٧٠)، كتاب : الوصايا، باب : ما جاء لا وصية لوارث، وقال :

حسن صحيح، وابن ماجه (٢٧١٣)، كتاب : الوصايا، باب : لا وصية لوارث،

وغيرهم عن أبي أمامة - رضي الله عنه - .

## جنة السنة

﴿ حَقًّا ﴾ نصبٌ على المصدر؛ أي: جعلَ الوصيةَ حقًّا.  
﴿ عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ الله.

\*\*\*

﴿ فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٨١).

[١٨١] ﴿ فَمَنْ ﴾ شرطٌ مبتدأ.

﴿ بَدَلَهُ ﴾ غَيْرُ الإِصَاءِ.

﴿ بَعْدَمَا سَمِعَهُ ﴾ أي: قولَ الموصي، والجوابُ:

﴿ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ ﴾ أي: حرجُ الإِصَاءِ المبدلِ.

﴿ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ﴾ والميثُ بريءٌ منه ثم تهددَ المبدلُ بقوله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لِمَا وَصَّى به الموصي.

﴿ عَلِيمٌ ﴾ بتبديل المبدلِ.

\*\*\*

﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٨٢).

[١٨٢] ﴿ فَمَنْ خَافَ ﴾ أي: علم.

﴿ مِنْ مَوْصٍ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكرٍ عن عاصم، ويعقوب،

وخلف: (مَوْصٍ) بفتح الواو وتشديد الصاد؛ لقوله تعالى: ﴿ مَا وَصَّى بِهِءِ

نُوحًا ﴾ [الشورى: ١٣]، ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ ﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقرأ الباقون: بسكون

## جنة السنة

الواو وتخفيف الصاد؛ لقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ (١)  
[النساء: ١١].

﴿جَنَفًا﴾ أي: عدولاً عن الحق، وأصله: الميل.

﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ظلماً.

﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين الموصى لهم.

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أي: على الحاضر أو وليّ أمور المسلمين أن يأمر  
الموصى بالعدل بين الموصى لهم، أو يصلح بعد موته بين ورثته وبين  
الموصى له، ويردّ الوصية إلى العدل والحق.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وعدّ للمصلح.

\*\*\*

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَنَقُّونَ﴾ (١٨٣).

[١٨٣] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ﴾ أي: فرض.

﴿عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ وأصله في اللغة: الإمساك، وفي الشرع: إمساك  
عن أشياء مخصوصة بنية في زمن معين من شخص مخصوص. ثم بيّن أن

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٣٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٢٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٦)، و«الكشف» لمكي (١/٢٨٢)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٧)، و«تفسير البغوي» (١/١٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٠).



## جنة السنة

هذا الصيام؛ أعني: ثلاثين يوماً، كان مفروضاً على من تقدّمنا، ولم نُخصَّ به بقوله:

﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ من الأنبياء والأمم، وكان صيام مَنْ تقدّمنا من العتمة إلى الليلة القابلة، وكان النصراني قد يقع صيامهم في الحرّ الشديد، فيشقُّ عليهم، فجعلوه في الربيع، وزادوه عشرًا كفارةً لما صنعوا، ثم مرض ملكهم فبرىء، فأتمّه خمسين.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ما لم يجزُ شرعاً.

\*\*\*

﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٤).

[١٨٤] ﴿ أَيَّامًا ﴾ ظرفٌ لكتبت؛ كقولك<sup>(١)</sup>: نويتُ الخروجَ يومَ الجمعة.

﴿ مَعْدُودَاتٍ ﴾ موقّاتٍ بعددٍ، وكان في ابتداء الإسلام صومُ ثلاثةِ أيامٍ من كلّ شهرٍ واجباً، وصومُ عاشوراء، فنسخَ بصيام رمضان، وأولُ ما نُسخَ بعد الهجرة أمرُ القبلة والصوم، وفرضَ رمضانُ في السنة الثانية من الهجرة إجماعاً، فصام - عليه السلام - تسعَ رمضانٍ إجماعاً.

﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾ أي: راكب سفر.

(١) في «ت»: «كقوله».

﴿فَعِدَّةٌ﴾ مبتدأ، خبره محذوف، تقديره، ومعناه: فأفطر، فعلية صيامٍ عددِ أيامِ فطره.

﴿مِنْ أَيَّامٍ﴾ نعتٌ لَعِدَّة.

﴿أُخْرَى﴾ غيرِ أيامِ مرضه وسفره.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ أي: على الذين يقدرُونَ على الصيام، وهم مَنْ<sup>(١)</sup> لا عذرَ له في الفطر، فعلية إن أفطر:

﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ لأنهم كانوا قد خُيروا في ابتداء الإسلام بين أن يصوموا وبين أن يفطروا ويفتدوا، فَنَسَخَ التَّخْيِيرُ بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامر: (فِدْيَةُ طَعَامٍ) بالإضافة (مَسَاكِينَ) على الجمع بألف<sup>(٢)</sup> بعد السين، وافقهم هشامٌ في جمع مساكين. وقرأ الباقر: (فِدْيَةُ) منونَةً (طَعَامٍ) رفعٌ (مَسْكِينٍ) على التوحيد، فمن جمع، نصبَ النونَ، ومن وحَّد، خفضَ النونَ، ونونَها<sup>(٣)</sup>، وهي ثابتةٌ في حقِّ مَنْ كان يطيقُ في حالِ الشبابِ، ثم عجزَ لكبره، فله أن يفطرَ ويفتديَ عندَ الثلاثة، وعندَ مالِكٍ يفطرُ ولا فديةَ

(١) في «ن»: «ممن».

(٢) في «ن»: «بالألف».

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٣٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٣)، و«الكشف» لمكي (١/٢٨٢-٢٨٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٧)، و«تفسير البغوي» (١/١٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٢).

## جنة السنة

عليه، لكن تستحب. والفدية: الجزاء، وهو أن يُطعمَ عن كلِّ يومٍ أفطرَ مسكيناً مُدّاً مِنْ بُرٍّ، وهو رطلٌ وثُلُثُ بالعراقيِّ عندَ الشافعيِّ ومالكٍ وأحمدَ، وعندَ أبي حنيفةٍ نصفُ صاعٍ بُرّاً، أو صاعٌ من غيره، وقدر الصاعِ عنده ثمانية أرطالٍ بالعراقيِّ.

﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: زاد على مسكينٍ واحدٍ، أو زاد على الواجبِ عليه.

﴿فَهُوَ﴾ أي: فالتطوُّعُ.

﴿خَيْرٌ لَهُ﴾ قرأ حمزة، والكسائيُّ، وخلف: (يَطْوَعُ)<sup>(١)</sup> أي: يَتَطَوَّعُ،

ومحلُّ ﴿وَأَنْ تَصُومُوا﴾ رفعٌ مبتدأ، خبره:

﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي: والصيامُ خيرٌ من الفدية.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، والحاملُ والمرضُ إذا خافتا على ولديهما وأنفسهما، أفطرتا، وقضتا<sup>(٢)</sup> بالاتفاق، ولا فدية عليهما عندَ أبي حنيفةٍ، والمشهورُ عن مالكٍ وجوبُ الفديةِ على المرضِ دونَ الحاملِ، وعندَ الشافعيِّ وأحمدَ إن أفطرتا خوفاً على أنفسهما، فلا فدية، أو على الولدِ لزمتهما الفدية، وأما المريضُ والمسافرُ والحائضُ والنفساءُ، فعليهمُ القضاءُ دونَ الفديةِ بالاتفاق.

ثم بين اللهُ تعالى أيامَ الصيامِ فقال:

(١) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٠)، و«الكشف» لمكي (١/٢٦٩-٢٧٠)،

و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«إتحاف

فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٣).

(٢) في «ن»: «وقضيا».

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتَكُمُ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [١٨٥].

[١٨٥] ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾ سُمِّيَ الشَّهْرُ شَهْرًا؛ لشهرته، وَسُمِّيَ رَمَضَانَ من الرَّمْضاء، وهي الحجارة المَحْمَّاة. قرأ أبو عمرو (شَهْرَ رَمَضَانَ) بإدغام الراء في الراء<sup>(١)</sup>، ورفعُه مبتدأ، خبرُه:

﴿ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ جملةٌ واحدةٌ في ليلةِ القدرِ من اللُّوحِ المحفوظِ إلى بيتِ العِزَّةِ في سماءِ الدُّنيا، ثم نزلَ به جبريلُ - عليه السلام - نجومًا في نَيْفِ وعشرينَ سنةً، وتقدَّم تفسيرُ معنى القرآنِ في الفصلِ الثامنِ أوَّلَ التفسيرِ. قرأ ابنُ كثيرٍ (القرآن) (وقرآنًا) حيثُ وقعَ بفتحِ الراءِ غيرَ مهموزٍ<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي ذرٍّ - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «أُنزِلَتْ صُحُفٌ إِبْرَاهِيمَ فِي ثَلَاثِ لَيَالٍ مَّضِينَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَتْ تَوْرَاةُ مُوسَىٰ فِي سِتِّ لَيَالٍ مَّضِينَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ إِنْجِيلُ عِيسَىٰ فِي ثَلَاثِ عَشْرَةَ مَّضِينَ مِنْ

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٣٧)، و«إتحاف الفضلاء» للدماطي (ص: ١٤٨)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/١٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٤).

## جنة السنة

رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ زَبُورُ دَاوُدَ فِي ثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً<sup>(١)</sup> مَضَتْ<sup>(٢)</sup> مِنْ رَمَضَانَ،  
وَأُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى مُحَمَّدٍ فِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ لِسِتِّ بَقِيْنَ  
بَعْدَهَا»<sup>(٣)</sup>.

﴿هُدَى لِلنَّاسِ﴾ من الضلالة .

﴿وَيَبِّئْتِ﴾ دلالاتٍ واضحاتٍ .

﴿مِنَ الْهُدَى﴾ ذكر أولاً أنه هدى للناس، ثم ذكر ثانياً أنه بيناتٌ من  
الهدى؛ ليؤذن أنه من جملة ما هدى الله تعالى به .

﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ المفترق بين الحقِّ والباطلِ .

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾ أي: كان<sup>(٤)</sup> مقيماً في الحضر .

﴿فَلْيَصُومَهُ﴾ وأعاد قوله:

﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ليعلم أن هذا  
الحكم ثابتٌ في الناسخِ ثبوته في المنسوخ، واختلفوا في المرض الذي يُباحُ  
الفطر، فقال أبو حنيفةً ومالكٌ: يُباحُ بمطلقِ المرضِ، وقال الشافعيُّ  
وأحمدٌ: يُباحُ إذا خافَ ضرراً بزيادةِ مرضه أو طولِه، والسفرُ المبيحُ للفطرِ

(١) «ليلة» ساقطة من «ن» .

(٢) في «ن»: «مضين» .

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٠٧/٤)، والطبراني في «المعجم الكبير»  
(٧٥/٢٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٤٨)، وابن عساكر في «تاريخ  
دمشق» (٢٠٢/٦)، عن واثلة بن الأسقع - رضي الله عنه - قال الهيثمي في  
«مجمع الزوائد» (١٩٧/١): فيه عمران بن داود القطان، ضعفه يحيى ووثقه ابن  
حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقيه رجاله ثقات .

(٤) «كان» ساقط من «ن» .

## جنة السنة

عند أبي حنيفة مسيرة ثلاثة أيام، وعند الثلاثة ستة عشر فرسخاً [وهي] (١)  
أربعة بُرْدٍ، وهي يومان قاصدان، واختلفوا في أفضل الأمرين، فقال  
الثلاثة: الصوم أفضل، [وإن جهده الصوم كان الفطر أفضل، وقال الإمام  
أحمد: الفطر أفضل] (٢)؛ لقول النبي ﷺ: «لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي  
السَّفَرِ» (٣).

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾ حيثُ أباحَ الفطرَ بالمرضِ والسفرِ، واليسرُ:  
ما تسهل .

﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [العسرُ: ضدُّ اليسر، تلخيصُه: يريدُ أن يُيسرَ  
عليكم ولا يُعسرَ] (٤). قرأ أبو جعفر (اليسرَ والعسرَ) ونحوهما بضمِّ السين  
حيثُ وقع، والباقون: بالسكون (٥).

﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ تقديرُه: يريدُ بكم اليسرَ، ويريدُ بكم لتكمِلُوا.

﴿أَلْعِدَّةُ﴾ بقضاءِ ما أفطرتُم في مرضِكُم وسفركُم. قرأ أبو بكر،

(١) لم ترد في جميع النسخ، والسياق يقتضيها.

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) رواه البخاري (١٨٤٤)، كتاب: الصوم، باب: قول النبي ﷺ لمن ظل عليه  
واشند الحر: «ليس من البر الصوم في السفر»، ومسلم (١١١٥)، كتاب:  
الصيام، باب: جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية، عن  
جابر بن عبد الله - رضي الله عنه -.

(٤) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (١/١٥٦)، و«الكشاف» للزمخشري (١/١١٤)،  
و«تفسير القرطبي» (١/٣٠١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص:  
١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٤).

## جنة السنة

ويعقوبُ: (وَلِتُكْمَلُوا) بتشديد الميم، والباقون: بالتخفيف، وهو الاختيار؛ لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> [المائدة: ٣].

﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ أي: تُعْظِمُوهُ حَامِدِينَ.

﴿عَلَى مَا هَدَيْتَكُمْ﴾ أرشدكم إلى ما رَضِيَ بِهِ مِنْ صَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لله - عز وجل - على نعمه، والمرادُ بهذا التكبير: هو تكبيرُ ليلةِ الفطرِ، وهو مستحبٌ، واختلفَ الأئمةُ في مدَّته، فقال مالكٌ: يكبِّرُ في يومِ الفطرِ دون ليلته، وابتدأه من أولِ اليومِ إلى أن يخرجَ الإمامُ إلى الصلاة، وعندَ الشافعيِّ وأحمدَ من غروبِ الشمسِ ليلةَ الفطرِ، وانتهاهُ عندَ الشافعيِّ إلى أن يُحْرِمَ الإمامُ بالصلاة، وعندَ أحمدَ إلى فراغِ الخطبة، وقال أبو حنيفة: يكبِّرُ للأضحى، ولا يكبِّرُ للفطرِ، وعند صاحبيه يكبِّرُ إذا توجَّهَ للصلاة، فإذا انتهى إلى المصلَّى، سقطَ عنه التكبيرُ، والتكبيرُ في الفطرِ مطلقٌ غيرُ مقيَّدٍ بوقتٍ ولا مكانٍ، فيكبرُ في المساجد، والمنازل، والطرق، وغيرها، ولا يكبرُ عقبَ الصلواتِ المكتوبة، وأما صلاةُ العيدين، فهي<sup>(٢)</sup> فرضٌ كفايةٌ عندَ أحمدَ وسُنَّةٌ عندَ الشافعيِّ ومالكٍ، وعندَ أبي حنيفةٍ واجبةٌ على الأعيان، وليستُ فرضاً، ويأتي الكلامُ على

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٣٩)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٣)، و«الكشف» لمكي (١/٢٨٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٨)، و«تفسير البغوي» (١/١٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٥).

(٢) في «ت»: «فهو».

التكبير للأضحى وصفة التكبير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وأما وقت صلاة العيد وصفتها وأحكامها، فقد اتفق الأئمة على أن أول وقتها إذا ارتفعت الشمس، وآخره إذا زالت الشمس<sup>(١)</sup>، وسُمِّيَ عيداً؛ لاعتياد الناس له كل حين، ومعاودتهم إياه، والسنة أن يُنادى لها: الصلاة جامعة، ويُشترط لها إذن الإمام، والمِصْرُ عند أبي حنيفة، خلافاً للثلاثة، كما في الجمعة، ويشترط الاستيطان، وحضور أربعين عند الشافعي وأحمد، وعند أبي حنيفة ومحمد تنعقد بثلاثة سوى الإمام، وعند أبي يوسف اثنان سوى الإمام، وعند مالك ليس لهم حد محصور كما قال كلٌّ منهم في الجمعة، وهي ركعتان يجهرُ فيهما بالاتفق، وصفتها<sup>(٢)</sup> عند أبي حنيفة أن يكبر تكبيرة الافتتاح، وثلاثاً بعدها، فإذا قام للثانية، بدأ بالقراءة، ثم يكبر ثلاثاً، وأخرى للركوع، فيوالي بين القراءتين في الركعتين، ويسكت بين كل تكبيرتين قدر ثلاث تسيحات، ويرفع يديه في الزوائد، وعند مالك يكبر في الأولى بعد تكبيرة الإحرام ستاً، وفي الثانية بعد القيام خمساً، ويرفع يديه في الأولى خاصة، وليس عنده بين التكبيرتين قول، ولا للسكوت بينهما حد، وعند الشافعي يكبر في الأولى بعد الافتتاح سبعمائة، وفي الثانية قبل القراءة خمساً، وعند أحمد في الأولى بعد الافتتاح ستاً؛ كقول مالك، وفي الثانية بعد القيام خمساً؛ كقول الشافعي، واتفق الشافعي<sup>(٣)</sup> وأحمد على رفع اليدين مع كل تكبيرة، وعلى

(١) «الشمس»: زيادة من «ن».

(٢) في «ن»: «وصفتها».

(٣) «واتفق الشافعي» ساقطة من «ن».



التكبير والتحميد والتسبيح بين كل تكبيرتين، فإذا فرغ من الصلاة، خطب حُطبتين، وهما سُنَّة بالاتفاق، يفتتحهما بالتكبير، يحثُّهم في الفطر على الصدقة، ويبيِّن لهم ما يُخرجون، وفي الأضحى على الأضحية، ويبين حكمها، والتكبيرات الزوائد سُنَّة بالاتفاق.

\*\*\*

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١٨٦)

[١٨٦] ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ منهم بالعلم والإجابة. عن ابن عباس قال: قال يهود المدينة: يا محمد! كيف يسمع دعاءنا ربُّنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمس مئة عام، وأن غلظ كلِّ سماءٍ مثل ذلك؟ فنزلت هذه الآية، وفيه ضمائرٌ تقديره: فقل لهم: إني قريب.

﴿ أُجِيبُ ﴾ أسمع للإجابة.

﴿ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي) بإثبات الياء فيهما وصلًا، بخلافِ عن قالون. وقرأ يعقوب: بإثباتهما وصلًا ووقفًا، والباقون: بحذفهما في الحالين<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/١٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٦).

## جنة السنة

قال رسول الله ﷺ: «مَا عَلَى الْأَرْضِ رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةِ الْإِلَهِ آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ».

وروي أن أعرابياً قال: يا رسول الله! أقرئ ربنا فنناجيه، أم بعيداً فنناديه؟ فنزل:

﴿فَلَيْسَتْ جِئُبُوا لِي﴾ أي: فليُجيبوا إذا دعوتهم إلى الإيمان، والإجابة في اللغة: الطاعة، فالإجابة من الله: العطاء، ومن العبد: الطاعة، وحقيقته: فليطعنوني.

﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ لكي يهتدوا، والرُّشْدُ ضِدُّ الْغَيِّ. قرأ وَرَشٌّ: (وَلْيُؤْمِنُوا بِي) بفتح الياء<sup>(١)</sup>.

وكان في ابتداء الإسلام يحرم<sup>(٢)</sup> الأكل والشرب والجماع في رمضان بعد النوم وبعد صلاة عشاء الآخرة، ثم إن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - واقع أهله بعد ما صلى العشاء، فلما اغتسل، أتى النبي ﷺ، واعتذر إليه، ثم قام رجالٌ فاعترفوا بمثله، فنزل في عمر وأصحابه:

\*\*\*

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«الكشف» لمكي (١/٣٣٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٤٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٦).

(٢) في «ن»: «تحريم».

﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُمْ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

[١٨٧] ﴿أَحِلَّ﴾ أي: أُبِيحَ.

﴿لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ ظَرْفٌ لـ «أَحِلَّ».

﴿الرَّفَثُ﴾ الجماعُ ومقدماته.

﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: الرَّفَثُ: كلمةٌ جامعَةٌ لكلِّ ما يريدُ الرجلُ من النساءِ<sup>(١)</sup>.

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾ أي: سترٌ من النارِ بالتعقُّفِ.

﴿وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ واللباسُ: اسمٌ لكلِّ ما يسترُ، فكأن كلَّ واحدٍ منهما سترًا لصاحبه عمَّا لا يحلُّ، وجاء في الحديث: «مَنْ تَزَوَّجَ، فَقَدْ أَحْرَزَ ثُلُثِي دِينِهِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٥٤/٢)، (مادة: رفث).

(٢) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٤٧٦): رواه ابن الجوزي في «العلل» عن أنس مرفوعاً، وقال: لا يصح. وهو عند الطبراني في «الأوسط» (٧٦٤٧)، بلفظ: «فقد استكمل نصف الإيمان...»، وقال: لم يروه عن عصمة إلا زافر. ورواه البيهقي في «الشعب» (٥٤٨٦)، من حديث الخليل بن مرة، عن الرقاشي، ولفظه: «إذا تزوج العبد فقد كمل نصف دينه، فليتق الله في»

## جنة السنة

﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ ﴾ تخونون .

﴿ أَنْفَسَكُمْ ﴾ وتظلمونها بالمجاعة بعد العشاء .

﴿ فَنَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ تجاوز عنكم .

﴿ وَعَفَا عَنْكُمْ ﴾ مَحَا ذُنُوبَكُمْ .

﴿ فَأَلْتَنَ ﴾ ظرف لقول :

﴿ بَشِرُوهُمْ ﴾ جَامِعُوهُمْ ، وَسُمِّيَتِ الْمَجَامِعَةُ مَبَاشِرَةً لِالتَّصَاقِ بِشَرَّتَيْهِمَا .

﴿ وَابْتَغُوا ﴾ اطلبوا .

﴿ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مِنَ الْوَلَدِ ، وَكَانَ فِي ابْتِدَاءِ  
الإسلام إذا نام الإنسان أو صَلَّى العشاءَ حَرَّمَ عَلَيْهِ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ فِي صِيَامِ  
رمضان ، فنزل رخصة :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ لِيَالِي الصَّيَامِ .

﴿ حَتَّى يَبَيِّنَ ﴾ تَبَيَّنَ الشَّيْءُ : ظَهَرَ .

﴿ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ ﴾ هُوَ أَوَّلُ مَا يَبْدُو مِنْ بَيَاضِ النَّهَارِ كَالْخَيْطِ

الممدود .

﴿ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾ هُوَ مَا يَمْتَدُّ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ مَعَ بَيَاضِ النَّهَارِ ، وَشُبَّهَا

بِخَيْطَيْنِ أبيضَ وَأَسْوَدَ لِامتدادِهِمَا ، وَالْمَرَادُ : الْفَجْرُ الثَّانِي .

= النصف الباقي ، ومن حديث زهير بن محمد ، عن أنس مرفوعاً ، بلفظ : « من رزقه الله امرأة سالحة فقد أعانه على شطر دينه ، فليتق الله في الشطر الباقي » ، وكذا هو عنده شيخه الحاكم في « مستدرکه » ( ٢٦٨١ ) ، وقال : إنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، انتهى مختصراً .

﴿ مِنْ الْفَجْرِ ﴾ بيان للخيط الأبيض، واكتفى ببيان الخيط الأبيض عن بيان الأسود؛ لدلالته عليه، ولما أنزلت: ﴿ وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾، ولم ينزل من الفجر، كان رجالاً إذا أرادوا الصوم، ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله: ﴿ مِنْ الْفَجْرِ ﴾، فعلموا أنما يعني الليل والنهار<sup>(١)</sup>، والفجر فجران: كاذب، وصادق، فالكاذب يطلع أولاً مستطيلاً يصعد إلى السماء، فبطووعه لا يخرج الليل، ولا يحرم الطعام والشراب على الصائم، ثم يغيب فيطلع بعده الصادق، ينتشر سريعاً في الأفق، ولا ظلمة بعده، فبطووعه يدخل النهار، ويحرم الطعام والشراب على الصائم.

﴿ ثُمَّ آتَمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ ﴾ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ»<sup>(٢)</sup>.

﴿ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ ﴾ المباشرة: الجماع، نزلت فيمن كان يعتكف في المسجد، فإذا عرّضت له حاجة إلى امرأته، خرج فجامعها، ثم اغتسل فرجع إلى المسجد.

- (١) رواه البخاري (١٨١٨)، كتاب: الصوم، باب: قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا... ﴾، ومسلم (١٠٩١)، كتاب: الصيام، باب: بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر...، عن سهل بن سعد - رضي الله عنه -.
- (٢) رواه البخاري (١٨٥٣)، كتاب: الصوم، باب: متى يحل فطر الصائم، ومسلم (١١٠٠)، كتاب: الصيام، باب: بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

## جنة السنة

رُوِيَ عن يعقوبَ: الوَقْفُ على النون المشدَّدة من جمع الإناثِ بالهاءِ<sup>(١)</sup>  
نحو: (هُنَّة) (وَمِنْهُنَّ) (وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ) وشبهه حيثُ وقعَ.

﴿وَأَنْتُمْ عَكَفُونَ﴾ مقيمون ناوون الاعتكاف.

﴿فِي الْمَسْجِدِ﴾ ولا يجوزُ الاعتكافُ في غيرِ المساجد<sup>(٢)</sup>، وهو سنَّةٌ بالاتفاق، وهو لزومُ مسجدٍ لطاعةِ الله تعالى على صفةٍ مخصوصةٍ من مسلمٍ عاقلٍ ولو مميزاً، طاهرٍ مما يوجبُ غسلًا، ولو ساعةً، ويجوزُ غيرَ صائمٍ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ، خلافاً لأبي حنيفةَ ومالكٍ - رضي الله عنهما - .  
المعنى: الجماعُ محرَّمٌ عليكم مدَّةَ اعتكافِكُمْ ليلاً ونهاراً، وهو مُفسِدٌ له بالاتفاق، وما دونَ الجماعِ من المباشراتِ؛ كالقبلةِ واللمسِ بالشهوةِ، فمكروهٌ، ولا يفسدُ الاعتكافَ عندَ الشافعيِّ، وقال مالكٌ: يبطلُ اعتكافه، وعندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ: إنْ أنزلَ، بطلَ، وإلَّا فلا.

﴿تِلْكَ﴾ أي: الأحكامُ المذكورةُ وجميعُ المحرَّماتِ.

﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: موانعُه، وأصلُ الحدِّ في اللغة: المنعُ، ومنه قيلَ للبواب: حَدَادٌ؛ لأنه يمنعُ الناسَ من الدخولِ. قرأ أبو عمرو (المَسَاجِدِ تِلْكَ) بإدغامِ الدالِ في التاء.

﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أي: فلا تأتوها.

﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا.

(١) انظر: «إتحاف الفضلاء» للدماطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٧/١).

(٢) في «ن»: «المسجد».

## جنة السنة

﴿ يَبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ لكي يتقوها فينجوا من

العذاب .

\*\*\*

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ  
لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٨) .

[١٨٨] ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم ﴾ أي : لا يأكل بعضكم من مال بعض .

﴿ بِالْبَاطِلِ ﴾ من غير الوجه الذي أباحه الله، وأصل الباطل : الشيء  
الذاهب . نزلت في رجلين تخاصما إلى النبي ﷺ في أرض بينهما، فأراد  
أحدهما أن يحلف على أرض أخيه (١) .

﴿ وَتُدْلُوا بِهَا ﴾ أي : لا تلقوا بالأموال الرشوة، وأصل الإدلاء : إرسال  
الدلو والقائه في البئر، يقال : أدلى دلوهُ : إذا أرسله .

﴿ إِلَى الْحُكَّامِ ﴾ قضاة السوء بإقامة شهادة الزور .

﴿ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا ﴾ أي : طائفة .

﴿ مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ ﴾ أي : الظلم .

﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنكم مبطلون .

\*\*\*

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ الْبِرُّ  
بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ  
مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٨٩) .

(١) انظر : «صحيح مسلم» (حديث رقم : ١٣٩) .

[١٨٩] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ نزلت في مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وثعلبة بن غنم الأنصاريين قالوا: يا رسول الله! ما بال الهلال يبدو دقيقاً، ثم يزيد حتى يمتلىء نوراً، ثم يعود دقيقاً كما بدأ، ولا يكون على حالة؟ فأنزل الله الآية<sup>(١)</sup>، والأهله: جمع هلال، سُمِّيَ بذلك؛ لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته، وهو هلالٌ، إلى الليلة الثالثة<sup>(٢)</sup>، ثم يُقْمَرُ.

﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ﴾ جمع ميقات؛ أي: معالمُ.

﴿لِلنَّاسِ﴾ يعلمون بها أوقات زراعتهم ومتاجرهم.

﴿وَالْحَجِّ﴾ أي: يعلمون أوقات الحج والعمرة والصيام والإفطار وغيرها، فلهذا خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة.

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ كان المحرم جاهليةً وإسلاماً لا يدخل بيتاً من بابه، بل يدخله من خلفه، فإن كان حائطاً، نقبه، أو يتخذ سلماً يصعد منه حتى يُحِلَّ من إحرامه، ويرون ذلك برأ، إلا أن يكون من الحمس، وهم قريش وكنانة، فأنزل الله الآية، وسُميت قريش حُمساً؛ لشجاعتهم وتصلبهم في دينهم<sup>(٣)</sup>. قرأ ابن كثير، وقالون، وابن عامر وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، وخلف (البيوت) و(بيوتاً) و(بيوتكم)<sup>(٤)</sup>

(١) رواه ابن عساکر في «تاريخ دمشق» (٢٥/١)، عن ابن عباس - رضي الله عنهما -

بسند ضعيف، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٤٩٠/١).

(٢) «الثالثة» ساقطة من «ن».

(٣) انظر «تفسير الطبري» (١٨٨/٢)، و«تفسير البغوي» (١٦٧/١)، و«الدر المنثور»

للسيوطي (٤٩٢/١).

(٤) في «ن»: «بيوتهم».



## جنة السنة

وَسِبَّهٖ بِكسْرِ الباءِ حَيْثُ وَقَعَ، والباقون: بالضمِّ على الأصل<sup>(١)</sup>. المعنى: ليس البرُّ ما تفعلونه.

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾ ذلك وتجنَّبَهُ.  
﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ حال الإحرام.  
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لكي تظفروا بالهدى والبر.  
وأول ما نزل في أمر القتال:

\*\*\*

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>(١٩٠)</sup>.

[١٩٠] ﴿وَقَاتِلُوا﴾ أي: و<sup>(٢)</sup>جاهدوا.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته.

﴿الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ﴾ كان في ابتداء الإسلام أمر رسول الله ﷺ بالكفِّ عن قتال المشركين، ثم بعد الهجرة أمر بقتال مَنْ قاتله منهم بهذه الآية.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٣)، و«الكشف» لمكي (١/٢٨٤-٢٨٥)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٥٤)، و«تفسير البغوي» (١/١٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٨).

(٢) الواو زيادة من «ت».

## جنة السنة

﴿ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ لا تبتدؤوهم بالقتال، ثم نسخت بعد ذلك بقوله تعالى :  
﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ٤].

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ ﴾ أي : لا يرضى فعل.

﴿ الْمُعْتَدِينَ ﴾ المتجاوزين الحلال إلى الحرام.

\*\*\*

﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفَّفْنَاهُمُ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْنَاكُمْ وَالْفَنَاءُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ  
وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ  
جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٩١).

[١٩١] ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفَّفْنَاهُمُ ﴾ أي : وجدتموهم، وتمكنتم منهم،  
وأصل الثقافة : الحدق في إدراك الشيء وفعله .

﴿ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْنَاكُمْ ﴾ من مكة؛ لأنهم أخرجوا المسلمين أولاً  
منها، ثم أخرج ﷺ ثانياً منها من لم يؤمن منهم يوم الفتح، وكانوا  
يستعظمون القتل في الحرم، ويُعَيِّرُونَ به المسلمين، فنزل :

﴿ وَالْفَنَاءُ ﴾ أي : شركهم بالله .

﴿ أَشَدُّ ﴾ أي : أعظم .

﴿ مِنْ الْقَتْلِ ﴾ الذي يحلُّ بهم منكم في الحرم والإحرام .

﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ ﴾ قرأ  
حمزة، والكسائي، وخلف : (ولا تقتلوهم حتى يقتلوهم فإن قتلوكم) بغير  
ألف فيهن على معنى : ولا تقتلوا بعضهم، تقول العرب : قتلنا بني فلان،

## جنة السنة

وإنما قتلوا بعضهم . وقرأ الباقون : بالألف<sup>(١)</sup> ، من القتال<sup>(٢)</sup> . كان في ابتداء الإسلام لا يحلُّ بديتُّهم بالقتال في البلدِ الحرام ، ثم صارَ منسوخاً؛ بقوله تعالى : ﴿ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٣] .

﴿ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ يفعل بهم مثل ما فعلوا .

\*\*\*

﴿ فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(١٩٦)</sup> .

[١٩٢] ﴿ فَإِنْ أَنْهَوْا ﴾ عن الشركِ والقتالِ .

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لما سلفَ من ذنوبهم .

﴿ رَحِيمٌ ﴾ بعباده .

\*\*\*

﴿ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(١٩٣)</sup> .

[١٩٣] ﴿ وَقَتْلُوهُمْ ﴾ أي : المشركين .

﴿ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أي : شركٌ ، يعني : حتى يُسلموا .

(١) في «ن»: «عن» .

(٢) انظر : «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٤٣) ، و«الحجة» لأبي زرعة (ص : ١٢٨) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ١٧٩) ، و«الحجة» لابن خالويه (ص : ٤٩) ، و«الكشف» لمكي (١/٢٨٥) ، و«الغيث» للصفاسي (ص : ١٥٤) ، و«تفسير البغوي» (١/١٦٩) ، و«التيسير» للداني (ص : ٨٠) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٦) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٥٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٩-١٥٠) .

## جنة السنة

﴿ وَيَكُونُ لِلدِّينِ ﴾ أي: العبادة.

﴿ لِلَّهِ ﴾ وحده، فلا يُعبد سواه، فلا يُقبل من غير الكتابي إلا الإسلام أو القتل.

﴿ فَإِنِ أَنْتَهَوْا ﴾ عن الشرك.

﴿ فَلَا عُدْوَانَ ﴾ لا ظلم.

﴿ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ المعنى: لا تظلموا إلا الظالمين غير المتهين، وسُمِّي جزاء الظالمين ظلماً؛ لازدواج الكلام؛ كقوله: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٩٤] تلخيصه: من آمن سلِّم، ويسمَّى الكافر ظالماً؛ لوضعه العبادة في غير محلها.

\*\*\*

﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١٩٤).

[١٩٤] ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ ﴾ أي: المحرم.

﴿ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ أي: مقابل به وبما فيه من قتالٍ وحبٍّ وغيرهما. سبب نزولها: أن رسول الله ﷺ خرج معتمراً في ذي القعدة سنة ست، فصده المشركون عن البيت بالحديبية، فصالح أهل مكة على أن يرجع عامة ذلك، ثم رجع فقضى عمرته في ذي القعدة أيضاً سنة سبع من الهجرة، فنزلت (١). تلخيصه: هذا الشهر بذلك الشهر.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٨)، و«تفسير الطبري» (١٩٧/٢)، و«تفسير البغوي» (١/١٧٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/٤٩٧).

## جنة السنة

﴿ وَالْحُرْمَتُ ﴾ جمع حُرْمَةٍ .

﴿ فِصَاصٌ ﴾ مساواة . المعنى : من هتك حرمةً ، اقتص منه بمثلها ،  
والهتك : خرق الستر عما وراءه .

﴿ فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ ﴾ وقاتلوه .

﴿ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ ﴾ أي : جازوه بعقوبة مماثلة عقوبته ، قال الله  
تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ [الشورى : ٤٠] .

﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ ﴾ إذا انتصرتكم ممن ظلمكم ، فلا تظلموهم بأخذ أكثر من  
حَقِّكم .

﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ فيصلح شأنهم .

\*\*\*

﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمُ إِلَى الْتِهْلَكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
الْمُحْسِنِينَ ﴾ [١٩٥] .

[١٩٥] ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي : الجهاد . سبب نزولها البخل وترك  
الإنفاق في سبيل الله حين قال ناسٌ : لو أنفقنا أموالنا ، بقينا بلا أموال<sup>(١)</sup> .

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمُ ﴾ أصل الإلقاء : طرح الشيء حيث تراه ، وعبر عن  
الأنفس بالأيدي . المعنى : لا تطرحوا أنفسكم .

﴿ إِلَى الْتِهْلَكَةِ ﴾ أي : الهلاك بترك الإنفاق في سبيل الله ، والعرب  
لا تقول : ألقى بيده إلا في الشر .

---

(١) انظر : «أسباب النزول» للواحدي (ص : ٢٩) ، و«تفسير الطبري» (٢/٢٠٠) ،  
و«تفسير البغوي» (١/١٧١) ، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/٤٩٩) .

## جنة السنة

﴿وَأَحْسِنُوا﴾ بِاللَّهِ الظَّنَّ، وَفِي الْإِنْفَاقِ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا تَقْتِيرٍ.  
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فِيمَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ.

\*\*\*

﴿وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾.

[١٩٦] ﴿وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ وَإِتْمَامُهُمَا أَنْ يُوْتَىٰ بِهِمَا تَامِينٍ بِمَنَاسِكِهِمَا<sup>(١)</sup> وَسُنَنِهِمَا، وَاتَّفَقَ الْأُئِمَّةُ عَلَىٰ وَجُوبِ الْحَجِّ عَلَىٰ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَاخْتَلَفُوا فِي الْعُمْرَةِ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ: هِيَ وَاجِبَةٌ؛ لِأَنَّهَا قَرِينَةُ الْحَجِّ فِي كِتَابِ اللَّهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَالِكٌ: هِيَ سُنَّةٌ، وَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ مَعْنَاهُ: أَتَمُّوْهَا إِذَا دَخَلْتُمْ فِيهَا، أَمَا ابْتِدَاءُ الشَّرْعِ<sup>(٢)</sup> فِيهَا، فَتَطَوُّعٌ. وَاتَّفَقَ الْأُئِمَّةُ عَلَىٰ جَوَازِ أَدَاءِ الْحَجِّ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: الْإِفْرَادَ، وَالتَّمَتُّعَ، وَالْقِرَانَ.

فصورة التمتع: أن يعتمر في أشهر الحج، ثم بعد الفراغ من أعمال

(١) في «ن»: «مناسكهما».

(٢) في «ن»: «الشرع».

## جنة السنة

العمرة يُحرّم بالحجّ من مكة، فيحجّ في ذلك العام، وهو الأفضل عند الإمام أحمد.

وصورة الأفراد: أن يحجّ، ثم بعد الفراغ منه يعتمر من خارج مكة من أدنى الحِلِّ، وهو الأفضل عند مالك والشافعي.

وصورة القران: أن يحرم بالحجّ والعمرة معاً، أو يحرم بالعمرة ثم يُدخل عليها الحجّ قبل أن يطوف، فيندرج أفعال العمرة في أفعال الحجّ، وهو الأفضل عند أبي حنيفة.

ويأتي الكلام على وجوب الحجّ وشيء من أحكامه في سورة الحج عند تفسير قوله تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧].

﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾ أصل الإحصار: المنع، والمانع المبيح للمحرم التحلّل ما كان بعدو عند الشافعي وأحمد ومالك، وعند أبي حنيفة كل ما صدّ عن الوصول إلى البيت؛ كعدو، ومرض، وذهاب نفقة وراحلة، وتقديره: إن صدّتم عن الوصول إلى البيت.

﴿فَأَسْتَيْسَرَ﴾ أي: فعلية ما تيسر.

﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ جمع هديّة، والهدي: ما يُهدى إلى الحرم من نَعَمٍ وغيرها تقريباً إلى الله تعالى، والمراد هنا: النعم، فأيسرُه شاة، وأوسطه بقرة، وأعلاه بدنة، فيتحلّل المحرم بذبح الهدي وحلق الرأس حيث أُحصِرَ عند الشافعي وأحمد، وعند مالك أن المحصر بعدو لا يجب عليه هدي، ويتحلّل بدونه، وقال أبو حنيفة: يبعثُ بهديه إلى الحرم، ويُقيم على إحرامه، ويواعد مَنْ يذبحه عنه، ثم يُحِلُّ. تلخيصه: فإن مُنِعْتُم عن البيت مُحْرَمِينَ، فعليكم إذا أردتم التحلّل ما تسهّل من الهدي.

## جنة السنة

﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ ﴾ في حال الإحرام، فالحلق والتقصير مشروع في الحج بالاتفاق، فعند الشافعي هو ركنٌ على الأصح، وعند الثلاثة واجبٌ. ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾ مَنْحَرُهُ الذي يُذْبَح فيه، فيذبحه حيث يحلُّ، وتقدم قريباً ذكر اختلاف الأئمة في محله. ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا ﴾ في جسده.

﴿ أَوْ بِهِ أذى مِّن رَّأْسِهِ ﴾ من هَوَامٍّ أو صُدَاعٍ صراع<sup>(١)</sup> أو جراحة<sup>(٢)</sup>. المعنى: يثبت على إحرامه من غير حلقٍ حتى يذبح هديته، إلا أن يضطرَّ إلى الحلق، فإن فعل ذلك<sup>(٣)</sup> للضرورة ﴿ ففِدْيَةٌ ﴾ أي: فعليه فدية، نزلت في كعب بن عُجرَةَ حين رآه رسولُ الله ﷺ وهوائمُه تسقطُ على وجهه، فقال: «أَيُّؤْذِيكَ هَوَامُّكَ؟»، فأمره رسولُ الله ﷺ بالحلق والفدية، وهو بالحديبية<sup>(٤)</sup>.

﴿ مِّن صِيَامٍ ﴾ أي: صيامٍ ثلاثة أيامٍ بالاتفاق. ﴿ أَوْ صَدَقَةٍ ﴾ يُطْعَمُهَا لِسِتَّةِ مَسَاكِينٍ، لكلِّ مسكينٍ نصفُ صاعٍ من طعامٍ عند الثلاثة، وعند أحمدَ مُدٌّ بُرٌّ، أو نصفُ صاعٍ تمرٍ أو شعيرٍ. ﴿ أَوْ سُلُكٍ ﴾ جمعُ نَسِيكَةٍ، وهي ذبيحةُ شاةٍ بالاتفاق، واتفقوا على أنه مخيرٌ بين الصيام والذبح والتصدق؛ لأن (أو) للتخيير.

(١) «صراع» زيادة من «ن».

(٢) «جراحة» ساقطة من «ن».

(٣) «ذلك» زيادة من «ن».

(٤) رواه البخاري (٣٩٢٧)، كتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية، ومسلم (١٢٠١)، كتاب: الحج، باب: جواز حلق الرأس للمحرم.



## جنة السنة

واختلفوا في الدماء المتعلقة بالإحرام بمن تختص تفرقتها؟ فقال أبو حنيفة: لا يجوزُ الذبْحُ إلا بالحرم، ولا يختصُ تفرقةُ بأهله، وقال مالك: ليس شيءٌ منها مخصوصاً، وجائز أن يفعلها حيث شاء بمكة وغيرها، والاختيارُ أن يأتي بالكفارة حيث وجبت عليه، فإن أتى بها في غيره، أجزأت عنه، وقال الشافعي: الدمُّ الواجبُ بفعلٍ حرامٍ أو تركٍ واجبٍ لا يختصُّ بزمانٍ، ويختصُّ ذبْحُه بالحرم، ويجب صرفُ لحمه إلى مساكينه؛ إلا دمَّ الإحصار فحيث أُحصِرَ، وقال أحمد: كلُّ هديٍّ أو إطعامٍ فهو لمساكين الحرم، إلا فدية الأذى والإحصار، فحيث وجدا، وله تفرقتها في الحرم أيضاً، أما الصومُ فيجزىء بكلِّ مكانٍ بالاتفاق.

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ من خوفكم، وبرئتم من مرضكم.

﴿فَنَنْمَعُ﴾ ومعنى التمتع ﴿بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ في قول ابن عباسٍ وعطاءٍ وجماعةٍ: هو الاستمتاعُ بعدَ الخروجِ من العمرة بما كان محظوراً عليه في الإحرام إلى وقتِ إحرامه بالحج، وقيل: هو الاستمتاعُ والانتفاعُ بالتقريبِ بها إلى الله تعالى قبلَ الانتفاعِ بالتقريبِ إلى الله تعالى بالحج<sup>(١)</sup>، ﴿فَنَنْ﴾ شرطٌ محلُّه رفعُ ابتداءً، وجوابه:

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ أي: عليه دمٌ، شاةٌ يذبحها، لأنه ترفق بأداء النُسكين في سفرةٍ واحدةٍ، وكذا القارنُ بشرطٍ ألا يكون<sup>(٢)</sup> من حاضري المسجد الحرام بالاتفاق، ويلزم دمُ التمتع بطلوعِ الفجرِ يومَ النحر عند أبي حنيفةٍ وأحمد، وعند مالكٍ والشافعيِّ بإحرامِ الحجِّ، وإذا وجب، جازَ

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/١٧٩).

(٢) في «ن»: «أن يكون».

## جنة السنة

إراقته، ولم يتوقَّت بوقتٍ عند الشافعيِّ، والأفضلُ عنده إراقته يومَ النحر، وهو مذهبُ الثلاثة.

ولوجوب الدم على المتمتع عند أحمدَ سبعةُ شروط: أحدهما: ألاَّ يكونَ من حاضري المسجد الحرام، والثاني: أن يعتمرَ في أشهر الحجِّ، والعبرةُ بالشهر الذي أحرم فيه، لا بالذي حلَّ فيه، الثالث: أن يحجَّ من عامه، الرابع: ألاَّ يسافر بين العمرة والحج مسافةً قصرٍ فأكثرَ، الخامس: أن يحلَّ من العمرة قبلَ إحرامه بالحجِّ، السادس: أن يحرمَ من الميقات أو من مسافةٍ قصرٍ فأكثرَ من مكة، السابع: أن ينويَ التمتعَ في ابتداء العمرة، أو أثنائها، ولا يُعتبر وقوعُ نسكين عن واحدٍ، فلو اعتمر لنفسه، وحجَّ عن غيره، أو عكسه، أو فعل ذلك عن اثنين، كان عليه دمُ المتعة.

وعند الشافعيِّ أربعةُ شروطٍ: الثلاثة الأولى، والرابع: ألاَّ يعود إلى ميقاتٍ بلده لإحرام الحجِّ.

وعند مالكٍ خمسةُ شروط: ألاَّ يكونَ من حاضري المسجد الحرام، الثاني: أن يخرجَ من العمرة ولو آخرها في أشهر الحج، ولو أحرم قبلها؛ كما لو أحرم في رمضان، وأكملَ سعيه بدخولِ شوال، الثالث: ألاَّ يعود إلى أُمَّه أو مثله؛ بخلاف لو عاد مثل<sup>(١)</sup> المصريِّ إلى نحو المدينة، الرابع: أن يكونا عن واحد؛ بأن تكونَ العمرة والحجَّ عن نفسه، أو عمَّن استنابه، أما لو كان أحدهما عن نفسه، والآخر عن غيره، سقط الهدى، الخامس: أن يكونا في عامٍ.

(١) «مثل» ساقطة من «ن».

وعند أبي حنيفة أربعة: أن يحرم من الميقات، الثاني: أن يفعل أفعال العمرة أو أكثرها في أشهر الحج، فلو طاف أقل أشواط العمرة قبل أشهر الحج، وأتمها فيها، وحج، كان متمتعاً، وعكسه لا، لأن للأكثر حكم الكل، الثالث: أن يحج من عامه، الرابع: ألا يرجع إلى وطنه، فلو خرج من الحرم، ولم يجاوز الميقات، أو خرج من الميقات، ولم يرجع إلى وطنه، فهو متمتع، وخالفه أصحابه في الثاني<sup>(١)</sup>، فقالوا: إذا خرج من الميقات، بطل التمتع.

﴿فَن لَّمْ يَحِدْ﴾ الهدي.

﴿فَصِيَامٌ﴾ أي: فعليه صيام.

﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ أي: في وقته وأشهره، فيصوم يوماً قبل التروية، ويوم التروية، ويوم عرفة، وهذا هو الأفضل عند أبي حنيفة وأحمد، وعند مالك والشافعي يُستحب أن يصوم الثلاثة قبل يوم عرفة؛ لأن صومه يُضعفه عن الدعاء، فإن صامه، أجزاء، ويجوز الصوم قبله بعد الإحرام بالعمرة عند أبي حنيفة وأحمد، وعند مالك والشافعي بعد الإحرام بالحج، ولا يجوز صوم هذه الثلاثة في أيام التشريق عند أبي حنيفة والشافعي، وقال مالك وأحمد: يجوز؛ لأن نهيه - عليه السلام - عن صيام أيام منى معناه التطوع، وهذا واجب.

﴿وَسَبْعَةَ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهليكم وبلدكم، فلو صامها قبل الرجوع، لم يجز في الأظهر من مذهب الشافعي، وقال الثلاثة: يجوز صومها قبل

(١) في «ت»: «الباقي».

## جنة السنة

الرجوع، لكن لا يصحّ عندهم صومها في أيام التشريق، ويجوزُ صيامها بعد الفراغ من أعمال الحجّ إذا توطنَ بمكةً بالاتفاق .

﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ في الثوابِ والأجرِ، أو ذكرها على وجه التأكيد، وهذا لأنَّ العربَ ما كانوا يهتدون إلى الحساب، فكانوا يحتاجون إلى فضلٍ شرحٍ وزيادةٍ بيانٍ، وكلُّ واحدٍ من صومِ الثلاثةِ والسبعةِ لا يجبُ فيه التتابعُ بالاتفاق، وإذا فاتَ صومُ الثلاثةِ أيامٍ حتى أتى يومُ النحر، فعندَ أبي حنيفةٍ لم يجزه إلا الدم، ولا يجوزُ أن يصومَ الثلاثةَ ولا السبعةَ بعدها .

وعند مالكٍ والشافعيِّ إذا فاتَ صومُها في الحجّ لزمه قضاؤها ولا دم عليه، وعند أحمدٍ إن لم يصمها في أيام منى صام بعد ذلك عشرة أيامٍ وعليه دم مطلقاً، ويلزمه التفريق من الثلاثةِ والسبعةِ عند الشافعي، وعند أحمدٍ لا يلزمه، وعند مالكٍ إن شاء وصل الثلاثةِ بالسبعةِ، وإن شاء فرقها منها .

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: هذا الحكم الواجب من الهدى أو الصيام عند مالكٍ والشافعي وأحمد .

﴿ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ وذلك عند أبي حنيفة وأصحابه، إشارة إلى التمتع، فلا تمتع ولا قران عندهم لحاضري المسجد الحرام، فمن تمتع وقرن منهم فعليه دم وهو دم جنابة لا يأكل منه، واختلفوا في حاضري المسجد الحرام؛ فعند أحمد: هم أهل مكة، ومن كان من آخر الحرم دون مسافة القصر، وعند الشافعي: من كان وطنه من الحرم أقل من مسافة القصر، وعند أبي حنيفة: أهل المواقيت فما دونها، وعند مالك: أهل مكة فقط .

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ في أداء الأوامر .

﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ على ارتكاب المناهي .

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ  
وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ  
الزَّادِ النَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا رَبَّ يَتَأُولَىٰ الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ ۝ .

[١٩٧] ﴿ الْحَجُّ ﴾ مبتدأ، خبره:

﴿ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ﴾ أي: وقته أشهر وهو شوال وذو القعدة وعشر من  
ذي الحجة عند أبي حنيفة وأحمد، وعند الشافعي: وتسعة من ذي الحجة  
إلى طلوع الفجر من يوم النحر، وعند مالك: وجميع ذي الحجة، فمن  
قال: عشر، عبّر به عن الليالي، ومن قال: تسعة، عبّر به عن الأيام، فإن  
آخر أيامه يوم عرفة وهو التاسع، وإن من قال: أشهر بلفظ الجمع وهي  
شهران وبعض الثالث على قول الأئمة الثلاثة لأنها وقت والعرب تسمي  
الوقت تاماً بقليله وكثيره، فتقول: زرتك العام، وإنما زاره في بعضه،  
فالميقات: زماني ومكاني، فالزماني للحج وهو ما تقدم آنفاً، وأما العمرة:  
فتصح في جميع السنة بالاتفاق فلو أحرم بالحج قبل أشهر صح، وانعقد عند  
الثلاثة، وقال الشافعي ينعقد عمرة مجزية عن عمرة الإسلام، وأما  
المكاني: فميقات أهل المدينة من ذي الحليفة، وهو اسم لجميع الوادي  
وهو من المدينة على نحو ستة أميال وبينه وبين مكة نحو عشرة أيام،  
وميقات أهل الشام ومصر والمغرب الجحفة، واسمها في الأصل: مهيعة،  
وسميت جحفة لأن السيل جحف أهلها؛ أي: استأصلهم، وهي قرية بينها  
وبين مكة نحو أربعة أيام، وميقات أهل نجد اليمن ونجد الحجاز والطائف  
قربه بإسكان الراء، ويُسمى قرن المنازل، وقرن الثعالب، وهو جبل مشرف  
على عرفات، وميقات أهل اليمن يللم، وميقات أهل المشرق كخراسان

والعراق ذات عرق، وهذه الثلاثة بين كل واحد منها وبين مكة ليلتان وهذه المواقيت يجب الإحرام على من مر بها أو حاذها برأ أو بحراً إذا كان قاصداً مكة مريداً للنسك من حج أو عمرة بالاتفاق، فإن لم يرد نسكاً لم يلزمه الإحرام عند الشافعي، كله يستحب. وعند الثلاثة لا يجوز دخول مكة بغير إحرام، واستثنى أبو حنيفة مَنْ منزله في الميقات أو داخله، وأباح القائلون بوجود الإحرام الدخول لمن شأنه التردد؛ كحطاب ونحوه، ويباح لقتال مباح وخوف من عدو عند الشافعي وأحمد، فإن لم يحرم من وجب عليه الإحرام فقد أساء ولا شيء عليه؛ لأن دخول محل الفرض لا يوجب الدخول في الفرض، ولا قضاء عليه لفواته، كما لا تقضى تحية المسجد إذا جلس قبل أن يصل إليها، ولا فدية عليه، وهذا قول الأئمة الثلاثة خلافاً لأبي حنيفة في قوله يجب أن يأتي بحجة أو عمرة، فإن أتى بحجة الإسلام أو عمرة أجزاء عن عمرة الدخول، ومَنْ منزله دون الميقات فميقاته من موضعه بالاتفاق، وميقات أهل مكة للحج عند الشافعي نفس مكة فقط، وعند أبي حنيفة من حيث شأؤوا من الحرم، وعند مالك وأحمد من مكة، ويصح من الحل، وميقاتهم للعمرة من الحل كالتنعيم وغيره بالاتفاق، فلو أحرم من الحرم صح وعليه دم بالاتفاق، فلو خرج إلى الحل قبل طوافه سقط الدم عنه<sup>(١)</sup> عند الثلاثة، وعند أبي حنيفة: إن خرج محرماً ملبياً سقط الدم، وعند صاحبيه: يسقط بعدده إلى الميقات، لبي أو لم يلب، وإن رجع بعد طوافه لم يسقط الدم بالاتفاق، وعند مالك: يعيد طوافه وسعيه لكونهما وقعا بغير شرطهما، وإن حلق أعادهما أيضاً وأهدى لكونه حلق في إحرامه.

(١) «عنه» زيادة من «ن».

## جنة السنة

﴿فَمَنْ فَرَضَ﴾ أي: أوجب على نفسه.

﴿فِيهِكَ الْحَجَّ﴾ بالإحرام والتلبية.

﴿فَلَا رَفْثٌ﴾ أي: لا جماع فيه.

﴿وَلَا فُسُوقٌ﴾ كل أنواع المعاصي فسوق.

﴿وَلَا جِدَالَ﴾ لا خصام.

﴿فِي الْحَجِّ﴾ بأن يقول بعضهم: الحج اليوم، ويقول بعضهم: الحج غداً. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب ﴿فَلَا رَفْثٌ وَلَا فُسُوقٌ﴾ بالرفع والتنوين فيهما ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ بالنصب من غير تنوين. وقرأ أبو جعفر الثلاثة بالرفع والتنوين. وقرأ الباقيون بالنصب من غير تنوين في الثلاثة، فالقراءة بالرفع والتنوين إخبار بمعنى النهي؛ أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا، وبالنصب من غير تنوين نفي، تلخيصه: لا تفعلوا ما نهيتم عنه.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: برٍّ وطاعة.

﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ أي: لا يخفى عليه.

﴿وَتَكَرَّوْا﴾ ما تبلغون به ويقىكم عن السؤال وغيره. نزلت فيمن كان يحج بلا زاد ويقبل على الناس.

﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ أي: اجعلوا زاد الحج الطعام، وزاد الآخرة التقوى.

﴿وَأَتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يا ذوي العقول، فمن من لم يتقه فليس بذي لب، قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر (واتقوني) بإثبات الياء حالة الوصل، وأثبتها يعقوب وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقيون فيهما.

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ [١٩٨].

[١٩٨] ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ أي: إثم، وأصله من الجنوح، الميل عن القصد.

﴿ أَنْ تَبْتَغُوا ﴾ أي: تقصدوا.

﴿ فَضْلًا ﴾ أي: رزقاً وتفضلاً، وهو الربح في التجارة.

﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ في مواسم الحج. نزلت لما تأثم المسلمون من التجارة أيام الحج.

﴿ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ ﴾ دفعتم، أصل الإفاضة الدفع بكثرة، من أفاض الرجل ماءه.

﴿ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾ جمع عرفة، جمع بما حولها، وإن كانت بقعة واحدة، وهي اسم علم للموقف، سميت به لأنها وصفت لإبراهيم عليه السلام، فلما رآها عرفها. وقيل: إن آدم - عليه السلام - لما أهبط وقع بالهند وحواء بجدة، فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة، وتعارفا، فسمي اليوم عرفة، والموضع عرفات، وقيل غير ذلك.

﴿ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ بالدعاء والتهليل والتلبية.

﴿ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ أي: بالقرب منه، وهو ما بين جبلي مزدلفة من مأزمي عرفة إلى محسر، وجميع المزدلفة موقف إلا المحسر،



## جنة السنة

وقيل: هو جبل قزح، وسمي مشعراً، من الإشعار، الإعلام لأنه من معالم الحج، وأصل الحرام: المنع فلا يفعل فيه ما نهي عنه، والإفاضة من عرفات بعد غروب الشمس، ومن المزدلفة قبل طلوعها يوم النحر، وسمي المزدلفة جمعاً؛ لأنه يجمع فيه بين صلاتي العشاء، والمزدلفة لازدلاف الناس إليها؛ أي: دنوهم منها.

﴿وَأَذْكُرُوهُ﴾ بالتوحيد ذكراً حسناً.

﴿كَمَا هَدَانَكُمْ﴾ لدينه ومناسك حجه.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: قبل الهدى.

﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ الجاهلين بعبادته وذكره.

\*\*\*

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٩٩).

[١٩٩] ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ كانت قريش وحلفاؤها وهم الخمس يقفون بالمزدلفة ترفعاً على الناس لئلا يساووهم في الموقف والناس بعرفات، فنهوا عن ذلك بقوله ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ والمراد بالناس: جميع الناس إلا الخمس.

﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر ذنب المستغفر وكان رسول الله ﷺ من الخمس، ولكنه يقف مُذْكَانَ بعرفة هداية من الله.

\*\*\*

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ﴾ (٢٠٠).

[٢٠٠] ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾ جمع منسك، أي: إذا فرغتم من عباداتكم، وذبحتم ذبائحكم بعد رمي جمرة العقبة، قرأ أبو عمرو ﴿مناسككم﴾ بإدغام الكاف الأولى في الثانية، ولم يدغم من المثلين في كلمة إلا موضعين لا غير، أحدهما هذا، والثاني في المدثر ﴿ما سلككم﴾ وأظهر ما عداهما نحو ﴿جباهم﴾ و﴿وجوههم﴾ و﴿بشركم﴾ و﴿أتحاجوننا﴾ و﴿أتعدانني﴾ وشبهه.

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتكبير والثناء عليه.

﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ لأن العرب كانت إذا فرغت من حجها وقفت مفاخر آبائها.

﴿أَوْ أَشَدَّ﴾ أي: وأكثر.

﴿ذِكْرًا﴾ ثم أوماً إلى اختلاف أغراض الخلق بقوله تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ﴾ يعني المشركين.

﴿مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ كانوا لا يسألون الله في الحج إلا الدنيا، يقولون: اللهم أعطنا غنماً وإبلًا وبقراً وعبيداً وغير ذلك.

﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ﴾ نصيب خير.

\*\*\*

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ  
حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [٢٠١].

[٢٠١] ﴿ وَمِنْهُمْ ﴾ يعني المؤمنين .

﴿ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ العلم والعبادة، قرأ أبو عمرو  
يقول ربنا ﴿ وشبهه حيث وقع بإدغام اللام في الراء .

﴿ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ الجنة . وعن علي رضي الله عنه : «الحسنة في  
الدنيا المرأة الصالحة، وفي الآخرة الحوراء» .

﴿ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ كل ما يبعد عن الله ؛ لأنه سبب العذاب ، وقيل :  
امرأة السوء . وتلخيصه : أكثروا ذكر الله ، وسلوه سعادتك في داريه .

\*\*\*

﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .

[٢٠٢] ﴿ أُولَئِكَ ﴾ أي المؤمنين .

﴿ لَهُمْ نَصِيبٌ ﴾ حظ .

﴿ مِّمَّا كَسَبُوا ﴾ دعوا، ويسمى الدعاء كسباً؛ لأنه عمل، والعمل يوصف  
بالكسب، المعنى : لهم جزء من جنس عملهم .

﴿ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ إذا حاسب لا يحتاج إلى عقد يد ولا وعي صدر  
ولا نظر وفكر، بل أسرع من لمح البصر سبحانه وتعالى .

\*\*\*

﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [٢٠٣].

[٢٠٣] ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ بالتكبير عقب الصلوات، وعند رمي الجمرات يكبر مع كل حصة.

﴿ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ هي أيام التشريق وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر، سميت معدودات لقلتهن كقوله: ﴿ ذَرَاهِمَ مَّعْدُودَةٍ ﴾ [يوسف: ٢٠].

والتشريق: التكبير، وهو في الأضحى<sup>(١)</sup> مطلق كما تقدم في الفطر، ومقيّد عقب الصلوات، فعند أبي حنيفة وأحمد يكبر دُبُرَ كُلِّ فَرِيضَةٍ صَلَّاهَا فِي جَمَاعَةٍ، وعند مالك يكبر عقب الفرائض، ولو منفرداً، وعند الشافعي عقب كل صلاة، فريضة كانت أو نافلة، منفرداً صلاها أو في جماعة.

وهذا التكبير مسنون عند الأئمة الثلاثة، واجب عند أبي حنيفة.

واختلفوا في ابتدائه وانتهائه، فقال أبو حنيفة: يتبدى عقب صلاة الفجر يوم عرفة إلى أن يكبر لصلاة العصر يوم النحر، ثم يقطع.

وقال مالك: يتبدى عقب صلاة الظهر من يوم النحر، ويختتم بعد الصبح من آخر أيام التشريق.

ولا فرق عندهما بين المحرم وغيره.

وقال الشافعي: يكبر الحاج من ظهر النحر، ويختتم بصبح أيام التشريق، وأما غير الحاج، ففيه خلاف، والذي عليه العمل عند المحققين

(١) في «ن»: «في الأضحى وهو».

## جنة السنة

من الشافعية أنه يكبر من صبح عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق .  
وقال أحمد: ابتداءه للمحل من صلاة الفجر يوم عرفة، وللمحرم من صلاة الظهر يوم النحر؛ لأنه كان مشغولاً قبل ذلك بالتلبية، وانتهائه عقب صلاة العصر من آخر أيام التشريق مطلقاً.  
وتقدم اختلافهم في التكبير للفطر عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأما صفة التكبير، فعند الشافعي: الله أكبر ثلاثاً نسقاً في الأول، ثم يهلل، ويشفعه، ثم يقول: والله (١) الحمد.

وعند أبي حنيفة وأحمد: يشفع التكبير في أوله وآخره، وصفته: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد.

وعن مالك كالمذهبيين، وكلاهما جائز عنده، والله أعلم.

﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ أي: فمن عجل وطلب الخروج من منى.

﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ نفر في اليوم الثاني من أيام التشريق، فترك المبيت بمنى في الليلة الثالثة، وهذا النفر الأول.

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بتعجيله؛ لأنه مرخص له في ذلك.

﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ حتى نفر في اليوم الثالث، وهو أفضل، وهذا النفر

الثاني.

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بترك الترخيص. تلخيصه: هم مخيرون بين نفرين، وإن كان المتأخر أفضل.

(١) «ولله» ساقطة من «ن».

## جنة السنة

﴿لَمِنَ أَتَقَى﴾ المناهي، أي: جواز التخيير، ونفي الإثم لمن اتقى شيئاً  
نهاه الله عنه .

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للجزاء، وأصل الحشر:  
الجمعُ وضَمُّ المتفرِّقِ .

\*\*\*

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي  
قَلْبِهِ وَهُوَ الذُّخْصَارُ﴾ (٢٠٤) .

[٢٠٤] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ﴾ يروِّقُك ويَعْظُمُ في قلبك .

﴿قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: يسُرُّك ما يقوله في معنى الدنيا؛ لأن دعواه  
مَحَبَّتَكَ إنما هو لطلب حَظٍّ من الدنيا. قرأ أبو عمرو: (يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ) بإدغام  
الكاف في القاف. نزلت في الأحنس بن شريق الثقفي، وكان حلواً الكلام،  
يلقى النبي ﷺ ويحلف له أنه يحبه، ويظهر الإسلام، وكان منافقاً<sup>(١)</sup>.

﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أي: يقول: الله شاهدٌ على ما في قلبي من  
مَحَبَّتِكَ، ومن الإسلام.

﴿وَهُوَ الذُّخْصَارُ﴾ أي: هو شديد الجِدالِ والعداوةِ للمسلمين .

\*\*\*

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ  
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (٢٠٥) .

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحيدي (ص: ٣٣)، و«تفسير الطبري» (٢/٣١٢)،  
و«تفسير البغوي» (١/١٩١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/٥٧١).

## جنة السنة

[٢٠٥] ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى ﴾ أدبر عنك .

﴿ سَعَى فِي الْأَرْضِ ﴾ بعمل المعاصي .

﴿ يُفْسِدَ فِيهَا ﴾ بقطع الرِّحْمِ وسفكِ دمائِ المسلمين .

﴿ وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ ﴾ الزَّرْعَ .

﴿ وَالنَّسْلَ ﴾ ولد آدمَ والحيوانَ .

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ ﴾ أي : لا يرضى .

﴿ الْفُسَادَ ﴾ فاحذروا غضبه عليه .

\*\*\*

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ  
الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ .

[٢٠٦] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ أي : خَفِ اللَّهَ .

﴿ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ ﴾ حملته النَّخْوَةُ والتكبرُ على العمل .

﴿ بِالْإِثْمِ ﴾ أي : الظلم .

﴿ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ ﴾ أي : كافيه جزاء .

﴿ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴾ الفراشُ .

\*\*\*

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ  
بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ .

[٢٠٧] ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ﴾ أي : يبيعها .

﴿ اِبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ أي: طلبَ رضوانِ الله. قرأ الكسائي: (مَرْضَاةً) بالإمالة، ووقف بالهاء حيث وقع<sup>(١)</sup>. سبب نزولها أن المشركين كانوا<sup>(٢)</sup> أَسْرُوا خُبَيْبَ بْنَ عَدِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ وصلبوه بالتَّعْنِيمِ، فلما بلغ<sup>(٣)</sup> النبي ﷺ هذا الخبر، قال لأصحابه: «أَيُّكُمْ يُنَزِّلُ خُبَيْبًا عَنْ<sup>(٤)</sup> خَشْبَتِهِ وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ فقال الزبيرُ بنُ العَوَّامِ: أنا وأخي المقدادُ بنُ الأسودِ، فخرجا يمشيان بالليل، ويكُمنان بالنهار، حتى أتيا التنعيمَ ليلاً، وأنزلاه، وقدما على رسولِ الله ﷺ وجبريلُ عنده، فقال: يا محمدُ! إن الملائكةَ لتباهي بهذين من أصحابِكَ، فنزل فيهما: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ حينَ شَرَّيا أنفسهما لإنزالِ خُبَيْبٍ من خَشْبَتِهِ، وقيلَ غيرُ ذلك، والقصةُ فيها طولٌ واختلافٌ بين المفسرين<sup>(٥)</sup>.

﴿ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ أن كلفهم الجهادَ لحصولِ الثوابِ لهم.

\*\*\*

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٤-٩٥)، و«الغيث» للصفاطسي (ص: ١٦٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٧٥).

(٢) «كانوا» ساقطة من «ن».

(٣) «بلغ» ساقطة من «ت».

(٤) في «ن»: «من».

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (١/١٩٥)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/٥٢٧).



﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾.

[٢٠٨] ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ ﴾ أصله: الاستسلام والانقياد، والمراد: الإسلام، ويقال للصالح: سلم. قرأ نافع، وابن كثير، والكسائي، وأبو جعفر: (السَّلْم) بفتح السين، والباقون: بكسرهما<sup>(١)</sup>.

﴿ كَآفَّةً ﴾ أي: جميعاً، وأصلها من الكَفَّ: الجمع. نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه، وذلك أنهم كانوا يُعَظِّمُونَ السَّبْتَ، ويكرهون لحوم الإبل بعدما أسلموا، وقالوا: يا رسول الله! إن التوراة كتابُ الله، فدعنا فلنقيم بها صلاتنا بالليل، فأنزل الله تعالى الآية<sup>(٢)</sup>.

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ أي: آثاره فيما زَيَّنَ لكم من تحريم السبت ولحوم الإبل وغيره.

﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ظاهر العداوة.

\*\*\*

- (١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٥)، و«الكشف» لمكي (١/٢٨٧)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٥٦)، و«تفسير البغوي» (١/١٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٥/٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمايطي (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٥٨).
- (٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٣)، و«تفسير البغوي» (١/١٩٧)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/٥٢٩).

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .

[٢٠٩] ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ أي: ملّتم عن الإسلام مجتمعين .

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ أي: الدلالات على أن ما دعيتم إليه حق .

﴿فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: غالبٌ قادرٌ على الانتقام .

﴿حَكِيمٌ﴾ لا ينتقم إلا بالحق .

\*\*\*

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ .

[٢١٠] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون، النظرُ والانتظارُ: الإمهالُ .

المعنى: ما ينتظرُ تاركو الدخولِ في الإسلام .

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ﴾ جمعُ ظُلةٍ، وهي ما أظَلَّ .

﴿مِنَ الْغَمَامِ﴾ وهو السحابُ الأبيضُ الرقيقُ سُمِّيَ غماماً؛ لأنه يَغْمُ؛

أي: يَسْتُرُ .

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ قرأ أبو جعفر: ﴿والملائكة﴾ بالخفضِ عطفاً على

الغمام، تقديره: مع الملائكة، وقرأ الباقون: بالرفعِ على معنى: إلا أن يأتِيَهُمُ اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ<sup>(١)</sup>، والأولى في هذه الآية وفي

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٥١)، و«تفسير الطبري» (٤/٢٦١)، =

## جنة السنة

ما شاكلها أن يؤمن الإنسانُ بها، ويؤمِّرها كما جاءت بلا كيفٍ، ويكلِّ علمها إلى الله سبحانه، وهو مذهبُ أئمةِ السلف وعلماءِ السنة، قال سفيانُ بنُ عُيينةَ: كلُّ ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه، فتفسيره قراءته، والسكوتُ عنه، ليس لأحدٍ أن يفسره إلا اللهُ ورسوله<sup>(١)</sup>.

﴿وَقَضَى الْأَمْرُ﴾ أي: فرغ من حسابهم، ووجب العذاب، وذلك فصلُ الله<sup>(٢)</sup> القضاء بالحقِّ بين عباده يومَ القيامة.

﴿وَالِإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوبُ: (ترجعُ) بفتح التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون: بضمِّ التاء وفتح<sup>(٣)</sup> الجيم<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

﴿سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِّنْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَمَنْ يَبْدُلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(٢١)</sup>.

- = و«تفسير البغوي» (١/١٩٧-١٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٥٩-١٦٠).
- (١) انظر: «تفسير البغوي» (١/١٩٨).
- (٢) «الله» لفظ الجلالة لم يرد في «ت».
- (٣) في «ن»: «ورفع».
- (٤) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٥)، و«الكشف» لمكي (١/٢٨٩)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (١/١٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٦١).

[٢١١] ﴿سَلِّ بِحَىٰ إِسْرَائِيلَ﴾ أي: يا محمد! سلِّ يهود المدينة.

﴿كَمْ ءَاتَيْنَهُمْ﴾ أعطينا آباءهم وأسلافهم.

﴿مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ دلالة واضحة على نبوة موسى - عليه السلام -، وقيل:

معناه: الدلالات التي في التوراة والإنجيل على نبوة محمد ﷺ.

﴿وَمَنْ يُدَلِّ﴾ يُنَكِّرُ وَيُعَيِّرُ.

﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ أي: الدلائل على نبوة محمد ﷺ.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ أي: بعد ما عرفها وصحَّت عنده.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فيعاقبه<sup>(١)</sup> أشدَّ عقوبة.

\*\*\*

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا

فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢١٧).

[٢١٢] ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ نزلت في مشركي العرب:

أبي جهل وأصحابه، كانوا يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا من المال، ويكذبون بالمعاد، والمزِينُ اللهُ تعالى بأن خلق الأشياء العجيبة، فنظروا إليها فأعجبتهم، ففتنوا بها<sup>(٢)</sup>.

﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: يستهزئون بالفقراء من المؤمنين؛

كعبيد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وصهيب، وخبيب، وبلال، وغيرهم.

(١) في «ن»: «فيعاقبون».

(٢) «بها» ساقطة من «ن».

## جنة السنة

﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ لأن هؤلاء الفقراء في أعلى عليين في الجنة، وهؤلاء الكفار في أسفل السافلين في النار .

﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ رزقاً واسعاً من غير تقدير .

\*\*\*

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٢١٣]

[٢١٣] ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ متفقين على دين واحد وهو الإسلام، من آدم إلى نوح، ثم اختلفوا .

﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ ﴾ وجملتهم مئة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي، والمرسلون منهم ثلاث مئة وثلاثة عشر، والمذكورون في القرآن باسم العلم ستة وعشرون نبياً، وهم: محمد، وآدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وذو الكفل، وشعيب، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان، وعزير، ويونس، وزكريا، ويحيى، وإلياس، واليسع، وعيسى - صلوات الله عليهم أجمعين -، وأشير إلى أشموئيل بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وأشير إلى أرميا بقوله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وأشير إلى يوشع في سورة الكهف بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ ﴾ [الكهف: ٦٠]، وأشير إلى إخوة يوسف بقوله: ﴿ لَقَدْ

## جنة السنة

كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ﴿يوسف: ٧﴾، ويأتي ذكرُ أسمائهم عند تفسير الآية، والأسباطُ ذُكروا إجمالاً، وهم من ذرية أولاد يعقوب الاثني عشر، وكانَ فيهم أنبياءٌ، وفي لقمانَ وذو القرنينِ خلافُ كالخضرِ.

﴿مُبَشِّرِينَ﴾ بالثوابِ للمؤمن.

﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالعقابِ للعاصي.

﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ المرادُ: الجنسُ، لا أنه مع كلِّ نبيِّ كتابٌ؛ لأنَّ منهم من لم يكن له كتابٌ، وإنما أخذ بكتبٍ من قبله.

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: الصدق.

﴿لِيُحْكَمَ﴾ قرأ أبو جعفر: (لِيُحْكَمَ) بضم الياء وفتح الكاف؛ لأنَّ الكتابَ لا يحكمُ في الحقيقة إنما يُحْكَمُ به، وقرأ الباقر: بفتح الياء وضم الكاف؛ أي: لِيُحْكَمَ الكتابُ؛ كقوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup> [الجاثية: ٢٩].

﴿بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: في دين الإسلام.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: في الحقِّ.

﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي: أعطوا الكتابَ المنزلَ.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ على صدقِ الكتبِ.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٥٤)، و«تفسير البغوي» (١/٢٠٠)، و«تفسير القرطبي» (٣/٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٦٣).

﴿بَغِيًّا﴾ حَسَدًا.

﴿يَنْهَمُ﴾ أي: بين المختلفين؛ بأن كَذَّبَ بعضٌ<sup>(١)</sup> بعضاً، وكنتموا صفة محمد ﷺ على حطام الدنيا ورياستها.

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ وقوله: ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ بيانٌ للمختلف فيه. تلخيصه: فهدى الله المؤمنين إلى الحق [المختلف فيه من الحق]<sup>(٢)</sup>.

﴿بِإِذْنِهِ﴾ بعلمه وإرادته. قيل في هذه الآية: اختلفوا في القبلة، فمنهم من يصلي إلى المشرق، ومنهم من يصلي إلى المغرب، ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس، فهدانا الله للكعبة، واختلفوا في الصيام، فهدانا الله لشهر رمضان، واختلفوا في الأيام، فأخذت اليهود السبت، والنصارى الأحد، فهدانا الله للجمعة، واختلفوا في إبراهيم، فقالت اليهود: كان يهودياً، وقالت النصارى: كان نصرانياً، فهدانا الله للحق من ذلك، واختلفوا في عيسى، فجعله اليهود لغيرتهم ولد زنى، وجعله النصارى إلهاً، فهدانا الله للحق فيه<sup>(٣)</sup>.

﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ لا يَضِلُّ سَالِكُهُ. واختلافُ القراء في الهمزتين من قوله: (يشاء إلى) كما تقدّم في قوله: ﴿لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١١٥].

\*\*\*

(١) في «ت»: «بعضهم».

(٢) ما بين معكوفتين ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢٠١/١).

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٢١٤).

[٢١٤] ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ نزلت في غزوة الخندق لما أصاب المسلمين الجهد؛ تطيباً لقلوبهم، وقيل: في حرب أحد<sup>(١)</sup>. تلخيصه: أظننتم أنكم تدخلون الجنة من غير مشقة.

﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ ﴾ و(لما) فيه معنى التوقع. المعنى: إن إتيان ذلك متوقع منتظر.

﴿ مَثَلٌ ﴾ أي: شبه.

﴿ الَّذِينَ خَلَوْا ﴾ أي: مضوا.

﴿ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ من النبيين والمؤمنين.

﴿ مَسَّتْهُمُ ﴾ أصابتهم.

﴿ الْبَأْسَاءُ ﴾ الفقر.

﴿ وَالضَّرَّاءُ ﴾ المرض.

﴿ وَزُلْزَلُوا ﴾ أزعجوا بأنواع البلاء.

﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ المعنى: إن الأحوال اشتدت عليهم إلى غاية قال فيها الرسول والمؤمنون استبطاءً للنصر لا شكاً:

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحيدي (ص: ٣٤)، و«تفسير البغوي» (٢٠١/١)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/٥٣٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/٥٨٤).



## جنة السنة

﴿مَتَى نَصَرَ اللَّهُ الَّذِي وَعَدْنَاهُ؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿أَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ غير متأخر. قرأ نافع: (حَتَّى يَقُولَ) بالرفع على أنه في معنى الحال، نحو: شربت الإبل حتى يجيء البعير يجربطنه، فهي حالٌ ماضيةٌ مَحْكِيَةٌ، وقرأ الباقون: بالنصب بإضمار (أن)، وجعل الفعل مستقبلاً؛ أي: إلى أن يقول<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ  
وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢١٥)</sup>.

[٢١٥] ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ نزلت في عمرو بن الجموح، وكان شيخاً ذا مال، فقال: يا رسول الله! بماذا نتصدق، وعلى من نفق؟ فأنزلها الله تعالى<sup>(٢)</sup>، و(ما) استفهامٌ. المعنى: أي شيء الذي يُنفقونه؟

﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ وقوله:

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ بيانٌ للمنفق، ثم بيّن مصرف النفقة بقوله:

- (١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٥٥)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٥-٩٦)، و«الكشف» لمكي (١/٢٨٩-٢٩١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (١/٢٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٦٥).
- (٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٤)، و«تفسير البغوي» (١/٢٠٢)، و«العجاب» لابن حجر (١/٥٣٤).

## جنة السنة

﴿ قَلِيلٌ لِّدِينٍ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ تلخيصه : ما أنفقتم من حلالٍ ، فهو خيرٌ كلُّه إذا كان على هؤلاء المذكورين .

﴿ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ يجازيكم به ، ثم نسخت بفرض الزكاة .

\*\*\*

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

[٢١٦] ﴿ كُتِبَ ﴾ فَرِضَ .

﴿ عَلَيَّكُمْ الْقِتَالُ ﴾ أي : الجهادُ ، وهو قتال الكفار ، وهو فرض كفاية إذا قام به من يكفي ، سقط عن الباقيين الفرض ؛ كصلاة الجنابة ، ورد السلام بالاتفاق .

﴿ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ﴾ أي : شاقٌ عليكم .

﴿ وَعَسَىٰ ﴾ من أفعال المقاربية فيه طمعٌ .

﴿ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ لأن في الغزو إحدى الحسنين : إما الظفرُ والغنيمةُ ، وإما الشهادةُ والجنةُ .

﴿ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا ﴾ يعني : القعود عن الغزو .

﴿ وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ لما فيه من فوات الغنيمة والأجر .

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ مصالحكم .

﴿ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك .

## جنة السنة

روي أن النبي ﷺ بعث عبد الله بن جحش، وهو ابن عمه النبي ﷺ في آخر جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين في سرية على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمه المدينة؛ ليرصدوا عيراً لقريش فيها عمرو بن الحضرمي وثلاثة معه، وهم الحكم بن كيسان، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، ونوفل بن عبد الله المخزوميان، فقتلوا عمرو بن الحضرمي، فكان أول قتل من المشركين، واستأسروا الحكم وعثمان، فكانا أول من أسر في الإسلام، وأفلت نوفل، فأعجزهم، وكانت الوقعة ببطن نخلة بين مكة والطائف، وجاء عبد الله وأصحابه النبي ﷺ بالغير والأسيرين، وقالوا: يا رسول الله! قتلنا ابن الحضرمي، ثم أمسينا فرأينا هلال رجب، فما ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى؟ قال ابن عباس: كانوا يحسبون تلك الليلة من جمادى، وكانت من رجب، فوقف رسول الله ﷺ بالغير والأسيرين، وامتنع عن أخذها، فعظم ذلك على أهل السرية، وسقط في أيديهم، وقال المشركون: قد استحل محمد الشهر الحرام، فنزل:

\*\*\*

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾

[٢١٧] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾<sup>(١)</sup> يعني: رجياً، سُمِّيَ بذلك لتحريم القتال فيه.

﴿قِتَالٍ فِيهِ قُلٌّ﴾ يا محمد.

﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ عظيم، تمَّ الكلامُ هاهنا، ثم ابتدأه فقال:

﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: وصدُّكم المسلمين عن الإسلام.

﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ أي: بالله.

﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: مكة، عطفُ على سبيل الله.

﴿وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ﴾ أي: أهل المسجد.

﴿مِنَهُ﴾ وهم النبي ﷺ والمؤمنون.

﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أعظمُ وُزراً من القتال في الشهر الحرام.

﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ أي: الشرك.

﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أي: من قتل ابنِ الحضرميِّ في الشهرِ الحرام، فلما

نزلت أخذ رسولُ الله ﷺ العيرَ، فعزلَ منه الخمسَ، وقسمَ الباقيَ بينَ

أصحابِ السريةِ، وكانت أولَ غنيمَةٍ في الإسلام، وبعثَ أهلُ مكةَ في فداءِ

أسيرِيهم، فقال: بل نَقِفُهُمْ حتى يَقْدَمَ سعدٌ وَعُتْبَةُ، فإن لم يقدمَا، قتلناهما

بهما، فلما قدما، فاداها، فأما الحكمُ بنُ كيسان، فأسلمَ وأقامَ مع

النبيِّ ﷺ بالمدينة، فقتل يومَ بئرِ معونةَ شهيداً، وأما عثمانُ بنُ عبدِ الله،

فرجع إلى مكةَ، فماتَ بها كافراً، وأما نوفلٌ، فضربَ بطنَ فرسه يومَ

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣٤٨/٢)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٥)،

و«تفسير البغوي» (٢٠٣/١ - ٢٠٤).

## جنة السنة

الأحزاب ليدخل الخندق، فوقع في الخندق مع فرسه، فتحطما جميعاً، وقتله الله، فطلب المشركون جيفته بالثمن، فقال رسول الله ﷺ: «خذوه؛ فَإِنَّهُ خَبِيثُ الْجِيفَةِ خَبِيثُ الدِّيَةِ»<sup>(١)</sup>، قال الله تعالى:

﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي: الكفار.

﴿يُقْتَلُونَ﴾ أيها المؤمنون.

﴿حَقَّ﴾ أي: كي.

﴿يُرَدُّوكُمْ﴾ أي: يصرفوكم.

﴿عَنْ دِينِكُمْ﴾ إن استظعموا ﴿قَدَرُوا﴾، ثم تهددهم بقوله:

﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ﴾ أي: يرجع.

﴿مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ إلى دينهم.

﴿فَيَمِتْ﴾ عطف على ﴿يَرْتَدِدْ﴾.

﴿وَهُوَ كَافِرٌ﴾ أي: مرتداً و(من) رفع ابتداء، خبره:

﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي: بطلت حسناتهم.

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لأن عباداتهم لم تصح في الدنيا، فلم يجازوا

عليها في الآخرة.

﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ في هذا دليل للشافعي

---

(١) انظر: «مسند الإمام أحمد» (٢٤٨/١)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٤٩٦/٦)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٥ - ٣٦)، و«تفسير البغوي» (٢٠٤/١) - (٢٠٥)، و«العجاب» لابن حجر (٥٣٧/١).

## جنة السنة

وأحمد أن الردّة لا تحبّط العمل حتى يموت مرتدّاً، وأبو حنيفة ومالكٌ يبطلانه بالردّة، وإن رجع مسلماً.

واختلفوا في حكم المرتدّ، وهو الذي يكفر بعد إسلامه - والعياذ بالله -، فقال أبو حنيفة: يجب قتله في الحال، ولكن يُستحبُّ أن يُحبس ثلاثة أيام، ويُعرض عليه الإسلام، وتُكشف شُبّهته، فإن أسلم، وإلا قُتل، ويكره القتل قبل العرض.

وقال مالكٌ وأحمدُ: يجب أن يُستتاب ثلاثاً، فإن تاب، وإلا قُتل.

وقال الشافعيُّ: تجبُّ استتابته في الحال، فإن أصرَّ، قُتل، وإن أسلم، صحَّ وترك.

واختلفوا في المرأة إذا ارتدّت، فقال أبو حنيفة: تُحبس وتُخرج في كل أيام، ويُعرض عليها الإسلام، وتُضرب حتى تسلّم، ولا تُقتل. وعند الثلاثة: حكمها كالرجل في الاستتابة والقتل.

ولما أنزلت الآية، قال أصحابُ السرية: يا رسول الله! أنؤجر على فعلنا هذا؟ فأنزل الله تعالى:

\*\*\*

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٢١٨]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ لأنهم فارقوا أهلهم ومنازلهم.

﴿ وَجَاهَدُوا ﴾ فجعلها جهاداً، جمع بين هذه الخصالِ ترغيباً، وإن كان الثوابُ حاصلًا بكلِّ واحدةٍ منها.

﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي : طاعة الله .

﴿ أَوْلَيْتِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾ أخبر أنهم على رجاء الرحمة ، و(رَحِمَتَ) رسمت بالتاء في سبعة مواضع ، وقف عليها بالهاء ابن كثير ، وأبو عمرو ، ويعقوب ، والكسائي .

﴿ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ يغفر الخطأ ، ويُجزِلُ الثواب والأجر .

وكانت الخمر حلالاً إجماعاً ، وكان المسلمون يشربونها ، فجاء معاذ بن جبل وعمر بن الخطاب بجماعة ، فقالوا : يا رسول الله ! أفتنا في الخمر ، فإنها مذهب للعقل ، مسلبة للمال ، وروي أنه سُئل عن الخمر والميسر معاً فنزلت<sup>(١)</sup> :

\*\*\*

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٢١٩] .

[٢١٩] ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ ﴾ وهو المُسْكِرُ ؛ لأنه يَخْمِرُ العقل ؛ أي : يستره .

﴿ وَالْمَيْسِرِ ﴾ القمار ؛ لأنه يأخذ مال غيره بسهولة ويُسر ؛ أي : يسألونك عن جواز تناولهما واستعمالهما ؛ لأن السؤال لم يكن عن أعيانهما .

(١) في «ن» : «فنزّل» . وانظر : «أسباب النزول» للواحدي (ص : ٣٦) ، و«تفسير البغوي» (١/٢٠٦) ، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/٦٠٥) .

﴿ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ أي: وزر. قرأ حمزة والكسائي: (إِثْمٌ كَثِيرٌ) بالثاء المثلثة، والباقون: بالباء<sup>(١)</sup>، فتركها قوم لقوله: ﴿ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾، وشربها قوم لقوله:

﴿ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴾ بلذّة الشربِ والفرح، وإصابة المالِ من غيرِ كدٍّ ولا تعب.

ثم دعا عبد الرحمن بن عوفٍ جماعةً، فسكروا، فأثمهم بعضهم في المغرب، فقرأ: قل يا أيها الكافرون. أعبد ما تعبدون، بحذف (لا) فنزل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى ﴾ [النساء: ٤٣]، فتركوها في حال السكر.

ثم دعا عتيان بن مالكٍ جماعةً، فشربوا الخمر، فأنشد سعد بن أبي وقاصٍ قصيدةً فيها هجاءُ الأنصار، فضربَ بعضُ الأنصار رأسَ سعدٍ بلحِيّ جمل، فشجّه مُوضِحَةً، فشكا إلى النبي ﷺ، فقال عمرُ: اللهم بين لنا في الخمرِ بيانَ شفاء، فنزل: ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾ في المائدة إلى ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]، فقال عمرُ: انتهينا، فحرّمتِ الخمرُ، وأريقَت<sup>(٢)</sup>.

والخمرُ ما غلّي واشتدَّ وقذّف بالزّبِدِ من غيرِ طبخِ النار، من عصيرِ

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٦٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٣٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٦)، و«الكشف» لمكي (١/٢٩١-٢٩٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦١)، و«تفسير البغوي» (١/٢١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٦٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/٢٠٦-٢٠٧).



## جنة السنة

العنب والرُّطْبِ، ونقيع الزَّيْبِ والتمر، وغيرها، يُحَدُّ شاربُهُ، وَيُسْتَقُّ، وَيَكْفُرُ مُسْتَحِلُّهَا باتِّفَاقِ الأئمةِ الثلاثةِ، وقال أبو حنيفة: إنما يكفرُ باستحلالِ ما اتخذ من عصيرِ العنبِ فقط، ولا يُحَدُّ عندهُ بشربِ غيره حتى يسكرَ. وقد رُوي الحدُّ للحرِّ أربعون جلدَةً عندَ الشافعيِّ، وثمانون عندَ الثلاثةِ، ويتنصَّفُ<sup>(١)</sup> بالرقِّ باتِّفَاقِهِمْ.

والميسرُ: قال ابنُ عباسٍ: كان الرجلُ في الجاهليةِ يخاطرُ الرجلَ على أهله وماله، فأَيُّهُما قمرَ صاحبهُ، ذهبَ بأهله وماله، فأُنزل اللهُ الآيةَ<sup>(٢)</sup>. وكان أصلُ الميسرِ أنَّ أهلَ الثروةِ من العربِ يشترونَ جزوراً، ويُجزئونها عشرةَ أجزاءٍ، ثم يقتسمونَ<sup>(٣)</sup> عليها بعشرةِ قِداحٍ يقالُ لها: الأزلَامُ لسبعةٍ منها أنصباءٌ، وثلاثةٌ لا أنصباءَ لها، فمن خرجَ سهمُه من السبعةِ، أخذَ نصيبه، ومن خرجَ سهمُه من الثلاثةِ، لا يأخذ شيئاً، ويغرَمُ ثمنَ الجزورِ كُلِّه، ثم يدفعونَ ذلكَ الجزورَ إلى الفقراءِ، ولا يأكلونَ منه شيئاً، وكانوا يفتخرونَ بذلك، ويذمُّونَ مَنْ لم يفعلهُ.

﴿ وَإِثْمُهُمَا ﴾ بعدَ التحريمِ .

﴿ أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ قبله .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ أي: في الصدقةِ، وذلك أن رسولَ اللهِ ﷺ حَثَّهُمْ على الصدقةِ، فقالوا: ماذا ننفقُ؟ .

﴿ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ هو ما فضلَ عن الحاجةِ . قرأ أبو عمرو: (العَفْوُ) بالرفعِ،

(١) في «ت»: «ويتنصف» .

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٥٨/٢) .

(٣) في «ن»: «يقتسمون» .

## جنة السنة

معناه: الذي تنفقون هو العفو. وقرأ الباقون: بالنصب؛ أي: قل أنفقوا العفو<sup>(١)</sup>، ثم نسخ بآية الزكاة، ثم خاطب النبي ﷺ والمراد: الأمة، فقال:

﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾.

\*\*\*

﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمَىٰ قُلُوبُ إِصْلَاحٍ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا عَنْهَا فَأَخْوَأْهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

[٢٢٠] ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ المعنى: هكذا يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون في أمرهما، فتسعون فيما هو صلاحكم فيهما، ولا وقف على (تفكرون) لثلاً يفصل بين العامل ومعموله.

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمَىٰ ﴾ لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الَّتِي تَمَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقوله: ﴿ إِنْ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الَّتِي تَمَىٰ ظُلْمًا ﴾ [النساء: ١٠]، فتركوهم، واجتنبوا مؤاكلتهم، فاشتد ذلك عليهم، فسألوا رسول الله ﷺ، فنزل: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمَىٰ قُلُوبُ إِصْلَاحٍ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾ أي: الإصلاح لأموالهم من غير أجر، ولا أخذ عوضٍ خيرٍ وأعظم أجراً.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٦٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٦)، و«الكشف» لمكي (١/٢٩٢-٢٩٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦١)، و«تفسير البغوي» (١/٢١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٦٩).

## جنة السنة

﴿ وَإِنْ تَخَلَطُوهُمْ ﴾ أي: تَخَلَطُوا أموالكم إلى أموالهم، وتشاركوهم فيها.

﴿ فَأَخْوَانُكُمْ ﴾ أي: فهم إخوانكم في الدين؛ لأن الأخ يصيبُ من مال أخيه، ويعينُ بعضهم بعضاً.

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ ﴾ لأموالهم.

﴿ مِنْ الْمُصْلِحِ ﴾ لها.

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ إعانتكم.

﴿ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ أي: لضيقَ عليكم، والعنتُ: المشقة. قرأ البيهقي (لأعنتكم) بتسهيل الهمزة، بخلافِ عنه، والباقون: بتحقيقها<sup>(١)</sup>.

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ أمرٌ بعزّة، سهلٌ على العبادِ أو صعبٌ.

﴿ حَكِيمٌ ﴾ في صنعه.

\*\*\*

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكَحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا يُعْجَبُكُمْ أَوْلِيَاكُمْ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢١] ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا ﴾ أي: لا تنزوّجوا.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٦١)، و«الكشاف» للزمخشري (١/١٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٥٧).

﴿ الْمَشْرِكَةِ حَتَّى يُؤْمِنَ ﴾ والمراد: الوثنيات: بدليل قوله تعالى: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [المائدة: ٥]، وقوله ﷺ: «نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا»<sup>(١)</sup>، فلا يجوز لمسلم نكاح الوثنيات، ولا المجوسيات، ولا غيرهن من أنواع المشركات اللاتي لا كتاب لهنّ بالاتفاق، وسبب نزولها: أن أبا مرثد سأل النبي ﷺ عن تزويج عناق، وكانت مشركة، فنزلت<sup>(٢)</sup>:

﴿ وَلَا أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا أُعْجَبْتُمْ بِجَمَالِهَا وَمَالِهَا. نَزَلَتْ فِي خَنْسَاءَ: وَليدةٍ سوداءَ كانتَ لحذيفةَ بنِ اليمان، قالَ حذيفةُ: يا خنساء! قد ذُكرتَ في الملاءِ على سوادِكِ ودهامتِكِ، فأعتقها وتزوجها<sup>(٣)</sup>، والمراد: كلُّ امرأةٍ مؤمنةٍ، حُرّةٌ كانت أو أمةً.

﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: لا تزوجوهم.

﴿ حَتَّى يُؤْمِنُوا ﴾ فلا يجوز تزويج مسلمة بكافر إجماعاً.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٧٨/٢)، وقال: هذا الخبر وإن كان في إسناده ما فيه، فالقول به لإجماع الجميع على صحة القول به.

(٢) رواه أبو داود (٢٠٥١)، كتاب: النكاح، باب: في قوله تعالى: ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ﴾ والنسائي (٣٢٢٨)، كتاب: النكاح، باب: تزويج الزانية، والترمذي (٣١٧٧)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة النور، وقال: حسن غريب، وغيرهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» (١٣٦/١): فظهر أن هذا الحديث ليس في هذه الآية التي في البقرة، وإنما هو في الآية التي في النور، لكن ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٧) في هذه الآية التي في البقرة عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢١٣/١).

## جنة السنة

﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ لَأَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ عِبِيدُ اللَّهِ  
وإماؤه، و(لو) هنا بمعنى (إن).

﴿أُولَئِكَ﴾ يعني: المشركين.

﴿يَدْعُونَ إِلَى﴾ أعمالِ أهل.

﴿النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا﴾ على لسانِ رسوله<sup>(١)</sup>.

﴿إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ أي: إلى أعمالِها.

﴿بِأَذْنِهِ﴾ بإرادته.

﴿وَيَسِّرُنَّ آيَاتِهِ﴾ أو امره ونواهيته.

﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون.

\*\*\*

وكانت اليهود إذا حاضت منهم المرأة، لم يؤاكلوها، ولم يشاربوها،  
ولم يجالسوها، فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ  
وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
الَّتَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢٢٢).

[٢٢٢] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ (٢) هو مصدرٌ حاضتٌ تحيضُ حَيْضاً

(١) في «ت»: «رسوله».

(٢) رواه مسلم (٣٠٢)، كتاب: الحيض، باب: الاضطجاع مع الحائض في لحاف  
واحد، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - .

## جنة السنة

ومَحِيضاً، وأصله: الانفجارُ والسيلانُ. والمعنى: يسألونك عن الوطء في زَمَنِ المَحِيضِ.

﴿ قُلْ هُوَ أَدْنَى ﴾ أي: مستقدرٌ يؤذي مَنْ يقربُه مُجامِعاً.

﴿ فَأَعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ ﴾ فتركوا مجامعتَهُنَّ أيامَ حيضهنَّ.

﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ ﴾ مجامِعِينَ، فيحرم وَطْءَ الحائِضِ، ويعصي فاعله بالانفاقِ، أما الملامسةُ والمضاجعةُ معها، فجائزٌ بالاتفاقِ. واختلف الأئمةُ في وجوبِ الكفارةِ على مَنْ وَطِئَ الحائِضَ، فذهبَ أكثرُهم أنه لا كفارةَ عليه، منهم: مالكٌ، والشافعيُّ، وأبو حنيفةٌ، قالوا: يستغفرُ اللهُ ويتوبُ إليه، ويُستحبُّ عندَ الشافعيِّ أن يتصدَّقَ بدينارٍ إن جامعَ في إقبالِ الدمِ، أو بنصفِ دينارٍ إن جامعَ في إدباره، وذهب قومٌ إلى وجوبِ الكفارةِ عليه، منهم: الإمامُ أحمدٌ - رضي اللهُ عنه -، فيجب عندهُ على مَنْ جامعَ - ولو بحائلٍ - قبلَ انقطاعِ الحيضِ في الفرجِ دينارٌ أو نصفُه على التَّخْيِيرِ، ويجزىءُ إلى مسكينٍ واحدٍ؛ كندِرٍ مطلقٍ، وتسقطُ بالعجزِ، وكذا هي إن طأوعتهُ - ولو كانَ ناسياً أو مُكْرَهاً أو جاهِلَ الحيضِ أو التحريمِ، أوهما -، واللهُ أعلم.

﴿ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ أي: ينقطعَ الدَّمُ. وقرأ حمزةٌ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، وخلفٌ: (يَطْهُرْنَ) بفتح الطاءِ والهاءِ وتشديدهما، يعني: يغتسلنَّ<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٦)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦١)، و«تفسير البغوي» (٢١٦/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في =

﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ أي : اغتسلن .

﴿ فَأَتُوهُنَّ ﴾ أي : جامعوهن .

﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ والمراد : الفرج .

قال ابن عباس : طَوُّوهُنَّ فِي الْفَرْجِ ، وَلَا تَعْدُوهُ إِلَى غَيْرِهِ<sup>(١)</sup> ؛ أَي : اتَّقُوا  
الْأَدْبَارَ .

ولا يجوز وطء الحائض حتى ينقطع دمها وتغتسل عند الشافعي ومالك  
وأحمد ، وعند أبي حنيفة يجوز وطؤها إذا انقطع دمها نهاية حيضها ، وإن لم  
تغتسل .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ من الذنوب ، ولا يعودون إليها .

﴿ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ من الشرك ، وبالماء من الأحداث والنجاسات .

\*\*\*

﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْي شِئْتُمْ وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ  
وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٢٢٣)</sup> .

[٢٢٣] ﴿ نِسَاؤُكُمْ ﴾ مبتدأ ، خبره :

﴿ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ أي : مَزْرَعٌ وَمَنْبَتٌ لِلوَلدِ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْضِ لِلنباتِ ؛ تشبيهاً  
لما يلقي في أرحامهن من التطف بالبدن .

﴿ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ ﴾ نساءكم .

= القراءات العشر لابن الجزري (٢/٢٢٧) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي  
(ص : ١٥٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٧١) .

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/٣٨٧) ، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/٣٠٩) .

﴿ أَنِّي شِئْتُمْ ﴾ مُقْبَلَاتٍ وَمُدْبِرَاتٍ . المعنى : جَامِعُوهُنَّ مِنْ أَيِّ شِقِّ شِئْتُمْ فِي الْمَاتِي ، وَكَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ فِي الَّذِي يَأْتِي امْرَأَتَهُ <sup>(١)</sup> مِنْ دُبْرِهَا فِي قُبْلِهَا : إِنْ الْوَلَدَ يَكُونُ أَحْوَلَ ، فَنَزَلَتْ : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شِئْتُمْ ﴾ وَلَا يَجُوزُ إِتْيَانُ الْمَرْأَةِ فِي دُبْرِهَا بِالِاتِّفَاقِ ، وَعَنْ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : إِنَّهُ نَقَلَ عَنْكَ أَنَّكَ أَبْحَثَهُ ، فَقَالَ : كَذَبُوا عَلَيَّ ، كَذَبُوا عَلَيَّ <sup>(٢)</sup> .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبْرِهَا» <sup>(٣)</sup> .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضاً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «مَنْ أَتَى حَائِضاً ، أَوْ امْرَأَةً فِي دُبْرِهَا ، أَوْ كَاهِنًا فَصَدَفَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» <sup>(٤)</sup> رَوَاهُ نُ كُلُّهُنَّ الْأَثْرُمُ . قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو ، وَأَبُو جَعْفَرٍ ، وَوَرِثُ : (شِئْتُمْ) بِغَيْرِ هَمْزٍ ، وَالْبَاقُونَ : بِالْهَمْزِ <sup>(٥)</sup> .

﴿ وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ﴾ التَّسْمِيَةُ عِنْدَ الْجَمَاعِ .

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا

(١) فِي «ت» : «المرأة» .

(٢) رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٤٠٥/٨) .

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٢١٦٢) ، كِتَابُ : النِّكَاحِ ، بَابُ : فِي جَامِعِ النِّكَاحِ ، وَالنِّسَائِيُّ فِي «السَّنَنِ الْكُبْرَى» (٩٠١٥) ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمَسْنَدِ» (٤٤٤/٢) ، وَانظُرْ : «التَّلْخِيسَ الْحَبِيرَ» لِابْنِ حَجَرَ (١٨٠/٣) .

(٤) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «السَّنَنِ الْكُبْرَى» (٩٠١٧) ، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٣٥) ، كِتَابُ : الطَّهَارَةِ ، بَابُ : مَا جَاءَ فِي كِرَاهِيَةِ إِتْيَانِ الْحَائِضِ ، وَابْنُ مَاجَةَ (٦٣٩) ، كِتَابُ : الطَّهَارَةِ ، بَابُ : النَّهْيُ عَنِ إِتْيَانِ الْحَائِضِ ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمَسْنَدِ» (٤٠٨/٢) .

(٥) انظُرْ : «الغَيْثُ» لِلصَّفَاقِسِيِّ (ص : ١٦٢) ، وَ«مَعْجَمُ الْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ» (١٧٢/١) ، حَيْثُ ذَكَرَ الْقِرَاءَةَ عَنِ أَبِي عَمْرٍو فَقَطَ .



## جنة السنة

الشَّيْطَانِ، وَجَنَّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا؛ فَإِنَّهُ إِنْ يُفَدَّرَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ»<sup>(١)</sup>.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ على كلِّ حالٍ .

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ﴾ صائرونَ إليه ، فاستعدُّوا له .

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يا محمدُ .

\*\*\*

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢٢٤)</sup> .

[٢٢٤] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ جمعُ يمينٍ . نزلت فيمن حلفَ ألا يفعل شيئاً، وكانَ حنثُهُ أولى، والعُرْضَةُ أصلُها: الشدَّةُ والقوَّةُ . معنى الآية: لا تجعلوا الحلفَ بالله سبباً مانعاً لكم من البرِّ والتقوى، يُدعى أحدكم إلى صلةٍ رحمٍ أو برٍّ فيقول: حلفتُ بالله ألا أفعلهُ، فيعتلُّ بيمينه في تركِ البرِّ .

﴿أَنْ تَبَرُّوا﴾ أي: ألا تبرؤا؛ كقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]؛ أي: لئلا تضلوا .

﴿وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا﴾ أي: لا تجعلوا الحلفَ بالله شيئاً مانعاً لكم من البرِّ والتقوى والإصلاحِ ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ .

قال ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا،

(١) رواه البخاري (١٤١)، كتاب: الوضوء، باب: التسمية على كل حال وعند الوقاع، ومسلم (١٤٣٤)، كتاب: النكاح، باب: ما يستحب أن يقوله عند الجماع، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .

## جنة السنة

فَلْيَكْفُرْ عَنْ يَمِينِهِ ، وَلْيَفْعَلِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»<sup>(١)</sup> .

﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ بنياتكم .

\*\*\*

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾<sup>(٢٢٥)</sup> .

[٢٢٥] ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ﴾ أي : لا<sup>(٢)</sup> يعاقبكم .

﴿ اللَّهُ بِاللَّغْوِ ﴾ اللَّغْوُ: كُلُّ مطروحٍ من الكلام لا يُعْتَدُّ به ، وأصله : الباطل ، واللغو في اليمين : ما سبق إليه اللسان من غير قصد اليمين ؛ نحو : لا والله ، وبلى والله عند الشافعي وأحمد ، وعند أبي حنيفة ومالك هو أن يحلف على شيء يرى أنه صادق ، ثم يظهر خلاف ذلك ، ولا كفارة فيه ولا إثم بالاتفاق ، وقوله :

﴿ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ حالٌ من اللغو ؛ أي : باللغو كائناً في أيمانكم .

﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ ﴾ أي : يعاقبكم .

﴿ بِمَا كَسَبْتُمْ ﴾ أي : نَوْتُمْ .

﴿ قُلُوبِكُمْ ﴾ وفهتتم به . قرأ ورش ، وأبو جعفر : (يُؤَاخِذُكُمْ) بفتح الواو

بغير همز<sup>(٣)</sup> .

(١) رواه مسلم (١٦٥٠) ، كتاب : الأيمان ، باب : نذب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ، ويكفر عن يمينه ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

(٢) «لا» ساقطة من «ن» .

(٣) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ١٦٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لا يَعَجَلُ بالمؤاخِذَةِ.

وتنعقدُ اليمينُ باللهِ وبأسمائهِ وصفاتهِ بالاتفاق، وعندِ الثلاثةِ تنعقدُ إذا حلفَ بكلامِ اللهِ، أو بالمصحفِ، أو بالقرآنِ، خلافاً لأبي حنيفةَ، وتنعقدُ عندَ الإمامِ أحمدَ بالنبِيِّ ﷺ خاصةً؛ خلافاً للثلاثةِ، فإذا حلفَ على أمرٍ مستقبلٍ، فَحَنَثَ، فعليه كَفَارَةٌ بالاتفاق، وإن حلفَ على أمرٍ ماضٍ أنه كانَ، ولم يكنْ، أو بالعكسِ، عالماً كانَ أو جاهلاً، فَحَنَثَ، فهي<sup>(١)</sup> اليمينُ الغموسُ؛ لغمسهِ في الإثمِ، فتجبُ الكفارةُ عندَ الشافعيِّ، ولا تجبُ عندَ الثلاثةِ؛ لأنه إن كانَ عالماً، فهي كبيرةٌ، ولا كفارةَ في الكبائرِ، وإن كانَ جاهلاً، فهي يمينُ اللغو.

وقد رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ حَلَفَ بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، نَازَعَ اللَّهُ فِيهَا حَوْلَهُ وَقُوَّتَهُ، عَجَّلَ اللَّهُ لَهُ الْعُقُوبَةَ قَبْلَ ثَلَاثِ»، وصفةُ اليمينِ أن يقولَ: تَقَلَّدْتُ الحَوْلَ والقُوَّةَ دونَ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ، إلى حَوْلِي وَقُوَّتِي إِنْ لَمْ يَكُنْ مَا قُلْتُهُ حَقًّا. ونُقِلَ أَنَّ بعضَ الناسِ حلفَ بهذهِ اليمينِ، وكانَ كاذباً، فهلكَ في يومِهِ، ذَكَرَ ذلكَ في «شرح المقامات» للشريشي<sup>(٢)</sup> بأبسط من هذا.

\*\*\*

= (ص: ١٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٧٢).

(١) في «ن»: «فهو».

(٢) هو أحمد بن عبد المؤمن بن موسى أبو العباس الشريشي الأندلسي المالكي النحوي، المتوفى سنة (٦١٩هـ)، له ثلاثة شروح على «مقامات الحريري» أصغر وأكبر وأوسط. انظر: «هدية العارفين» للبغدادى (١/٤٧).

﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٢٢٦]

[٢٢٦] ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ ﴾ يُقْسِمُونَ .

﴿ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ المعنى : يَبْعُدُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ مُؤْلِينَ .

﴿ تَرَبُّصُ ﴾ أي : انتظاراً .

﴿ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ تلخيصه : استقرَّ للمؤلِّين ترَبُّصُ أربعة أشهرٍ . والإيلاءُ من المرأةِ عندَ مالِكٍ والشافعيِّ وأحمدَ : أنْ يحلفَ ألاَّ يقربها أكثرَ من أربعةِ أشهرٍ ، فإذا مضتْ ، وقفَ ، فإما أن يجامِعَ ، أو يطلقَ ، فإن امتنعَ ، طلقَ عليه القاضي ، وإن عجزَ عن الجماعِ ، فاءَ بلسانِهِ ، فيقولُ : إذا قَدَرْتُ جامِعْتُ ، وعند<sup>(١)</sup> أبي حنيفةَ : هو أن يحلفَ ألاَّ يقربها أربعةِ أشهرٍ فصاعداً ، أو ألاَّ يقربها مطلقاً ، وعليه كفارةٌ إن وطَّئها قبلَ المدَّةِ ، فإن انقضتِ الأربعةُ أشهر<sup>(٢)</sup> ، وقعتْ تطليقةٌ بائنةٌ عندَ أبي حنيفةَ .

ومدَّةُ الإيلاءِ في الحرِّ والعبدِ سِواءً عندَ الشافعيِّ وأحمدَ ، وعندَ أبي حنيفةَ ومالكٍ يَتَنَصَّفُ<sup>(٣)</sup> بالرقِّ ، فأبو حنيفةَ يعتبرُ رِقَّ المرأةِ ، ومالكٌ يعتبرُ رِقَّ الزوجِ ؛ كما قالوا في الطلاقِ ، ويأتي ذكرُه قريباً .

﴿ فَإِنْ فَاءُوا ﴾ رَجَعُوا عَنِ الْيَمِينِ .

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ .

﴿ رَحِيمٌ ﴾ لَهُمْ .

(١) في «ت» : «وعن» .

(٢) «أشهر» زيادة من «ن» .

(٣) في «ن» : «تتنصف» .

﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٢٢٧].

[٢٢٧] ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ ﴾ أي: أوقعوه، وأصل العزم والعزيمة: عقد القلب على إمضاء شيء يريد فعله، والطلاق: هو حل قيد النكاح أو بعضه بوقوع ما يملكه من عدد الطلقات، أو بعضها، وأصله من الإطلاق.

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لقولهم.

﴿ عَلِيمٌ ﴾ بنياتهم.

\*\*\*

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْبِضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلْنَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٢٢٨].

[٢٢٨] ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ ﴾ أي: المُخَلَّياتُ من حبال أزواجهنَّ بعد الدخولِ بهنَّ.

﴿ يَرْبِضْنَ ﴾ ينتظرن، وهذا خبرٌ معناه: أمرٌ؛ أي: لِيَتَرَبَّصْنَ.

﴿ بِأَنْفُسِهِنَّ ﴾ فلا يَتَزَوَّجْنَ.

﴿ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ جمعُ قرءٍ - بفتح القاف، وقد يضم -، ومعناه في اللغة: الوقت المعتادُ تَرَدُّدُهُ، وهو الحيضُ عند أبي حنيفة وأحمد، والطهرُ عند مالكٍ والشافعي، وفائدةُ الخلافِ أن المعتدَّةَ إذا شَرَعَتْ في الحيضةِ الثالثة، انقضتِ عِدَّتُها عند مَنْ يجعلُه الطهرَ، ويحسبُ بقيةَ الطهرِ الذي وقع فيه الطلاقُ قرءاً، وعند مَنْ يجعلُه الحيضَ لا تنقضي عِدَّتُها حتى تطهرَ من

## جنة السنة

الحيضة الثالثة، وزاد الإمام أحمد: حتى تغتسل، أو يمضي وقت صلاة.

﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَزْوَاجِهَا ﴾ من الحيض والحبل، وهو أن يريد الرجل مراجعتها، فتقول: قد حضت الثالثة، أو تنكر الحبل ليبتل حق الزوج من الرجعة والولد، وربما أسقطت الولد خوفاً ألا تعود.

﴿ إِنْ كُنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ لأن المؤمن يخاف هذا الفعل.

﴿ وَبُعُولَتِهِنَّ ﴾ جمع بعل، وهو الزوج، سُمِّيَ بذلك لقيامه بأمر الزوجة، وأصل البعل: السيد والمالك، والبعل النكاح.

﴿ أَحَقُّ بِرِيَّتِهِنَّ ﴾ أولى برجعتهن.

﴿ فِي ذَلِكَ ﴾ في العدة.

﴿ إِنْ أَرَادُوا ﴾ أي: الزوج والزوجة والولي بالرجعة.

﴿ إِصْلَاحًا ﴾ بينهما وحسن عشرة.

﴿ وَلَهُنَّ ﴾ على الرجال.

﴿ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ ﴾ للرجال من الحقوق.

﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ بما عرف شرعاً. قال ﷺ: «إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ بالمهر وإنفاق المال. قرأ يعقوب: (عَلَيْهِنَّ) بضم الهاء حيث وقع<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الترمذي (١١٦٢)، كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في حق المرأة على زوجها، وقال: حسن صحيح، وابن حبان في «صحيحه» (٤١٧٦)، وغيرهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

(٢) انظر: (ص: ٢٣) من هذا الجزء.

## جنة السنة

﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ قال ﷺ: «لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

﴿ اَلطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَاِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ اَوْ تَسْرِيحُ بِاِحْسَنِ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ اَنْ تَاْخُذُوْا مِمَّا اَنْتُمْ مَوْهَنٌ شَيْئًا اِلَّا اَنْ يَخَافَا اَلَّا يُقِيْمَا حُدُوْدَ اللّٰهِ فَاِنْ خِفْتُمْ اَلَّا يُقِيْمَا حُدُوْدَ اللّٰهِ فَاَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِىْهَا اَفْدَتَ بِهٖ تِلْكَ حُدُوْدُ اللّٰهِ فَاَلَا تَعْتَدُوْهَا وَمَنْ يَّعْتَدْ حُدُوْدَ اللّٰهِ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الظَّالِمُوْنَ ﴾<sup>(٢٢٩)</sup>.

[٢٢٩] ﴿ اَلطَّلُقُ ﴾ تقديره: عدد الطلاق الذي يملك الزوج بعده الرجعة.

﴿ مَرَّتَانٍ ﴾ كان الناس في الابتداء يُطَلِّقُونَ من غير حصر ولا عدد، وكان الرجل يطلق امرأته، فإذا قاربت انقضاء عدتها، راجعها، ثم طلقها كذلك، ثم راجعها، يقصد بذلك مضارتها، فنزلت الآية، وقوله مَرَّتَانٍ؛ أي: مرة بعد مرة، ولم يُرد الجمع بينهما، فإن راجعها بعد الثانية.

﴿ فَاِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ ﴾ شرعاً؛ أي: يُمسكها بما عُرف من الحقوق، ولا يراجعها بقصد تطويل العدة مضارة لها.

﴿ اَوْ تَسْرِيحُ بِاِحْسَنِ ﴾ أصل التسريح: الإرسال؛ كالطلاق من الإطلاق. المعنى: يتركها، ولا يقصدُها بسوء.

(١) رواه الترمذي (١١٥٩)، كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في حق الزوج على المرأة، وقال: حسن غريب، وفي الباب: عن عائشة، وابن عباس، وابن أبي أوفى، وأنس، وابن عمر، ومعاذ، وغيرهم - رضي الله عنهم -.

## جنة السنة

وصريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية عند مالك والشافعي ثلاثة: الطلاق، والفراق، والسراح، وعند أبي حنيفة وأحمد هو لفظ الطلاق.

واختلف الأئمة فيما إذا كان أحد الزوجين رقيقاً، فقال مالك والشافعي وأحمد: يعتبر عدد الطلاق بالزوج، فيملك الحرُّ على زوجته الأمة ثلاث طلاقات، والعبد لا يملك على زوجته الحرّة إلا طلقتين، وقال أبو حنيفة: الاعتبار بالمرأة، فيملك العبد على زوجته الحرّة ثلاث طلاقات، ولا يملك الحرُّ على زوجته الأمة إلا طلقتين.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها الأزواج.

﴿أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهور.

﴿شَيْئًا﴾ ثم استثنى الخلع، فقال:

﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ تقديره: إلا أن يخافا ترك حدود الله المعروفة شرعاً من حُسن الصحبة. قرأ أبو جعفر، وحمزة، ويعقوب: (يُخَافَا) بضم الياء؛ أي: يُعَلِّمَ ذلك منهما؛ يعني: يعلم المسلمون والقاضي ذلك من الزوجين؛ بدليل قوله:

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ فجعل الخوف لغير الزوجين، ولم يقل: فإن خافا. وقرأ الباقر: بفتح الياء<sup>(١)</sup>؛ أي: يعلم الزوجان من أنفسهما.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٦٥)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/٢٩٤-٢٩٥)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٤)، و«تفسير البغوي» (١/٢٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في =



﴿أَلَا يُبَيِّنُ اللَّهُ لِي آيَاتِهِ﴾ نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول وزوجها ثابت بن قيس بن شماس، وكان يحبها، وهي تُبغضه، وكان قد أعطاها حديقة، فافتدت بها نفسها منه، وهو أول خلع في الإسلام<sup>(١)</sup>.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي: على الزوج فيما أخذ، ولا على الزوجة.

﴿فِيمَا أَفْذَتَ بِهِ﴾ نفسها من المال؛ لأنها ممنوعة من إتلاف المال بغير حق، وهذه الآية دليل جواز الخلع بسؤال الزوجة على مال تفتدي به نفسها.

واختلف الأئمة في الخلع، فقال الثلاثة: هو تطليقة بائنة، وقال أحمد: هو فسخ عزيمة إذا وقع بلفظ خلع، أو فسخ، أو مفاداة لا ينقص عدد الطلاق، وهو قول ابن عباس، وعبد الله بن عمر، واحتج ابن عباس بقوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ ثم قال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا أَفْذَتَ بِهِ﴾ ثم قال: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ فذكر تطليقتين والخلع وتطليقة بعدها، ولم يك للخلع حكم يُعتدُّ به، فلو كان الخلع طلاقاً، لكان الطلاق أربعاً، ولأنها فرقة خلت عن صريح الطلاق ونيته، فكانت فسخاً كسائر الفسوخ، ومن قال: هو طليقة، جعل الطليقة الثالثة: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: هذه أوامره ونواهيه.

= القراءات العشر لابن الجزري (٢/٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٧٤).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢/٤٦٢)، و«تفسير البغوي» (١/٢٢٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/٦٧٠).

﴿ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ لا تتجاوزوها .

﴿ وَمَنْ يَنْعَدْ حُدُودَ اللَّهِ ﴾ يتجاوزها .

﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

\*\*\*

﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٣٠) .

[٢٣٠] ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا ﴾ الطلقة الثالثة .

﴿ فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ ﴾ أي : بعد الطلقة الثالثة .

﴿ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ غير مطلقها ، فيجامعها . والنكاحُ شرعاً : يتناول العقدَ والوطءَ جميعاً ، فهو حقيقةٌ فيهما عند الإمام أحمد ، وعند أبي حنيفة ومالكٍ هو حقيقةٌ في الوطاء ، مجازٌ في العقد ، وعند الشافعي بالعكس ، وهو في اللغة الضمُّ والجمعُ ، فعلى القول بأنه حقيقةٌ في العقد ، فهو ضمُّ وجمعٌ بالنسبة إلى الإيجابِ والقبولِ ؛ فَإِنَّ القبولَ يُضَمُّ وَيُجْمَعُ إلى الإيجابِ ، وعلى القولِ بأنه حقيقةٌ في الوطاء ، فهو ضمُّ وجمعٌ بالنسبة إلى جمعِ أحدِ الفَرَجَيْنِ إلى الآخرِ وضمُّه إليه ؛ لأن الزوجين حالة الوطاء يجتمعان ، وينضمُّ كلُّ واحدٍ منهما<sup>(١)</sup> إلى صاحبه حتى يصيرا كالشخصِ الواحدِ ، والحقيقةُ : اللفظُ المستعملُ فيما وُضِعَ له ، والمجازُ : اللفظُ

(١) «منهما» زيادة من «ن» .

## جنة السنة

المستعمل في غير ما وُضع له على وجهِ يصحُّ، والحقيقةُ لا تستلزمُ  
المجازَ، والمجازُ يستلزمُها بالاتفاق.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: جاءت امرأة رفاعَةَ إلى  
رسولِ الله ﷺ، فقالت: كنتُ عندَ رفاعَةَ، فطلَّقني فَبَتَّ طلاقِي، فتزوَّجتُ  
بعده عبدَ الرحمنِ بنَ الزَّبيرِ، وإنما معه مثلُ هُدْبَةِ الثوبِ، فتبسَّم  
رسولُ الله ﷺ، وقال: «تُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَيَّ رِفاعَةَ؟ لا، حَتَّى تَذُوقِي  
عُسَيْلَتَهُ، وَيَذُوقَ عُسَيْلَتِكَ»<sup>(١)</sup>.

﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا ﴾ أي: الزوجُ الثاني.

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ أي: على الزوجِ الأولِ والزوجةِ بعدَ انقضاءِ العِدَّةِ.

﴿ أَنْ يَتَرَاجَعَا ﴾ أي: يرجعَ كلُّ واحدٍ منهما إلى صاحبه بنكاحٍ جديدٍ.

﴿ إِنْ ظَنَّا ﴾ أي: رجوا.

﴿ أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ الواجبةُ في حقِّ الزوجيةِ، وقال مجاهد: إنَّ عِلْمَا  
أَنَّ نِكَاحَهُمَا عَلَى غَيْرِ دَلْسَةٍ، وَهِيَ التَّحْلِيلُ.

واختلف الأئمةُ في الرجلِ إذا تزوَّجَ امرأةً طَلَّقَتْ ثَلَاثًا لِيُحِلَّهَا لِلزَّوْجِ  
الأوَّلِ، فَقَالَ مالِكٌ وأحمدُ: النِّكَاحُ باطِلٌ، وَلَا تَحِلُّ لِلأوَّلِ، وَقَالَ  
أبو حنيفةَ والشافعيُّ: النِّكَاحُ صحيحٌ، وَيَحْصُلُ بِهِ التَّحْلِيلُ إِذَا لَمْ يُشْتَرَطْ فِي  
النِّكَاحِ مَعَ الثَّانِي أَنْ يَفَارِقَهَا، غَيْرَ أَنَّهُ يُكْرَهُ إِذَا كَانَ فِي عِزْمِهِمَا ذَلِكَ.

﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ما أمرهمُ به.

(١) رواه البخاري (٥٠١١)، كتاب: الطلاق، باب: إذا طلقها ثلاثاً ثم تزوجت بعد  
العدة زوجاً غيره فلم يمسه، ومسلم (١٤٣٣)، كتاب: النكاح، باب: لا تحل  
المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره.

﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُعْظِمَكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ .

[٢٣١] ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ أي: قرُبْنَ من انقضاءِ العدةِ. نزلت في ثابت بن يسار الأنصاري، طلق امرأته، فلما دنت عدتها، راجعها، ثم طلقها مضارة<sup>(١)</sup>.

﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ ﴾ راجعوهنَّ.

﴿ بِمَعْرُوفٍ ﴾ من غير طلبِ ضرارٍ بالمراجعةِ.

﴿ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ ﴾ أي: اتركوهنَّ.

﴿ بِمَعْرُوفٍ ﴾ حتى تنقضي عدتهنَّ، فيكنَّ أملك بأنفسهنَّ.

﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا ﴾ أي: لا تقصدوا بالرجعة المضارة.

﴿ لِنَعْتِدُوا ﴾ لتظلموهنَّ بتطويل الحبسِ.

﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴾ قرأ: الليث عن الكسائي (يفعل ذلك) بإدغام الدال في اللام حيث وقع.

﴿ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ بتعريضه إلى عذابِ الله. قرأ أبو عمرو، وورش، وحمزة، والكسائي، وخلف: (فَقَدْ ظَلَمَ) حيث وقع بإدغام الدال في الظاء، والباقون بالإظهار<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٩٣/٢).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٧٦/١).

## جنة السنة

﴿ وَلَا نَنْخِدُوا ءَايَاتِ اللَّهِ هُرُوءًا ﴾ بأن يطلق ويقول: كنتُ لاعباً، ويعتق وينكح ويقول: كنتُ لاعباً، قال ﷺ: «ثلاثة جِدُهْنٌ جِدٌّ، وهزلُهْنٌ جِدٌّ: الطَّلَاقُ وَالنِّكَاحُ وَالْعِتَاقُ»<sup>(١)</sup>.

﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ بالإيمان (نعمت) رُسمت بالتاء في أحد عشر موضعاً، وقفَ عليها بالهاء ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو، والكسائيُّ، ويعقوبُ.

﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ أي: القرآن.

﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ يعني: السنة.

﴿ يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾ بالنازلِ عليكم.

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ تأكيدٌ وتهديدٌ.

ثم خاطب الأزواج والأولياء فقال:

\*\*\*

﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ كَرَمٌ أَرْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

[٢٣٢] ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ ﴾ أي: انقضت عدتهن. نزلت في

جميلة بنت يسارٍ أختِ مَعْقِلِ بنِ يَسَارِ المِزَنِيِّ، كانت تحتَ أبي البراح

(١) رواه أبو داود (٢١٩٤)، كتاب: الطلاق، باب: في الطلاق على الهزل، والترمذي (١١٨٤)، كتاب: الطلاق واللعان، باب: ما جاء في الجِد والهِزْل في الطلاق، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢٠٣٩)، كتاب: الطلاق، باب: من طلق أو نكح أو راجع لاعباً، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

## جنة السنة

عاصم بن عدي بن عجلان، فطلّقها، فلما انقضت عدّتها، جاء يخطبها، فقال له أخوها: زوّجتك وفرشتك وأكرمتك، فطلّقتها، ثم جئت تخطبها! لا والله لا تعود إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله تعالى:

﴿ فَلَا تَعْصُوهُنَّ ﴾ <sup>(١)</sup> أصل العَصَلِ: المنع والشدة. المعنى: لا تمنعهن من ﴿ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ الذين يرغبن فيهم، ويصلحون لهنّ.

﴿ إِذَا تَرَضَوْا ﴾ أي: الخطاب والنساء.

﴿ بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ بعقدٍ حلالٍ ومهرٍ جائز.

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: النهي.

﴿ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ ﴾ أيها الجمع.

﴿ أَزْكَى ﴾ أي: خير.

﴿ لَكُمْ وَأَطْهَرٌ ﴾ لقلوبكم من الرّيبة.

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ ما في قلب أحدهما من حبّ الآخر.

﴿ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك، فلما نزلت الآية، قال أخوها: الآن أفعل

يا رسول الله.

\*\*\*

(١) رواه البخاري (٤٢٥٥)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْتَنَ أَجَلَهُنَّ... ﴾.

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدَيْهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا ءَاتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [٢٣٣]

[٢٣٣] ﴿ وَالْوَالِدَاتُ ﴾ أي: المطلقات اللاتي لهنَّ أولاد من أزواجهن.

﴿ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾ خبرٌ، ومعناه: أمرٌ استحبابٍ.

واختلف الأئمة هل تُجبر الأمُّ على إرضاع ولدها؟ فقال أبو حنيفة وأحمد: لا تُجبر، إلا أن يضطرَّ إليها، ويُخشى عليه.

وقال مالك: تُجبر إن كانت تحت الأب، أو رجعية، إلا أن تكون عليَّة القدر، فلا تُجبر إلا ألاَّ يقبل ثدي غيرها، أو يكون الأب معسراً، أو ميتاً، وليس للولد مالٌ.

وقال الشافعي: يجبُ عليها إرضاعه اللبَّاء، ثم بعده إن لم يوجد إلا هي، أو أجنبية، وجب إرضاعه، فإن وُجدتا، لم تُجبر الأمُّ.

واختلفوا فيما إذا طلبت الأمُّ أجره مثلها في إرضاع ولدها، فقال أبو حنيفة: لها ذلك بشرط ألاَّ تكون في عصمة الأب، ولا عدته، فإن وجد متبرعة، أو من تُرضعُ بدون أجره المثل، كان للأب أن يسترضع غير الأمِّ، بشرط أن تكون المرضعة عند الأمِّ؛ لأن الحضنة لها.

## جنة السنة

وقال مالك: لها طلبُ أجرَةِ المثلِ بعدَ البينونةِ، ولو في العِدَّةِ، فإن وُجد من يُرضعُه بدونِ أجرَةِ المثلِ، فإن كان ذلكَ عندَ الأمِّ، فَتُخَيَّرُ بَيْنَ إرضاعِهِ بذلكَ، أو تسليمِهِ للظُّئْرِ، وليس لها طلبُ أجرَةِ المثلِ، فإن لم يكن عندها، فليس له ذلكَ، ولو كانتِ المرضعَةُ متبرعةً، وعليه أن يرضعَه عندَ أمِّه، ولا يخرجُه من حَضانتها؛ كقولِ أبي حنيفة.

وقال الشافعيُّ: لها أخذُ الأجرَةِ في العصمةِ والبينونةِ، فإن وجدَ متبرعةً، أو من يرضي بدونِ أجرَةِ المثلِ، فله انتزاعُ الولدِ منها.

وقال أحمد: هي أحقُّ بأجرَةِ مثلها، ولو وجدَ متبرعةً، سواءً كانت في حبالِ الزوجيةِ، أو مطلقةً.

﴿ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ يعني: أربعة وعشرين شهراً، ثم جاء بالتخفيف فقال:

﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ ﴾ أي: يكمل.

﴿ الرِّضَاعَةَ ﴾ أي: هذا منتهى الرضاع، وليس فيما دون ذلك حَدٌّ

محدود، وإنما هو على مقدار إصلاح الصبيِّ أو ما يعيشُ به.

﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ ﴾ أي: الأب.

﴿ رِزْقُهُنَّ ﴾ طعامهن.

﴿ وَكِسْوَتُهُنَّ ﴾ لباسهن.

﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ أي: قدر اليسرة.

﴿ لَا تُكَلَّفُ ﴾ لا تُحْمَلُ.

﴿ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أي: طاقتها.

﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾ فينزَعُ منها بعدَ رضاها بإرضاعه. قرأ: ابن



## جنة السنة

كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (تضارُّ) برفع الراء نَسَقًا على قوله: ﴿لَا تُكَلِّفُ﴾، وأصله: تضارُّر، فأدغمت الراء في الراء. قرأ نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، وابن عامر: بنصب الراء، وقالوا: لما أدغمت الراء في الراء، حركت إلى أخف الحركات، وهو النصب، وأبو جعفر: بإسكان الراء<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولَدُ لَهُ﴾ بأن تلقى الولد إلى أبيه بعدما ألفها تضارُّه بذلك.

﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ أي: وارث الصبي عند فقد أبيه.

﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾ أي: مثل الذي كان على أبيه في حياته.

واختلف الأئمة في وجوب النفقة على القريب، فعند مالك والشافعي: لا نفقة للصبي إلا على الوالدين فقط، وعند أبي حنيفة تجب إلا على من ليس بذئب محرم؛ كابن العم، وعند أحمد تجب على كل وارث على قدر ميراثه.

﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ الوالدان.

﴿فَصَالًا﴾ فطاماً للصغير قبل الحولين، فليكن.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٦٨)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/٢٩٦)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/٢٣٥)، و«الكشاف» للزمخشري (١/١٤١)، و«تفسير القرطبي» (٣/١٦٧-١٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٧-٢٢٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٧٨-١٧٩).

﴿ عَنْ تَرَاوِضٍ ﴾ اتَّفَاقٍ .

﴿ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ ﴾ بَانَ يَسْتَخْرِجُ الْوَالِدَانِ رَأْيَ الْعِلْمَاءِ أَنَّ الْفِطَامَ لَا يَضُرُّهُ،  
وَاعْتَبَرَ اتَّفَاقَهُمَا، لِمَا لِلْأَبِ مِنَ الْوِلَايَةِ، وَلِلْأُمِّ مِنَ الشَّفَقَةِ .

﴿ فَلَا جُنَاحَ ﴾ أَي : لَا حَرَجَ .

﴿ عَلَيْهِمَا ﴾ فِي الْفِطَامِ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ . قَرَأَ يَعْقُوبُ : (عَلَيْهُمَا) بِضَمِّ  
الِهَاءِ<sup>(١)</sup> .

﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ ﴾ أَي : لِأَوْلَادِكُمْ مَرَضِعَ غَيْرِ أُمَّهَاتِهِمْ إِذَا  
أَبَتْ أُمَّهَاتُهُمْ أَنْ يُرْضِعَنَّهُمْ، أَوْ تَعَذَّرَ لِعَلَّةٍ بِهِنَّ؛ كَانْقِطَاعِ لَبَنِ، أَوْ أَرْدَنَ  
النِّكَاحِ .

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ ﴾ إِلَى أُمَّهَاتِهِمْ .

﴿ مَا آتَيْتُمْ ﴾ مَا سَمَّيْتُمْ لَهُنَّ بِقَدْرِ مَا أَرْضَعْنَ . قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ : (مَا أُتَيْتُمْ)  
بِقِصْرِ الْأَلْفِ، وَمَعْنَاهُ : مَا فَعَلْتُمْ، وَالْبَاقُونَ بِالْمَدِّ<sup>(٢)</sup> .

﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ أَي : سَلَّمْتُمْ الْأَجْرَةَ إِلَى الْمَرَضِعِ بِطَيْبِ نَفْسٍ وَسُرُورٍ .

﴿ وَالْقُوا اللَّهَ وَأَعْمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ حَثٌّ وَتَهْدِيدٌ .

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٨)، و«معجم القراءات  
القرآنية» (١/١٧٩) .

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٣)،  
و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/٢٩٦-٢٩٧)،  
و«الغيث» للصفارسي (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/٢٣٦)، و«التيسير»  
للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٨)،  
و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية»  
(١/١٨٠) .

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٢٣٤).

[٢٣٤] ﴿ وَالَّذِينَ ﴾ قائم مقام المبتدأ المحذوف؛ أي: وأزواج الذين<sup>(١)</sup>.

﴿ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ ﴾ أي: يتوفى آجالهم، والتوفي: أخذ الشيء وافياً.

﴿ وَيَذُرُونَ ﴾ أي: يتركون.

﴿ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ ﴾ أي: يعتدّن<sup>(٢)</sup>.

﴿ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ أي: ليال باتفاق؛ لأن التاريخ بالليلة؛ لأنها أول الشهر، واليوم تبع، فإن كانت حاملاً، فانقضت عدتها بوضع الحمل بالاتفاق.

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ أي: انقضت عدتهن.

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ أيها الأولياء.

﴿ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ ﴾ من اختيار الأزواج، والتزوين.

﴿ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ فيجازيكم عليه.

ويجب الإحداد على المعتدة من الوفاة باجتناب الطيب و<sup>(٣)</sup> الزينة

(١) «أي وأزواج الذين» ساقطة من «ن».

(٢) في «ن»: «يعتدون».

(٣) «الطيب و» ساقطة من «ن».

## جنة السنة

والادّهان بالمطيّب بالاتفاق، وجوّز أبو حنيفة ومالك وأحمد الاكتحال بالأسود للضرورة، وعند الشافعي تكتحل به<sup>(١)</sup> ليلاً، وتمسحه نهراً للضرورة، وأما المطلقة، فإن كان طلاقها رجعيّاً، فلا إحداد عليها بالاتفاق، وإن كان بائناً، فقال أبو حنيفة: يجب عليها الإحداد، وقال مالك وأحمد: لا يجب عليها، وعند الشافعي يُستحبُّ، وعنه قولٌ يجب.

\*\*\*

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَذْكُرُوهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [٢٣٥].

[٢٣٥] ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾ أي: المعتدات، والتعريضُ: التلويحُ بالشيء، وهو ما يلوح؛ أي: يبين منه المراد من غير تصريح، فالتعريضُ بالخطبة مباحٌ في العدة من الوفاة والطلاقِ البائنِ بالاتفاق، نحو قوله: إنِّي في مثلك لراغبٌ، ولا تفوتيني بنفسك، وتجيئه: ما يُرغَبُ عنك، وإن قُضي شيءٌ كان، ونحوهما، ولا يجوز التعريضُ للرجعية، ولا التصريحُ للبائن قبل انقضاء العدة بالاتفاق، والخطبةُ: التماسُ النكاح، فإذا خطبَ الرجلُ امرأةً، وأُجيب، حرّم على غيره أن يخطبَ على خطبته بالاتفاق، فلو خالفَ وفعل، صحَّ

(١) «به» ساقطة من «ن».

## جنة السنة

النكاح، ولزم عند الثلاثة، وقال مالك: يُفسخ قبل الدخول لا بعده.

﴿أَوْ أَكَنَنْتُمْ﴾ أي: أضمرتم. قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، وابن عامر، وروح عن يعقوب (النساء أو أكننتم) وشبهه حيث وقع بتحقيق الهمزتين والباقون بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية وهي أن تبدل ياء<sup>(١)</sup>.

﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ في قلوبكم. تلخيصه: لا تبعه عليكم في التلويح بالنكاح.

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ ولكم ميل إليهن، فاذكروهن.

﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ والسر: الجماع؛ أي: لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع، وإنما قيل للجماع: السر؛ لأنه يكون في خفية بين الرجل والمرأة.

﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ وهو التعريض بالخطبة.

﴿وَلَا تَعْرِمُوا﴾ أي: تنوا.

﴿عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ في العدة.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ بانقضائها، وسُميت العدة كتاباً؛ لأنها فرض في الكتاب، فعقد النكاح في العدة لغير المطلق دون الثلاث باطل بالاتفاق.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ فخافوه عقابه.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٨-١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٨١).

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ﴾ يغفر.

﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل بالعقوبة.

\*\*\*

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٦).

[٢٣٦] ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ أي: تُجامعوهنَّ. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (تَمَّاشُوهُنَّ) بالألفِ في الموضعينِ على المفاعلة، لأن بدن كل واحد يلاقي بدن<sup>(١)</sup> صاحبه كما قال تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾ [المجادلة: ٣]، وقرأ الباقر: (تَمَّشُوهُنَّ)؛ لأن الغشيان يكون من فعل الرجل؛ لقوله تعالى حكايةً عن مريم: ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا﴾ (٢) مريم: [٢٠].

﴿أَوْ تَفْرِضُوا﴾ أي: تَسْمُوا.

﴿لَهُنَّ فَرِيضَةٌ﴾ مهراً. نزلت في رجلٍ من الأنصار تزوج امرأةً من بني حنيفة، ولم يُسم لها مهراً، ثم طلقها قبل أن يمسهَا، فنزلت هذه الآية، فقال

(١) «بدن» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٣-١٨٤)، و«الكشف» لمكي (١/٢٩٧-٢٩٨)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/٢٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٨٢).

## جنة السنة

لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَتَّعَهَا، وَلَوْ بِقَلْنَسُوتِكَ»<sup>(١)</sup> وَنَفَى الْجُنَاحَ عَنِ الْمَطْلُوقِ؛  
لَأَنَّ الطَّلَاقَ مَكْرُوهٌ، وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ  
الطَّلَاقُ»<sup>(٢)</sup>. تَلْخِيصُهُ: لَا تَبِعَةَ عَلَيْكُمْ إِنْ أَرَدْتُمْ الطَّلَاقَ قَبْلَ الدَّخُولِ  
وَالْمَسِيْسِ، فَطَلَّقُوهُنَّ.

﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أَصْلُ الْمَتْعَةِ وَالْمَتَاعِ: الْبَلَاحُ؛ أَي: أَعْطَوْهُنَّ مَا يَتَبَلَّغْنَ  
وَيَنْتَفِعْنَ بِهِ.

﴿عَلَى الْتُوسِيعِ﴾ أَي: ذِي السَّعَةِ مِنْكُمْ.

﴿قَدَرُهُ﴾ أَي: بِقَدْرِ<sup>(٣)</sup> وَسُعِهِ.

﴿وَعَلَى الْمُقْتَرِ﴾ الضَّيِّقِ الْحَالِ.

﴿قَدَرُهُ﴾ بِقَدْرِ ضَيْقِهِ. قَرَأَ حَمْزَةً، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلْفٌ، وَابْنُ ذَكْوَانَ،  
وَأَبُو جَعْفَرٍ (قَدْرُهُ) بِفَتْحِ الدَّالِ فِيهِمَا، وَالْبَاقُونَ: بِسُكُونِهَا، وَهَمَا لُغَتَانِ<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/٢٤١)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر  
(٥٩٦/١).

(٢) رواه أبو داود (٢١٧٨)، كتاب: الطلاق، باب: في كراهية الطلاق، وابن ماجه  
(٢٠١٨)، كتاب: الطلاق، باب: حدثنا سويد بن سعيد، عن ابن عمر -  
رضي الله عنهما -.

(٣) في «ن»: «قدر».

(٤) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٤)،  
و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٨)، و«الكشف» لمكي (١/٢٩٨-٢٩٩)،  
و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (١/٢٤١)، و«التيسير»  
للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٤/٢٢٨)،  
و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية»  
(١/١٨٢).

﴿مَتَعًا﴾ نصبٌ على المصدر.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بما أمركم الله به من غيرِ ظلم.

﴿حَقًّا﴾ مصدرٌ حقٌّ.

﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ إلى المطلقاتِ بالتمتع، فمن تزوجَ امرأةً، ولم يفرضْ لها مهرًا، ثم طلقها قبلَ المسيسِ، فلها المتعةُ بالاتفاق، وإن طلقها قبلَ المسيسِ، وقد فرضَ لها، فلها نصفُ المفروض، ولا متعةُ لها بالاتفاق.

واختلف الأئمةُ في المطلقةِ بعدَ الدخول، فقال الشافعيُّ: تستحقُّ المتعةُ؛ لقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٤١]؛ لأن استحقاقها المهرَ بمقابلةِ ما أتلفَ عليها من منفعةِ البضعِ، فلها المتعةُ على وحشةِ الفراق.

وقال أبو حنيفةٌ ومالكٌ وأحمدٌ: لا متعةُ لها، واختلفوا في قدر المتعة، فقال أبو حنيفةٌ: مبلغها إذا اختلفَ الزوجانِ قدرُ نصفِ مهرِ مثلها لا يجاوز، وقال الشافعيُّ: يُستحبُّ ألا تنقصَ عن ثلاثين درهماً، فإن تنازعا، قدرها<sup>(١)</sup> القاضي بنظره معتبراً حالهما، وقال أحمدٌ: أعلاها خادمٌ، وأدناها كسوةٌ تجزئها الصلاةُ فيها، وقال مالكٌ: ليس لها حدٌّ محصور، وإنما يعطيها شيئاً يجري مجرى الهبةِ بحسبِ ما يحسنُ على قدرِ حاله من يُسرٍ وعُسْرِ.

\*\*\*

﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا

(١) في «ن» و«ت»: «قدره»، والتصويب من «ظ».



أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ  
بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ .

[٢٣٧] ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ﴾ أي: قبل الدخول .

﴿ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ أي: سميتم لهنَّ مهراً .

﴿ فَانصَبْ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ أي: فيجبُ عليكم نصفه، والمرادُ بالمسِّ: الجماعُ، وإن ماتَ أحدهما قبلَ المسيسِ، استقرَّ المهرُ كاملاً بالاتفاق، واختلفوا فيما إذا خلا الرجلُ بامرأته، ثم طلقها قبلَ المسيسِ، فقال أبو حنيفةٌ وأحمدُ: لها كمالُ المهرِ، وعليها العِدَّةُ، وقال الشافعيُّ: لها نصفُ الصِّدَاقِ، ولا عِدَّةَ عليها، وقال مالكٌ: عليها العِدَّةُ، ولها نصفُ المهرِ، فإن طال مقامُها معه، وقد تلذَّذَ بها وابتدلَّها، فلها جميعُ المهرِ<sup>(١)</sup>، وقد حدَّه ابنُ القاسمِ بالعام .

﴿ إِلَّا أَنْ يَعْفُو ﴾ أي: الزوجاتُ، وأصلُ العفو: التركُ؛ أي: إلا أن تتركَ المرأةُ نصيبَها، فيعودُ جميعُ الصِّدَاقِ إلى الزوج .

﴿ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ وهو الوليُّ عندَ مالكٍ، فيجوزُ عفوهُ إن كانتَ بكراً، أو غيرَ جائزةِ الأمرِ، وعندَ أبي حنيفةٍ وأحمدَ، والشافعيِّ في الجديد: هو الزوجُ، وقالوا - أعني الثلاثة - : لا يجوزُ لوليها تركُ شيءٍ من صِّدَاقِها، بكراً كانتَ أو ثيباً، كما لا يجوزُ له ذلكَ قبلَ الطلاقِ، بالاتفاق، وكما لا يجوزُ له أن يهبَ شيئاً من مالها . المعنى: تعفو المرأةُ بتركِ نصيبِها للزوج، ويعفو الزوجُ بصرفِ جميعِ الصِّدَاقِ إليها .

(١) «المهر» ساقطة من «ت» .

## جنة السنة

﴿ وَأَنْ تَعْفُوا ﴾ محلُّه رفعٌ بالابتداء؛ أي: والعفو.

﴿ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ أي: العفو أقربُ من أجلِّ التقوى، والخطابُ للرجال والنساء، معناه: ويعفو بعضكم عن بعض أقربُ للتقوى.

﴿ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ أي: لا تنسوا تفضلَ بعضكم على بعض بإعطاء الرجل جميعَ الصداق، وتركِ المرأة نصيبها منه.

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ خبرٌ في ضمنه الوعدُ للمحسن، والحرمانُ لغيره.

\*\*\*

﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [٢٣٨].

[٢٣٨] ﴿ حَفِظُوا ﴾ داوموا.

﴿ عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾ أي: المكتوبات بمواقيتها وحدودها.

﴿ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ وخصت بالذكر تفضيلاً، وهي العصر عند أبي حنيفة وأحمد؛ لما روي عن النبي ﷺ أنه قال يوم الخندق: «شغلونا عن صلاة الوُسْطَى صلاة العَصْرِ، مَلَأَ اللَّهُ أَجْوَاهَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا»<sup>(١)</sup>؛ ولأنها بين صلاتي نهارٍ وصلاتي ليلٍ، وقد خصها النبي ﷺ بالتغليظ.

وعند مالكٍ والشافعيِّ هي صلاةُ الفجر؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ

(١) رواه البخاري (٢٧٧٣)، كتاب: الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، ومسلم (٦٢٧)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، عن علي - رضي الله عنه - .

## جنة السنة

قَلْبَتَيْنِ ﴿ وَالْقَنُوتُ: طول القيام، وصلاةُ الصبحِ مخصوصةٌ بطولِ القيامِ، وبالْقَنُوتِ؛ ولأنَّها بينَ صلاتي جمعٍ، وهي لا تقصر ولا تُجمع إلى غيرها. ﴿ وَقَوْمُوا لِلَّهِ ﴾ في صلاتكم.

﴿ قَلْبَتَيْنِ ﴾ طائعين خاضعين، والقنوتُ في صلاة الصبحِ عندَ مالكٍ قبلَ الركوعِ سراً، وعند الشافعيِّ بعده جهراً، وسيأتي ذكر مذهبِ أبي حنيفةٍ وأحمدَ في القنوتِ في صلاةِ الوترِ في سورةِ الفجر - إن شاء الله تعالى - . وأصلُ القنوتِ: الطاعةُ، رُوِيَ عن زيدِ بنِ أرقمَ أنه قال: «كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ إِلَى أَنْ نَزَلَ: ﴿ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَلْبَتَيْنِ ﴾، فَأَمَرْنَا بِالسُّكُوتِ، وَنَهَيْنَا عَنِ الْكَلَامِ»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.  
[٢٣٩] ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ من عدوٍّ وغيره.

﴿ فِرْجَالًا ﴾ أي: فصلُّوا رجالاً، جمعُ راجِلٍ.  
﴿ أَوْ رُكْبَانًا ﴾ على دوابِّكم، جمعُ ركبٍ. المعنى: إن لم تتمكنكم الصلاةُ قانتين، فصلُّوا رجالاً وركباناً، وهذا في حال القتالِ والمُسايفةِ<sup>(٢)</sup> -

---

(١) رواه البخاري (١١٤٢)، كتاب: العمل في الصلاة، باب: ما ينهى من الكلام في الصلاة، ومسلم (٥٣٩)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة.  
(٢) في «ن»: «المسابقة».

## جنة السنة

أي: الضرب بالسيف<sup>(١)</sup> - يصلي حيث كان وجهه إلى القبلة وغيرها، يومئذ بالركوع والسجود على قدر الطاقة، ويجعل السجود أخفض من الركوع، وبذلك قال مالك والشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: لا يصلي ماشياً ولا مسائفاً إذا لم يمكن الوقوف، ولا ينقص عدد الركعات عندهم بالخوف، وسيأتي في سورة النساء بيان أقسام صلاة الخوف، وصفتها عقب تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْكٰفِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٠١].

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ أي: زال الخوف.

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي: صلوا الصلوات الخمس، واشكروه على

الأمين وأداء الصلاة.

﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾ من صلاة الخوف وغيرها.

﴿مَا لَمْ تَكُونُوا تَقْلَمُونَ﴾ ذكره.

\*\*\*

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْلَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[٢٤٠] ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ يا معشر الرجال.

﴿وَيَذُرُونَ﴾ يتركون.

﴿أَزْوَاجًا﴾ أي: زوجات.

﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وحفص:

(١) «أي: الضرب بالسيف» زيادة من «ظ».

## جنة السنة

(وَصِيَّةٌ) بالنصب؛ أي: يوصون وصيةً، والباقون: بالرفع؛ أي: فعلیهم وصية<sup>(١)</sup>.

﴿مَتَّعًا﴾ نصبٌ على المصدر؛ أي: مَتَّعُوهُنَّ متاعاً.

﴿إِلَى الْحَوْلِ﴾ أي: يوصي لها بنفقةٍ حولٍ كاملٍ، وهي مدَّةُ العِدَّةِ في ابتداء الإسلام.

﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ فإن خرجت من منزلٍ زوجها، سقطت نفقتها، ثم نسخ الحولُ بأربعة أشهرٍ وعشر، والنفقةُ بالميراث.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ من قِبَلِ أَنْفُسِهِنَّ.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميت.

﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾ يعني: التزوين والنكاح، ولرفع<sup>(٢)</sup> الجناح عن الرجالِ وجهان: أحدهما: لا جناحَ عليكم في قطع النفقةِ عنهنَّ إذا خرجنَ قبلَ انقضاءِ الحولِ، والآخرُ: لا جناحَ عليكم في تركِ منعِهِنَّ من الخروجِ؛ لأنَّ مقامها في بيتِ زوجها حولاً غيرُ واجبٍ عليها، خيَّرها الله تعالى بينَ أن تقيمَ حولاً، ولها النفقةُ والسُّكنى، وبينَ أن تخرجَ إلى أن نسختُ بأربعة أشهرٍ وعشرٍ.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢٧٤/١)، و«الحجة» لأبي زرة (ص: ١٣٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (١/٢٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٨٦).

(٢) في «ن»: «لدفع».

﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ راعي مصالحهم .

\*\*\*

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٢٤١﴾ .

[٢٤١] ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ ﴿ لما نزل ﴾ ﴿ وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ ﴾ ﴿ إلى ﴾ ﴿ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ قال رجلٌ من المسلمين: إن أحسنتُ فعلتُ، وإن لم أزدُ لم أفعلُ، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، وجعل الله المتعةَ لهنَّ بلام التمليك، ثم أكد ذلك بقوله:

﴿ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ للشرك، وتقدم ذكرُ الخلاف في الآية المتقدمة .

\*\*\*

﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٢٤٢﴾ .

[٢٤٢] ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ تفهمونها .

\*\*\*

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٢٤٣﴾ .

خرج جماعةٌ من قريتهم داوَرْدَانَ قَبْلَ واسط خوف الطاعون، فنزلوا وادياً أَفْيَحَ؛ أي: أوسع، فلما استقروا فيه، ماتوا جميعاً، وبقوا موتى ثمانية أيام، فسأل حزقيلاً النبيُّ فيهم ربِّه، فأحياهم فعاشوا بعد ذلك دهرأ

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢/٥٨٤)، عن ابن زيد .

## جنة السنة

لا يلبسون ثوباً إلا عادَ رَمِيماً كالكفن، قال ابنُ عباسٍ: «فإنها لتوجدُ اليومَ في ذلك السَّبَطِ من اليهودِ تلكَ الرِّيحُ»<sup>(١)</sup> فنزل تعجباً من حالهم:

[٢٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: تعلم؛ لأنها من رؤية القلب، وكذا كلُّ ما لم

يعاينُ.

﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ جمعُ أَلْفٍ، أي: جماعاتٌ كثيرةٌ، واختُلف في مبلغ عددهم، فورد فيه أقوال كثيرة، أولاها: قولٌ من قال: كانوا زيادةً على عشرة آلاف.

﴿حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ﴾ على لسان ملكٍ:

﴿مُوتُوا﴾، فماتوا، ثم عطف على قوله: ماتوا المقدِّرة قوله:

﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ ليعلموا أن لا فرارَ من القدر، وهذا تبيكيتٌ<sup>(٢)</sup> لمن يفرُّ

من قضاءِ الله المحتوم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ كافةً في الدنيا، وخاصةً على المؤمنين

في الآخرة.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ على ذلك، أما الكفارُ، فلم

يشكروا، وأما المؤمنون، فلم يبلغوا غايةَ شكره، ثم عطف ما بعد على

محذوفٍ مخاطباً للذين أحيوا، وتقديره: لا تحذروا الموت.

\*\*\*

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٥٨٧/٢).

(٢) في «ن»: «تنكيت».

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٢٤٤﴾ .

[٢٤٤] ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ في طاعته أعداءه .

﴿ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ بالضمائر . أمرهم أن يجاهدوا، هذا قول أكثر المفسرين ، وقيل : هو خطاب لهذه الأمة ، والله أعلم .

\*\*\*

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً  
وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْضُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٢٤٥﴾ .

[٢٤٥] ﴿ مَنْ ﴾ استفهام ابتداء .

﴿ ذَا ﴾ خبره .

﴿ الَّذِي ﴾ صفة الخبر ، وصلة الذي .

﴿ يُقْرِضُ اللَّهَ ﴾ ينفق في طاعته .

﴿ قَرْضًا ﴾ أي : إقراضاً .

﴿ حَسَنًا ﴾ حلالاً ، وأصل القرض لغة : القطع ؛ لأنه يقطع له من ماله شيئاً يعطيه ليرجع إليه مثله .

﴿ فَيُضَاعِفُهُ لَهُ ﴾ قرأ عاصم : (فَيُضَاعِفُهُ) بنصب الفاء ، وقرأ ابن عامر ، ويعقوب : (فَيُضَعِّفُهُ) بالتشديد ونصب الفاء ، وقرأ ابن كثير وأبو جعفر : (فَيُضَعِّفُهُ) بالتشديد وضم الفاء ، والباقون : (فَيُضَاعِفُهُ لَهُ) بالألف مخففاً وضم الفاء ، وهما لغتان ، فالقراءة بنصب الفاء على جواب الاستفهام ، وبالضم نسقاً على قوله . (يُقْرِضُ) <sup>(١)</sup> ، ودليل التشديد قوله :

(١) انظر : «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٧٦) ، و«الحجة» لأبي زرعة (ص : =



﴿ أضعافاً كثيرة ﴾ لأنَّ التشديدَ للتكثير، وهذا التضعيفُ لا يعلمُ عددهُ إلا اللهُ، وأصلُ التضعيفِ: أن يُزادَ على الشيءِ مثلهُ أو أمثالهُ. تلخيصه: مَنْ المعطي عبادَ الله من حلالِ مالهِ بطيبِ نفسٍ وغيرِ منتهٍ؟ فإنَّ الله يُثيبه على ذلك أفضلَ ثوابٍ.

﴿ وَاللَّهُ يَقْضُ بِإِمْسَاكِ الرِّزْقِ. ﴾

﴿ وَيَبْطِئُ ﴾ بتوسيعه على خلقه. قرأ خلفٌ لنفسه، وعن حمزة، والدورِيُّ عن أبي عمرو، وهشامٌ عن عامرٍ، ورؤيسٌ عن يعقوبَ: (وَيَبْطِئُ) بالسين؛ لأنها الأصل. وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، والكسائيُّ، والبيهقيُّ عن ابنِ كثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، وروحٌ عن يعقوبَ: بالصادِ إبدالاً من السين<sup>(١)</sup>، واختلَفَ عن قنبلٍ، والسوسيِّ، وابنِ ذكوانٍ، وحفصٍ، وخلاَّد، ورسمها بالصاد.

﴿ وَإِلَيْهِ ﴾ أي: إلى الله.

﴿ تَرْجَعُونَ ﴾ فيجازيكم.

= ١٣٨-١٣٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٤-١٨٥)، و«الكشف» لمكي (١/٣٠٠-٣٠١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (١/٢٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٨-٢٩١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٨٨-١٨٩).

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٧٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٦)، و«الكشف» لمكي (١/٢٠٣-٢٠٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (١/٢٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٨-٢٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٨٩).

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَآئِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ  
أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ  
عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ  
أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا  
مَنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ .

[٢٤٦] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَآئِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الملائكة من القوم: وجوهمهم  
وأشرافهم، وأصل الملائكة: الجماعة من الناس.  
﴿ مِنْ بَعْدِ ﴾ موت.

﴿ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ﴾ هو أشموئيل، ومعناه بالعبيرانية إسماعيل،  
مولده بقرية يقال لها: شيلوا، ويقال: إنها المشهورة يومئذ بالسيلة من  
أعمال نابلس، بعثه الله نبياً لما صار له أربعون سنة، فدبر بني إسرائيل،  
ولبثوا أربعين سنة بأحسن حال، وكان قوام أمر<sup>(١)</sup> بني إسرائيل بالاجتماع  
على الملوك، وكان ملوكهم يطيعون أنبياءهم، فظهر لهم عدو عظيم، وهم  
قوم جالوت، وهم العمالقة، كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر  
وفلسطين، فظهروا على بني إسرائيل، وغلبوا على كثير من أرضهم، وسبوا  
منهم، وأسروا، فقالوا النبيهم أشموئيل:

﴿ أَبْعَثْ ﴾ أي: آثر وأرسل.

﴿ لَنَا مَلِكًا ﴾ أي: معنا سلطاناً يتقدمنا.

﴿ نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فلما قالوا له ذلك.

(١) «أمر» ساقطة من «ت».

﴿ قَالَ ﴾ لهم:

﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ ﴾ استفهامٌ شكٌّ، يقول: لعلكم. قرأ نافعٌ: (عَسَيْتُمْ) بكسر السين؛ كخشيتم، والباقون: بالفتح كرميتم، وهي اللغة الفصيحة<sup>(١)</sup>.

﴿ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾ مع ذلك الملك.

﴿ أَلَا ﴾ تقوموا بما تقولون، ولا ﴿ نُقَاتِلُوا ﴾ معه. تلخيصه: أنتم جناءٌ عن القتال، فكيف تقاتلون؟ فتمّ استفهموا منكرين، و:

﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ المعنى: أي عذر لنا في ترك الجهاد.

﴿ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴾ المعنى: أُخرج بعضنا؛ لأن القائلين كانوا في ديارهم.

﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا ﴾ أعرضوا عن الجهاد، وضيّعوا أمر الله.

﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ وهم الذين عبّروا النهر مع طالوت، واقتصروا على الغرّة، وكانوا ثلاث مئة رجلٍ وثلاثة عشر رجلاً كأهل بدرٍ، ثم تهدّدهم فقال:

﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ بترك الجهاد.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٢٧)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٧)، و«الكشف» لمكي (١/٣٠٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (١/٢٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٩٠).

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ .

[٢٤٧] ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ وكان طالوتُ اسمه بالعبرانية شاولُ بنُ قيس من سبطِ بنيامين، ولم يكن من أعيانهم، قيل: كان راعياً، وقيل: سقّاء، وقيل: دَبّاغاً، فلما عرّفهم نبيّهم أن طالوتَ ملكهم .

﴿ قَالُوا ﴾ منكرين :

﴿ أَنَّى ﴾ أي : كيف .

﴿ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا ﴾ وليس من بيتِ الملك؛ لأن الملكَ كان في سبطِ يهوذا بنِ يعقوبَ، والنبوة في سبطِ لاوي بنِ يعقوب .

﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ﴾ لأنه فقيرٌ .

﴿ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً ﴾ أي : كثرةً .

﴿ مِنَ الْمَالِ ﴾ تلخيصه : بعيدٌ تملكه علينا؛ لعدم استحقاقه للملكِ لوجود مستحقّه، وفقره، فثم ﴿ قَالَ ﴾ نبيّهم راداً عليهم :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ ﴾ اختارهُ .

﴿ عَلَيْنَا ﴾ وزادهم نفلهُ .

﴿بَسْطَةً﴾ سَعَةً .

﴿فِي الْعِلْمِ﴾ بالحرب .

﴿وَالْجَسْرُ﴾ بالطول، قيل: سُمِّيَ طالوتَ لَطولِهِ، وكان أعلمَ بني إسرائيلَ بالحرب، وأطولَ من كلِّ إنسانٍ برأسه ومنكبه، وكان أجملَ رجلٍ في بني إسرائيلَ .

﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾ لأنه مختصُّ بالملكِ .

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ ذو السعة .

﴿عَلِيمٌ﴾ بما يصنع .

ثم قالوا النبيهم: فما آيةُ ملكه؟ فأجابهم:

\*\*\*

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آدَمُ وَنُوحٌ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٤٨﴾ .

[٢٤٨] ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ وهو صندوقُ التوراة، ومن قصته أن الله أنزلَ تابوتاً على آدمَ من خشبِ الشَّمشارِ نحواً من ثلاثة أذرعٍ في ذراعين، فكان عندَ آدمَ، ثم عندَ شيثٍ، ثم توارثه أولادُ آدمَ إلى أن بلغَ إبراهيمَ، ثم كانَ عندَ إسماعيلَ، ثم عندَ يعقوبَ، ثم كانَ في بني إسرائيلَ إلى أن وصلَ إلى موسى، فكان موسى

## جنة السنة

يضعُ فيه التوراة، ومتاعاً من متاعه إلى أن مات، ثم تداوله أنبياءُ بني إسرائيل، وكان كما ذكر<sup>(١)</sup> الله تعالى:

﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي: طمأنينة وحكمة؛ لأنهم كانوا يسكنون إليه أينما كان، وإذا حضروا القتال، قَدَّموه بين أيديهم يَسْتَنْصِرُونَ به، وقيل: كان فيه شيءٌ كراس الهرة إذا سمعوا صوته أيقنوا بالنصر، وإذا اختلفوا في شيء، تكلم وحكم بينهم.

﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ ﴾ أي: موسى وهارون نفسهما، وكان فيه لوحان من التوراة، ورضاض المنكسر من ألواحها، وعصا موسى ونعلاه، وعمامة هارون، وخاتم سليمان، وقفيز من المن الذي أنزل على بني إسرائيل.

﴿ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ قال ابن عباس: «جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض، وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت، فأقروا بملكه، قال ابن عباس: التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية يخرجان قبل يوم القيامة<sup>(٢)</sup>».

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّعِبْرَةٍ ﴾

﴿ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ فلما رأوا التابوت، أيقنوا بالنصر، فتسارعوا إلى الجهاد، فقال طالوت: لا أبتغي إلا الشابَّ النشط الفارع<sup>(٣)</sup>، فاجتمع له ثمانون ألفاً من شرطه.

(١) في «ت»: «ذكره».

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٦٠٩/٢).

(٣) في «ن» و«ت»: «الفارع».

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا اللَّهَ كَمَ مِّنْ فَتْنَةٍ قَلِيلَةٌ غَلَبَتْ فِتْنَةَ كَثِيرَةٍ يَا ذَنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ .

[٢٤٩] ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ ﴾ أي : خرج من بيت المقدس .

﴿ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ﴾ وكان حراً شديداً، فشكوا قلة الماء بينهم وبين عدوهم .

﴿ قَالَ ﴾ طالوت .

﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ ﴾ مختبركم ليرى طاعتكم، وهو أعلم .

﴿ بِنَهَرٍ ﴾ هو الأزدن نهر الشريعة شرقي بيت المقدس، وقيل غيره .

﴿ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ ﴾ أي : كرع فيه .

﴿ فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ أي : من أتباعي وأهل ديني .

﴿ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ ﴾ لم يذقه .

﴿ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب: (مِنِّي إِلَّا<sup>(١)</sup>) بسكون الياء، وقرأوا أيضاً:

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٧٩)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٩)، و«الكشف» لمكي (١/٣٠٣-٣٠٤)، و«تفسير البغوي» (١/٢٥٩)، =

## جنة السنة

(غُرْفَةٌ) بضم الغين، وافقهم ابن كثير في (مِنِّي إِلَّا). والغرفة بالضم: اسم لما يحصل في كف الغارف، وبالفتح: الاغتراف. تلخيصه: الغرفة مباحة لكم دون الشرب منها، وكانت الغرفة تكفي الرجل لشربه ودوابه.

﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ استثناء من (فَشَرِبُوا)، والقليل الذين لم يشربوا كانوا ثلاث مئة وبضعة عشر على الصحيح، فمن اغترف غرفة كما أمر الله قوي قلبه، وصح إيمانه، وعبر النهر سالماً، والذين شربوا وخالفوا أمر الله، اسودت شفاههم، وغلبهم العطش، وجبئوا عن لقاء العدو، فلم يجاوزوا، ولم يشهدوا الفتح.

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ ﴾ يعني: النهر.

﴿ هُوَ ﴾ يعني: طالوت.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ يعني: القليل.

﴿ قَالُوا ﴾ يعني: الذين شربوا، وخالفوا أمر الله، وكانوا أهل شك

ونفاق:

﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ فانحرفوا ولم يجاوزوا.

﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴾ يستيقنون.

﴿ أَنَّهُمْ مُّلْكُوا اللَّهَ ﴾ وهم من ثبت مع طالوت.

﴿ كُمْ مِّنْ فِتْنَةٍ ﴾ طائفة.

= و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٩٢).



﴿ قَلِيلَةٌ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَا ذَنْ لَآلِهٍ ﴾ بقضاء الله (١) وإرادته .

﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ بالنصر والمعونة (٢) .

\*\*\*

﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا  
وَتَكَيْتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٢٥٠﴾ .

[٢٥٠] ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا ﴾ يعني : طالوت وجنوده المؤمنين .

﴿ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ المشركين ، ومعنى برزوا : أي : صاروا في براز  
من الأرض ، وهو الفضاء .

﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ ﴾ أنزل .

﴿ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَكَيْتْ أَقْدَامَنَا ﴾ قلوبنا .

﴿ وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ كان جالوت من جبابرة (٣)  
الكنعانيين من العماليق من ولد عمليق بن عاد ، وكان ملكه (٤) بجهات  
فلسطين ، وكان من الشدة وطول القامة بمكان عظيم ، فلما تصافوا ، قال  
جالوت لجالوت : إما أن تبرز إلي ، أو تبرز إلي أحداً ، فإن قتلني ،  
استحوذت على ملكي ، وإن قتلته ، استحوذت على ملكك ، فخافه جالوت ؛  
لأنه كان يهزم الجيوش وحده ، وكان في بيضته ثلاث مئة رطل حديد .

(١) في «ش» : «بقضائه» .

(٢) في «ن» : «والعون» .

(٣) في «ن» : «جبابرة» .

(٤) في «ش» : «ملكهم» .

﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَتْهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

[٢٥١] ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ وكان من خبرهم أنهم لما برزوا للقتال، طلب طالوت داود - عليه السلام -، وكان أصغر بني أبيه، وكان عمره ثلاثين سنة، وأمره بمبارزة جالوت بعد أن رأى فيه العلام التي يستدل بها على أنه هو الذي يقتل جالوت، وهي دهنٌ كان يستدير على رأس من يكون فيه السر، وأحضر أيضاً تنوراً حديداً، وقال: الشخص الذي يقتل جالوت يكون ملء هذا التنور، فلما اعتبر داود ملأ التنور، واستدار الدهن على رأسه، فلما تحقق ذلك منه بالعلامة، أمره طالوت بمبارزة جالوت، فبارزه.

﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ بثلاثة أحجار كانت في مخلاة، وهو متقلداً بها، وأخذ مقلعاً بيده، وكان جالوت على فرسٍ أبلق عليه السلاح التام، فلما نظر إلى داود، ألقى في قلبه الرعب، فقال له: أنت تبرز إلي؟ قال: نعم، قال: فأتيتني بالمقلع والحجر كما يؤتى الكلب؟ قال: نعم، أنت شرٌّ من الكلب، قال: لا جرم لأقسمن لحمك بين سباع الأرض وطير السماء، قال داود: أو يقسم الله لحمك، فقال داود: باسم الله إله إبراهيم، وأخرج حجراً، ثم أخرج الثاني، فقال: باسم الله إله إسحق، ووضعهُ في مقلعه، ثم أخرج الثالث وقال: باسم الله إله يعقوب، ووضعهُ في مقلعه، فصارت كلها حجراً واحداً، ودور المقلع ورمى به، فسخر الله له الريح حتى أصاب

## جنة السنة

الحجر أنف البيضة، فخالط دماغه، وخرج من قفاه، وقتل من ورائه ثلاثين رجلاً، وهزم الله الجيش، وخرّ جالوت قتيلاً، فأخذه يجرّة<sup>(١)</sup> حتى ألقاه بين يدي طالوت، وفرح المسلمون فرحاً شديداً، وانصرفوا إلى المدينة سالمين، ثم بعد ذلك مات أشموئيل وله اثنتان وخمسون سنة، فدفنه بنو إسرائيل في الليل، وناحوا عليه، وقبره بقريّة ظاهر بيت المقدس من جهة الشمال على الطريق السالك إلى رملة فلسطين على رأس جبل، وهو مشهور، واسم القرية عند اليهود رامّة، وأهل الإسلام يسمونها باسم النبي المشار إليه، وتزوج داود ابنة طالوت، وأحبّه الناس، ومالوا إليه، فحسده طالوت، وقصد قتله مرة بعد أخرى، فهرب داود منه، وبقي داود متحرّزاً على نفسه، ثم ندم طالوت على ما كان منه من قصد قتل داود، وتاب إلى الله، ثم إن طالوت قصد فلسطين للغزاة، وقاتلهم حتى قُتل هو وأولاده، وانتقل الملك إلى داود - عليه السلام - .

﴿وَأَتَاكَ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني: النبوة، ولم تجتمع السلطنة والنبوة لأحدٍ قبل داود، بل كان الملك في سبط، والنبوة في سبط.

﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ من صنعة الدروع، فكان يصنعها ويبيعها، ولا يأكل إلا من عمل يده، ومنطق الطير والصوت الطيب والألحان، فلم يُعط الله أحداً من خلقه مثل صوته، كان إذا قرأ الزبور، تدنو الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها، وتظّل الطير، ويركد الماء الجاري، ويسكن الريح، وسيأتي ذكر داود - عليه السلام - ووفاته في أواخر سورة النساء - إن شاء الله

(١) في «ن»: «وجرّه».

## جنة السنة

تعالى -. قرأ أبو عمرو: (وَقَتَلَ دَاوُدَ جَالُوتَ) بإدغام الدال في الجيم<sup>(١)</sup>.

﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ ﴾ أصلُ الدَفْعِ: صرفُ الشيء، والمعنى: لولا أن يصرف الله.

﴿ النَّاسَ بَعْضَهُمْ ﴾ أي: المفسدين.

﴿ بِيَبَعِضٍ ﴾ بالمؤمنين. قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب: (دِفَاعٌ) بألف، والباقون: بغير ألف<sup>(٢)</sup>؛ لأن الله تعالى لا يُغالبه أحدٌ، وهو الدافعُ وحده، ومن قرأ بالألف قال: قد يكونُ الدافعُ من واحد، مثل قولِ العرب: أحسنَ الله عنكَ الدِّفاعَ.

﴿ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ بقتل المسلمين، وظهور الفساد، قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ - عز وجل - لَيَدْفَعُ بِالْمُسْلِمِ الصَّالِحِ عَنْ مِئَةِ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِهِ»<sup>(٣)</sup>.

﴿ وَلا كِنَّ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾.

(١) انظر: «الإتقان» للسيوطي (١/١١٢)، النوع الحادي والثلاثون.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٧٩)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٩)، و«الكشف» لمكي (١/٣٠٤-٣٠٥)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (١/٢٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٩٣).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢/٦٣٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/٤٠٣)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/٣٨٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٠٨٠)، وغيرهم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - بإسناد ضعيف.

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ  
الْمُرْسَلِينَ ﴾ [٢٥٢].

[٢٥٢] ﴿ تِلْكَ ﴾ أي: الأخبارُ المذكورةُ.

﴿ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾.

\*\*\*

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ  
دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ  
اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا  
فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا  
يُرِيدُ ﴾ [٢٥٣].

[٢٥٣] ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ ﴾ المذكورةُ قِصَصُهَا.

﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﴾ يعني: موسى - عليه السلام - .  
﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ يعني: محمداً ﷺ، ولم يصرِّحْ بِاسْمِهِ تَفْخِيماً  
له. المعنى: إنه ساوى الأنبياء في فضلهم، وفضل عليهم بأشياء كثيرة،  
منها: أنه بُعث إلى الأحمر والأسود، وأُحِلَّتْ له الغنائم، وغير ذلك -  
صلواتُ الله عليه وعليهم أجمعين - .

﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ قرأ ابنُ كثير:  
(القدس) بإسكانِ الدال (١).

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية»  
(١/١٩٤).

## جنة السنة

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ أي : من بعد الرسل .

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَفَوْا ﴾ في دينهم .

﴿ فَمِنْهُمْ ﴾ أي : الذين بقوا بعد الرسل .

﴿ مَنْ ءَامَنَ ﴾ ثَبَّتَ عَلَى إِيمَانِهِ .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ﴾ ارتدَّ .

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا ﴾ كَرَّرَهُ تَأْكِيدًا .

﴿ وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ يُوَفِّقُ مَنْ يَشَاءُ فَضْلًا ، وَيَخْذُلُ مَنْ يَشَاءُ عَدْلًا .

\*\*\*

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [٢٥٤] .

[٢٥٤] ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ هي الزكاة المفروضة .

﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ ﴾ أي : لا فداء فيه ؛ لأن الفداء شراء

نفسه . قرأ أبو عمرو : ( أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ ) بإدغام الياء في الياء (١) .

﴿ وَلَا خُلَّةٌ ﴾ لا صداقة .

﴿ وَلَا شَفْعَةٌ ﴾ إلا بإذن الله . قرأ نافع ، وابن عامر ، وأبو جعفر ، وعاصم ،

وحمزة ، والكسائي ، وخلف : ( لَا بَيْعٌ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ) بالرفع والتنوين ،

والباقون : كلُّها بالنصب (٢) . تلخيصه : تأهبوا للحساب قبل الموت .

(١) انظر : «الإتقان» للسيوطي (١/١١١) ، النوع الحادي والثلاثون .

(٢) انظر : «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٨٢) ، و«الحجة» لأبي زرعة (ص :

١٤٨) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ١٨٧) ، و«الحجة» لابن خالويه (ص : =

﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بوضعهم العبادة في غير محلها.

\*\*\*

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [٢٥٥].

[٢٥٥] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هي أعظم آية في كتاب الله، قال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّ لَهَا لَلِلسَانَ وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ الْمَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ»<sup>(١)</sup> «مَنْ قَرَأَهَا حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ، وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ حَافِظًا، وَلَا يَقْرُبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ»<sup>(٢)</sup>.

﴿الْحَيُّ﴾ الذي لا يلحقه الفناء ولا يموت.

﴿الْقَيُّومُ﴾ القائم بتدبير خلقه.

= (٩٩)، و«الكشف» لمكي (١/٣٠٥-٣٠٦)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/٢٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٩٤).

(١) رواه مسلم (٨١٠)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، والإمام أحمد في «المسند» (٥/١٤١)، عن أبي بن كعب - رضي الله عنه -، وهذا لفظ أحمد.

(٢) رواه البخاري (٤٧٢٣)، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل سورة البقرة، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

## جنة السنة

﴿تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾ هي النعاسُ، وهي أولُ النومِ. قرأ الكسائي (سِنَّةً) بِإِمَالَةِ النُّونِ حَيْثُ وَقَفَ عَلَى هَاءِ التَّأْنِيثِ.

﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ هو غَشِيَةٌ ثَقِيلَةٌ تَقَعُ عَلَى الْقَلْبِ، فَتَمْنَعُهُ مَعْرِفَةَ الْأَشْيَاءِ. تلخيصُه: هو منزلةٌ عن جميع التغيرات.

﴿لَمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لأنه خلقها بما فيهما.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ﴾ لأن أحداً لا يقدرُ على الكلامِ يومَ القيامةِ. قرأ أبو عمرو (يَشْفَعُ عِنْدَهُ) بِإِدْغَامِ الْعَيْنِ الْأُولَى فِي الثَّانِيَةِ، وَ(يَعْلَمُ مَا) بِإِدْغَامِ الْمِيمِ فِي الْمِيمِ<sup>(١)</sup>.

﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ بأن يأذن في الكلام والشفاعة لمن شاء فيمن شاء.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بين أيدي ما فيهما، والمراد: ما وُجِدَ قَبْلَ خَلْقِ مَا فِيهِمَا؛ كَالْمَلَائِكَةِ.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما يوجدُ بعد ما فيهما. قرأ يعقوبُ: (أَيْدِيهِمْ) بِضَمِّ الْهَاءِ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو جَعْفَرٍ: (أَيْدِيهِمْو) وَاخْتَلَفَ عَنِ الْقَالُونَ (وَمَا خَلْفَهُمْ) كَذَلِكَ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ أي: من معلوماته.

﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ مِمَّا<sup>(٣)</sup> أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُلَ.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُرْسِيُّهُ: عِلْمُهُ<sup>(٤)</sup>، وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ

(١) انظر: تفسير الآية (٤) من سورة الفاتحة، والقراءة ثمة.

(٢) انظر: الآية (٧) من سورة الفاتحة.

(٣) في «ن»: «فيما».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/٣).



## جنة السنة

العرشُ نفسه<sup>(١)</sup>، وقال ابنُ عطية<sup>(٢)</sup>: والذي تقتضيه الأحاديثُ أن الكرسيَّ مخلوقٌ عظيمٌ بينَ يَدَيِ العرشِ، والعرشُ أعظمُ منه، قال أبو ذرٍّ - رضي الله عنه -: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ»<sup>(٣)</sup> ومعنى قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: سعةٌ مثلُ سعةِ السمواتِ والأرضِ في العظم.

﴿وَلَا يَتُودُّهُ﴾ لا يُثقلُهُ، ولا يَشُقُّ عليه.

﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي: حفظُ السماواتِ والأرضِ.

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ المتعالي عن الأشباهِ والأندادِ.

﴿الْعَظِيمُ﴾ الذي ليسَ شيءٌ أعظمَ منه.

\*\*\*

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢٥٦)</sup>.

[٢٥٦] ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ نزلت في أهلِ الكتابِ إذا قبلوا الجزيةَ، وذلك أن العربَ كانت أمةً واحدةً<sup>(٤)</sup> أُمِيَّةً، فلم يكن لهم كتابٌ، فلم يُقبل منهم إلا الإسلامُ، فأسلموا طوعاً أو كرهاً، فلما أنزل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/٣).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٣٤٢/١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٨٧/٢).

(٤) «واحدة» زيادة من «ن».

## جنة السنة

أُمِرَ بِقِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا أَنْ يُسَلِّمُوا، أَوْ يُقَرِّئُوا بِالْجِزْيَةِ، فَمَنْ أَعْطَى مِنْهُمْ الْجِزْيَةَ، لَمْ يُكْرَهْ عَلَى الْإِسْلَامِ<sup>(١)</sup>، وَيَأْتِي ذِكْرُ حُكْمِ الْجِزْيَةِ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - .

﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ ﴾ الْحَقُّ .

﴿ مِنْ أَلْفِي ﴾ الضلال . المعنى : ظهرَ الإيمانُ من الكفرِ بالدلائل الواضحة .

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ﴾ وهو ما عُبدَ من دونِ الله .

﴿ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ ﴾ أي : تمسك واعتصم .

﴿ بِالْعُرْوَةِ ﴾ بالعقدِ الثابتِ والحُجَّةِ .

﴿ الْوُثْقَى ﴾ المحكِّمةِ الموصلةِ إلى رضا الله تعالى .

﴿ لَا أَنْفِصَامَ ﴾ لا انقطاع .

﴿ لَهَا ﴾ وأصل الفِصْمُ : انصداعٌ من غيرِ فصلٍ .

﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لدعائك إياهم إلى الإسلام .

﴿ عَلِيمٌ ﴾ بحرصك على إيمانهم .

\*\*\*

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٤٣)، و«تفسير البغوي» (١/٢٧٢)، و«العجاب» لابن حجر (١/٦١٤).

[٢٥٧] ﴿اللَّهُ وَلِيُّ﴾ أي : ناصرٌ .

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ومُغِيثُهُمْ .

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي : الكفرِ .

﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمانِ .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني : اليهودَ .

﴿أَوْلِيَآ وَهُمْ الظُّلُمَاتُ﴾ كعب بن الأشرفِ وأصحابه .

﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ﴾ الإيمانِ بمحمدٍ ﷺ .

﴿إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ الكفرِ به ؛ بأن أنكروه ، ومنعوا من اتباعه .

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وعيد وتحذيرٌ .

\*\*\*

﴿الَّذِي تَرَى إِلَى اللَّهِ حَاجًّا إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ  
إِبْرَاهِيمَ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ  
يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا  
يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ .

[٢٥٨] ﴿الَّذِي تَرَى إِلَى اللَّهِ حَاجًّا﴾ المعنى : هل انتهى إليك خبرُ الذي

خاصمَ وجادلَ .

﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ وهو نمرودُ بنُ كنعانِ بنِ كوشِ بنِ سامِ بنِ نوحِ ،

وهو أولُ من وضعَ التاجَ على رأسه ، وتجبَّرَ في الأرض ، وادَّعى رُبوبيَّةَ .

﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ والعاملُ في (أن) حاجٌّ ، تقديره : حاجٌّ لأنَّ

أعطاه الله الملكَ ، فظنني ، فكانت المحاجةُ من بطرِ الملكِ وطغيانه ، قال

## جنة السنة

مجاهد: ملك الأرض مؤمنان: سليمان بن داود<sup>(١)</sup>، وذو القرنين، وكافران: نمرود ويُخْتَصَرُ.

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ ظرفٌ لـ«حاجٍ»، وهذا جوابٌ سؤالٍ غيرٍ مذكورٍ، قال له: من ربُّكَ؟ قال:

﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ قرأ حمزة: (رَبِّي الَّذِي) بإسكانِ الياء، والباقون: بفتحها<sup>(٢)</sup>.

﴿قَالَ﴾ نمرود:

﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ فعمدَ إلى رجلين، فقتلَ أحدهما، وتركَ الآخرَ، فجعلَ تركَ القتلِ إحياءً. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (أَنَا أُحْيِي) بالمدِّ في هذا الحرف وشبهه حيثُ وقع<sup>(٣)</sup>. فانتقلَ إبراهيمُ إلى حجَّةٍ أخرى، لا عجزاً؛ فإنَّ حُجَّتَهُ كانت لازمةً؛ لأنه أرادَ بالإحياءِ إحياءَ الميتِ، فكان له أن يقولَ: فَأَحْيِي مَنْ أَمَتَّ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا، فانتقلَ إلى حجَّةٍ أوضحَ من الأولى.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ أي: تَحَيَّرَ وَدُهَشَ.

(١) «بن داود» زيادة من «ن».

(٢) انظر: «الكشف» لمكي (١/٣٣٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/٢٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٩٧).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٨٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٨)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/٢٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٩٧).

﴿ الَّذِي كَفَرَ ﴾ وانقطعت حُجَّتُهُ .

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ أَنفَسَهُمْ بَعْدَ قَبُولِ الْهَدَايَةِ ، وَفِي انْتِقَالِ إِبْرَاهِيمَ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الْانْتِقَالِ مِنْ دَلِيلٍ إِلَى دَلِيلٍ .

\*\*\*

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ .

[٢٥٩] ﴿ أَوْ كَالَّذِي ﴾ هذه الآية منسوقة<sup>(١)</sup> على الآية الأولى ، تقديره :

ألم تر إلى الذي حجَّ إبراهيم ، أو إلى الذي .

﴿ مَرَّ ﴾ هو أرميا النبي - عليه السلام - على الأصحَّ ، وقيل : هو عَزْرير - عليه السلام - .

﴿ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾ هي بيت المقدس حين خَرَبَتْ بُخْتَ نَصَّرَ مَلِكُ بَابِلَ بِالْعِرَاقِ<sup>(٢)</sup> .  
﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ ﴾ ساقطة .

﴿ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ سقوفها ، معناه : أن السقوف سقطت ، ثم وقعت الحيطان عليها . وملخصُ القصة على اختلافٍ فيها أن أرميا - عليه السلام -

(١) في «ن» : «مسبوقة» .

(٢) في «ن» : «العراق» .

كان في أيام صدقيا آخر ملوك بني إسرائيل، وكانوا قد أحدثوا المعاصي والطغيان، ونقضوا التوبة، فبقي أرميا يعظهم ويهددهم ببخت نصر عامل لهراسف على بابل، ولهراسف هو ملك فارس، وهم لا يلتفتون إلى وعظه، وكان أرميا قد رأى بخت نصر قديماً وهو<sup>(١)</sup> صبي أقرع، وراه يأكل ويتغوط ويقتل القمل، فقال له: ما هذا؟ فقال: أذى يخرج، ومنفعة تدخل، وعدو يقتل، فقال له: سيكون لك شأن، فأخذ أرميا من بخت نصر أماناً لبيت المقدس ومن فيه، وكتب له الأمان في جلد، فلما صار الملك إلى بخت نصر، عصى عليه صدقيا، فقصده بخت نصر بيت المقدس، فلما بلغ سهل الرملة، وأعلم أرميا بذلك، سار إليه، وأعطاه الأمان، فنظره وقال: هو أمني، ولكني مبعوث، وقد أمرت أن أرمي بسهمي، فحيث وقع سهمي، طلبت الموضوع، فرمى بسهم فوق في قبة بيت المقدس، فرجع أرميا إلى أهل القدس، وأخبرهم بذلك، وفارقهم، واختفى، ثم سار<sup>(٢)</sup> بخت نصر بالجيش، وكان معه ست مئة ألف راية، ودخل بيت المقدس بجنوده، ووطىء الشام، وقتل بني إسرائيل، وأسّر منهم، وسبى ذراريهم، وخرّب بيت المقدس، وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً، ثم يقذفه في بيت المقدس، ففعلوا حتى ملؤوه، وبين تخريب بيت المقدس على يد بخت نصر والهجرة النبوية الشريفة ألف وثلاث مئة وخمسون سنة، فكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزلها الله ببني إسرائيل بظلمهم بعد أن لبث

(١) في «ت»: «وهي».

(٢) في «ن»: «وسار».

## جنة السنة

بيت المقدس على العمارة السلّيمانية أربع مئة وثلاثاً وخمسين سنة، ثم إن الله أوحى إلى أرميا أني عامرٌ بيت المقدس، فأخرج إليها، فخرج أرميا، وقدم إلى القدس وهي خرابٌ، فلما رآها.

﴿ قَالَ أَنِّي ﴾ أي : كيف .

﴿ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ قاله تعجباً لا شكّاً بالبعث، ثم وضع رأسه فنام .

﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ ﴾ ألبته ميتاً .

﴿ مِائَةَ عَامٍ ﴾ فلما مضى من موته سبعون سنة، وهي مدة لبث بيت المقدس على التخريب، أرسل الله ملكاً إلى ملك من ملوك الفرس اسمه كورس، وكان مؤمناً، وأمره بعمارة بيت المقدس، فعمره، وعاد إليه بنو إسرائيل، وعمروها ثلاثين سنة، وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه، وأهلك الله بخت نصرَ ببعوضةٍ دخلت في دماغه، ولما أمات الله أرميا، كان معه حماره وسلّة فيها طعام، وهوتين وركوة فيها عصير عنب .

﴿ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ أي : أحياه، وعمر الله أرميا، فهو الذي يرى في الفلوات، وبعثه الله على السن الذي توفاه عليه بعد مئة سنة، وهو أربعون سنة، ولاينه عشر ومئة، ولابن ابنه تسعون، وأنشد في ذلك :

وَأَسْوَدَ رَأْسٍ شَابَ مِنْ قَبْلِهِ ابْنُهُ  
وَمِنْ قَبْلِهِ ابْنُ ابْنِهِ فَهُوَ أَكْبَرُ  
تَرَى ابْنَ ابْنِهِ شَيْخاً يَأْبُ عَلَى عَصَا  
وَلِخَيْتِهِ سَوْدَاءُ وَالرَّأْسُ أَشْقَرُ  
وَمَا لِابْنِهِ حَيْلٌ وَلَا فَضْلُ قُوَّةٍ  
يَقُومُ كَمَا يَمْشِي الصَّبِيُّ فَيَعْتَرُ  
يَعُدُّ ابْنَهُ فِي النَّاسِ تِسْعِينَ  
حِجَّةً وَعِشْرِينَ لَا يَجْرِي وَلَا يَنْحَيْرُ

## جنة السنة

وَعُمُرُ أَبِيهِ أَرْبَعُونَ أَمْرَهَا  
وَلَا بَيْنَ ابْنِهِ فِي النَّاسِ تَسْعُونَ غُبْرًا  
فَمَا هُوَ فِي الْمَعْقُولِ إِنْ كُنْتَ دَارِيًّا  
وَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَبِالْجَهْلِ تُعَذَّرُ<sup>(١)</sup>  
فلما بعثه الله ﴿ قَالَ ﴾ له ملكٌ :

﴿ كَمْ لَبِثْتُ ﴾ مَيْتًا .

﴿ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا ﴾ لأنه كان قد مات أول النهار، وأحياه الله بعد مئة عام  
أخِرَ النهارِ قَبْلَ غَيْبِوَةِ الشَّمْسِ ، فلما رأى بقية من الشمس قال :  
﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ قَالَ ﴿ له الملكُ :

﴿ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ، وخلفٌ،  
(لَبِثْتُ لَبِثْتُمْ) حيثُ وقعَ بالإظهار، والباقون بالإدغام<sup>(٢)</sup>، وقرأ أبو جعفرٍ  
(مِئَةً، ومِئَتَيْنِ، وَفِئَةً، وَفِئَتَيْنِ) حيثُ وقعَ بغيرِ همزٍ<sup>(٣)</sup> بخلافِ عنه .  
﴿ فَأَنْظِرْ إِلَى طَعَامِكَ ﴾ التين .

﴿ وَشَرَابِكَ ﴾ العصير .

﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ يتغيرُ، كأنه لم يأتِ عليه السنون . قرأ حمزةٌ،  
والكسائيُّ، ويعقوبُ، وخلفٌ: (يَتَسَنَّ) بغيرِ هاءٍ في الوصل، فمن أسقط  
الهاء جعلها صلةً زائدةً، وقال: أصلُه (لم يَتَسَنَّيْ)، فحذفَ الياءَ للجزم،

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢٥/٤٠).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢٨٤/١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص:

١٨٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص:

١٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩٨/١).

(٣) «همز» ساقطة من «ش».



## جنة السنة

وأبدل منه هاءً في الوقف، ومن أثبت الهاء، جعلها أصليةً للام الفعل<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ فنظر، فإذا عظامٌ بيضٌ، فركبَ الله العظامَ بعضها على بعض، وكساهُ اللحمَ والجلد، وأحياه وهو ينظر. تقديره: أريناك ذلك لتعلم قدرتنا. قرأ أبو عمرو، وورش، والدوريُّ عن الكسائيِّ، وابنُ ذكوان عن ابنِ عامرٍ: (حِمَارِكَ) و(الحمار) بالإمالة حيثُ وقع<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: عبرةً ودلالةً على البعثِ بعد الموت.

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ قرأ عاصمٌ، وحمزة، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ: (نُنشِزُهَا) بالزاي المعجمة؛ أي: نرفعها من الأرض ونردُّها إلى مكانها من الجسد، يقال: نشزته فنشز؛ أي: رفعته فارتفع، والباقون: بالراء المهملة، معناه: نُحييها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشُرُوهُ﴾<sup>(٣)</sup> [عبس: ٢٢].

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٠)، و«الكشف» لمكي (٣٠٨-٣٠٧/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٢٧٨/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩٩/١).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩٩/١).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«الكشف» لمكي (٣١١-٣١٠/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٢٧٨/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠٠/١).

## جنة السنة

﴿ ثُمَّ نَكَّسُوهَا لَحْمًا ﴾ فعادت العظام كهيتها حية. اختلف في معنى الآية، فقال الأكثرون: المراد عظام الحمار، وقال قوم: أراد به عظام الميت نفسه، وفي الآية تقديم وتأخير، وتقديرها: وانظر إلى حمارك، وانظر إلى العظام كيف نشرها، ولنجعلك آية للناس.

﴿ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ ۗ ذَٰلِكَ عَيَانًا ۗ ﴾

﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي (قَالَ أَعْلَمُ) موصولاً مجزوماً على الأمر، معناه: قَالَ اللهُ لَهُ: اعلم، وقرأ الباقون: (أَعْلَمُ) بقطع الألف ورفع الميم على الخبر أنه لما رأى ذلك، قَالَ: أَعْلَمُ<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمُتُؤْمِنٌ قَالِ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبُكَ قَالَ فَاخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[٢٦٠] ﴿ وَإِذْ ۗ أَي ۗ : واذكر إذ .

﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ لأزداد بصيرة، وإذا سئلتُ

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرة (ص: ١٤٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٠)، و«الكشف» لمكي (٣١٣-٣١٢/١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٢٨٠/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٣١/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠١/١).

## جنة السنة

هل رأيت إحياء الموتى؟ فأقول: نعم. قرأ ابن كثير، ويعقوب والسوسي عن أبي عمرو: (أزني) بسكون الراء<sup>(١)</sup>.

﴿ قَالَ ﴾ الله:

﴿ أَوْلَمْ تُؤْمِنُ ﴾ مع علمه بإيمانه ليظهر إيمانه لكل سامع.

﴿ قَالَ بَلَى ﴾ يا ربّ قد علمت فآمنت.

﴿ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ ﴾ أي: ليسكن<sup>(٢)</sup>.

﴿ قَلْبِي ﴾ ويصير علم اليقين بالاستدلال عين اليقين بالمشاهدة. تلخيصه: آمنت وأريد مشاهدة ذلك لإيمان غيري، وفي معنى قوله: ﴿ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ من الأمثال الدائرة على السن<sup>(٣)</sup> الناس: ليس المُخْبِرُ كالمعائن، وقد روي الحديث الشريف: «لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْمُعَايَنَةِ» رواه الإمام أحمد وغيره<sup>(٤)</sup>.

﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ ﴾ نسراً وطاوساً وغرأباً وديكاً.

﴿ فَصَرَّهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ أي: قَطَّعَهُنَّ. قرأ أبو جعفر، وحمزة، وخلف، ورؤيس: (فَصَرَّهُنَّ) بكسر الصاد؛ أي: أَمْلَهُنَّ، والباقون: بضمها على

(١) انظر: «الغيث» للصفارسي (ص: ١٦٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي

(ص: ١٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٠٢).

(٢) في «ن»: «يسكن».

(٣) في «ت»: «السنة».

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/٢١٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢١٣)،

والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٥)، والحاكم في «المستدرک» (٣٢٥٠)،

عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.

## جنة السنة

المعنى الأول<sup>(١)</sup>، والمعنى: أملهنَّ إليك واعتبرهنَّ، ثم قَطَّعْهُنَّ، ثم اخلِطْ لحمهنَّ بعضه ببعض، ثم أمسك رؤوسهن، ثم جَزَّئَهُنَّ أجزاءً.

﴿ ثُمَّ أَجَعَلَ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ ﴾ من جبال أرضك، وكانت سبعة.

﴿ مِمَّنْ جَزَّأ ﴾ قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ (جُزُؤاً) بضم الزاي والهمز حيث وقع، وقرأ أبو جعفرٍ: بتشديد الزاي بغير همز، والباقون: بالجزم والهمز<sup>(٢)</sup>.

﴿ ثُمَّ أَدْعُهُنَّ ﴾ قُلْ لَهُنَّ تَعَالَيْنَ بِإِذْنِ اللَّهِ.

﴿ يَأْتِيَنَّكَ ﴾ ففعل، فعاد كلُّ جزء إلى جسده، ثم أتينا إلى رؤوسهن.

﴿ سَعِيًّا ﴾ سريعاً.

﴿ وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ لا يعجزُ عما يريد<sup>(٣)</sup>.

﴿ حَكِيمٌ ﴾ في كلِّ ما يفعله.

\*\*\*

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠١)، و«الكشف» لمكي (١/١٥٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/٢٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٢٠٢).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٥)، و«الكشف» لمكي (١/٢٤٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/٢٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٢٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٠٣).

(٣) في «ش»: «يريده».

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٦١).

[٢٦١] ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي: مثل نفقات المنفقين في الجهاد، أو جميع أبواب الخير.

﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ ﴾ أي: نفقاتهم تشبه حبة.

﴿ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وقالون، وأبو جعفر، ويعقوب: (أَنْبَتَتْ سَبْعَ) وشبهه حيث وقع بإظهار التاء عند السين، والباقون: بالإدغام<sup>(١)</sup>، المعنى: يتشعب من أصلها سبع شعب، في كل شعبة سنبل.

﴿ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ ﴾ يزيد الثواب. قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: (يُضَعَّفُ) بتشديد العين بغير ألف<sup>(٢)</sup>.

﴿ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ من المنفقين إلى ما يشاء.

﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ ﴾ غني يعطي من سعة.

﴿ عَلِيمٌ ﴾ بنية من ينفق.

\*\*\*

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/١٣٧)، و«تفسير البغوي» (١/٢٨٢)، و«الكشاف» للزمخشري (١/١٥٩)، «إملاء ما من به الرحمن» للعكبري (١/٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٠٤).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير القرطبي» (٣/٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٠٤).

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢٦١).

[٢٦٢] ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ نزلت في عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهما - حين أنفقا أموالهما في طاعة الله (١).

﴿ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى ﴾ لا يَمُنُّ على المنفق عليه، ولا يُعَيِّرُهُ.

﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ أي: ثوابهم.

﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فلهم الأمن مع الفرح (٢).

\*\*\*

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ (٢٦٣).

[٢٦٣] ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ ردٌّ جميلٌ.

﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ أن تستر عليه.

﴿ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ ﴾ منٌ وتعيرٌ.

﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ ﴾ عن صدقة من يَمُنُّ.

﴿ حَلِيمٌ ﴾ عن معاجلته بالعقوبة.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/٢٨٣)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/٦٢١).

(٢) في «ظ» و«ن»: «الفرح».

﴿ يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ .

[٢٦٤] ﴿ يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ ﴾ أي : أجورها .

﴿ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ ﴾ أي : كإبطال الذي ينفق .

﴿ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ ﴾ ليقال : كريم . قرأ أبو جعفر : (رِثَاءَ النَّاسِ) بغير همز .

﴿ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ يريدُ أنَّ النفقةَ مع الرياء لا تكونُ فعلَ

المؤمن ، وهذا للمنافق <sup>(١)</sup> .

﴿ فَمَثَلُهُ ﴾ أي : مثلُ نفقةِ المرآئي بها .

﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ ﴾ حجرٍ أملس .

﴿ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ﴾ مطرٌ شديدٌ .

﴿ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾ نقيًا من التراب الذي كان عليه . المعنى : مثلُ المانِّ

والمنافقِ في <sup>(٢)</sup> صدقاتِهِما يومَ القيامةِ كحجرٍ عليه ترابٌ أزاله عنه المطرُ .

﴿ لَا يَقْدِرُونَ ﴾ أي : المرآؤون .

﴿ عَلَى شَيْءٍ ﴾ أي : على ثوابِ شيءٍ .

(١) في «ش» : «المنافقين» .

(٢) «في» ساقطة من «ش» .

﴿مَتَا كَسَبُوا﴾ عملوا في الدنيا .

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ إلى الخير .

عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ»، قالوا: يا رسول الله! وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرِّيَاءُ يَقُولُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ يُجَازِي الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطَلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(٢٦٩)</sup>.

[٢٦٥] ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ أي: طلب رضوان الله .

﴿وَتَثْبِيتًا﴾ أي: تصديقاً .

﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: يُخرجون الزكاة طيبةً بها نفوسهم على يقين بالثواب وتصديق بوعد الله، يعلمون أن ما أخرجوا خير لهم مما تركوا . والمعنى: مثل نفقة هؤلاء ونموها عند الله .

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ أي: بستان .

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٢٨/٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٣١)، عن محمود بن لبيد - رضي الله عنه - . ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٣٠١)، عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج - رضي الله عنهما - .



## جنة السنة

﴿بِرَبْوَةٍ﴾ هي المرتفعُ المستوي من الأرض، لا يعلوه الماء، ولا يعلو عن الماء، فيكون نبتُه حسناً. قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ: بفتح الراء، والباقون: بالضم<sup>(١)</sup>.

﴿أَصَابَهَا وَايْلٌ﴾ مطرٌ شديدٌ كثير.

﴿فَتَأْتَتْ﴾ أعطت.

﴿أَكْلَهَا﴾ جَناها. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو: (أَكْلَهَا) بجزم الكاف، والباقون: بالضم<sup>(٢)</sup>.

﴿ضِعْفَيْنِ﴾ أي: حملت في سنة ما يحمل غيرها في سنتين.

﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَايْلٌ فَطَلٌّ﴾ هو المطرُ الخفيفُ الدائمُ. المعنى: إن هذه الجنة ترعى، قلَّ المطرُ أو كَثُرَ، كذلك صدقةُ المؤمنِ المخلصِ تنفعُه، قَلَّتْ أو جَلَّتْ.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٢)، و«الكشف» لمكي (٣١٣/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٢٨٦/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٣٢/٢)، و«معجم القراءات لقرآنية» (٢٠٦/١).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٢)، و«الكشف» لمكي (٣١٣-٣١٤/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢١٦/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠٧/١).

## جنة السنة

﴿ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ تحذيرٌ عن الرياء .

ويتصل بقوله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ قوله تعالى :

\*\*\*

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ فَاصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لِمَلِكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

[٢٦٦] ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ ﴾ جمع نخلٍ .

﴿ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا ﴾ رزقٌ .

﴿ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ وخصَّ النخيل والأعناب بالذكر تفضيلاً لهما .

﴿ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ﴾ أي : أولادٌ .

﴿ ضِعْفَاءُ ﴾ صغارٌ .

﴿ فَاصَابَهَا إِعْصَارٌ ﴾ ريحٌ عاصفٌ ترتفعُ إلى<sup>(١)</sup> السماء كالعمود .

﴿ فِيهِ نَارٌ ﴾ المعنى : أيحبُّ أحدكم أن يملك جنةً في غاية الجودةِ يدخرها لفاقتِهِ ، فأحوج ما كان إليها<sup>(٢)</sup> أصابتها نار .

﴿ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ فبقي متحيراً محتاجاً ، لا يجد ما يعودُ به عليه ، كذلك

(١) «إلى» ساقطة من «ش» .

(٢) «إليها» ساقطة من «ش» .

## جنة السنة

المرائي بعمله، أحوج ما يكون إليه لا ينفعه. تلخيصه: من عمل لغير الله، ندم حين لا ينفع<sup>(١)</sup> الندم.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كهذا البيان الذي بين فيما تقدم.

﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ أي: الدلالات التي تحتاجون إليها.

﴿لَمَّا كُم تَنفَكُّوْنَ﴾ فتعتبرون.

\*\*\*

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغِيضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

[٢٦٧] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾ حلالات.

﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ بالتجارة والصناعة.

قال ﷺ: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ»<sup>(٢)</sup>، واستدل الإمام أحمد - رضي الله عنه - بهذا الحديث، وبقوله ﷺ: «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ»<sup>(٣)</sup> على أن للرجل أن يأخذ من مال ولده ما شاء، ويتملكه،

(١) في «ت»: «لا ينفعه».

(٢) رواه النسائي (٤٤٥٢)، كتاب: البيوع، باب: الحث على الكسب، وابن ماجه (٢١٣٧)، كتاب: التجارات، باب: الحث على المكاسب، والإمام أحمد في «المسند» (٣١/٦)، وغيرهم عن عائشة - رضي الله عنها -.

(٣) رواه أبو داود (٣٥٣٠)، كتاب: الإجارة، باب: في الرجل يأكل من مال ولده، وابن ماجه (٢٢٩٢)، كتاب: التجارات، باب: ما للرجل من مال ولده، والإمام أحمد في «المسند» (١٧٩/٢)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -.

## جنة السنة

مع حاجته وعدمها، في صغر الولد وكبره، بشرط ألا تتعلق حاجة الابن به،  
وألا يعطيه لولدٍ آخر، وهو من مفردات مذهبه التي خالف فيها الثلاثة.

﴿ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ من الحبوب والتمر.

﴿ وَلَا تَيْمَّمُوا ﴾ تقصدوا. قرأ البزري عن ابن كثير: بتشديد التاء في

الوصل<sup>(١)</sup>.

﴿ الْخَيْثِ ﴾ الرديء.

﴿ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِتَّائِبِينَ ﴾ يعني: الخيث.

﴿ إِلَّا أَنْ تُغِضُوا فِيهِ ﴾ أي: تتسامحوا في أخذه، وأصل الإغماض:

غَضُّ البصر. المعنى: إنكم لا تأخذونه إلا في حال الإغماض.

﴿ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ ﴾ عن صدقاتكم.

﴿ حَكِيمٌ ﴾ محمودٌ في أفعاله.

\*\*\*

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ  
مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.

[٢٦٨] ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ ﴾ يُخَوِّفُكُمْ.

﴿ الْفَقْرُ ﴾ بأن يقول: إن تصدقتم، افتقرتم، والفقْرُ: شرُّ الحال، وقلةُ

ذات اليد.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٦)، و«الكشف» لمكي (١/٣١٤-٣١٥)،  
و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/٢٩١)، و«التيسير»  
للداني (ص: ٨٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٤)، و«معجم  
القراءات القرآنية» (١/٢٠٨).

﴿ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ بالبخلِ ومنعِ الزكاة، وكلِّ فحشاءٍ في القرآنِ  
فهو الزنا إلا هذا.

﴿ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ ﴾ لذنوبكم.

﴿ وَقَفْلاً ﴾ خلفاً مما أنفقتُم.

﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ ﴾ غنيٌّ.

﴿ عَلِيمٌ ﴾ بما ينفق.

\*\*\*

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا  
كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢٦٩).

[٢٦٩] ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ ﴾ أي: العلم النافع، وقيل غيره.

﴿ مَنْ يَشَاءُ ﴾ وأصل الحكمة: المنع، ثم استعملت للمنع مع إصلاح.

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ ﴾ قرأ يعقوب: (وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ) بكسر

التاء<sup>(١)</sup>؛ أي: من يؤته الله الحكمة، وإذا وقف، أثبت الياء. تلخيصه: من

أعطى ما يدخله الجنة ﴿ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾.

﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ ﴾ يتعظ.

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/١٤٣)، و«تفسير البغوي» (١/٢٩٣)،

و«الكشاف» للزمخشري (١/١٦٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٣٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٤)، و«معجم القراءات

القرآنية» (١/٢١٠).

﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ذوو العقول.

\*\*\*

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٢٧٠).

[٢٧٠] ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ في طاعةٍ أو معصية.

﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ أَوْجَبْتُمُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَالنَّذْرُ: هُوَ الْإِزَامُ مَكْلَفٌ مَخْتَارٌ نَفْسَهُ لِلَّهِ تَعَالَى شَيْئًا بِقَوْلٍ غَيْرِ لَازِمٍ بِأَصْلِ الشَّرْعِ، فَإِذَا نَذَرَ فِي طَاعَةٍ، انْعَقَدَ وَلِزَمَهُ فَعَلُهُ بِالِاتِّفَاقِ، وَإِذَا نَذَرَ فِي مَعْصِيَةٍ، لَمْ يَجْزِ الْوَفَاءُ بِهِ بِالِاتِّفَاقِ، وَيَلْزَمُهُ عِنْدَ أَحْمَدَ كَفَارَةٌ يَمِينٍ؛ خِلَافًا لِلثَّلَاثَةِ.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ يَحْفَظُهُ، فَيَجْزِيكُمْ بِهِ.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الْوَاضِعِينَ الصَّدَقَةَ فِي غَيْرِ مَحَلِّهَا.

﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ أَعْوَانٍ يَدْفَعُونَ عَذَابَ اللَّهِ عَنْهُمْ.

\*\*\*

﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٧١).

[٢٧١] ﴿إِنْ تَبَدُّوا﴾ أَي: تُظْهِرُوا.

﴿الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ أَي: نَعَمَ الْخِصْلَةُ. قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو، وَقَالُونَ، وَأَبُو بَكْرٍ: بِكَسْرِ النُّونِ، وَاخْتِلَاسِ كَسْرَةِ الْعَيْنِ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَحَمَزَةٌ، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلْفٌ: بِفَتْحِ النُّونِ، وَكَسْرِ الْعَيْنِ، وَأَبُو جَعْفَرٍ، بِكَسْرِ النُّونِ،

## جنة السنة

وسكون العين، وتخفيف الميم، والباقون: بكسر النون والعين، وكلها لغاتٌ صحيحة<sup>(١)</sup>.

﴿وَلِنْ تُخَفُّوْهَا﴾ تستروها.

﴿وَتَوْتُوْهَا﴾ أي: تعطوها.

﴿الْفُقْرَاءُ سِرًّا﴾.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وأفضل، في الحديث: «صَدَقَةُ السَّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»<sup>(٢)</sup> قيل: هذا في صدقة<sup>(٣)</sup> التطوع، وأما الزكاة، فإظهارها أفضل؛ ليقتدى به.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢٩٠/١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٦-١٤٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٢)، و«الكشف» لمكي (٣١٦/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (٢٩٣/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤)، و«النشر» في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٥-٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢١٠-٢١١).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٢١/١٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٢)، عن معاوية - رضي الله عنه - . ورواه الحاكم في «المستدرک» (٦٤١٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٩٩)، عن جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - . وروى الترمذي (٦٦٤)، كتاب: الزكاة، باب: ما جاء في فضل الصدقة، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - بلفظ: «إن الصدقة لتطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء» وقال: حسن غريب. وفي الباب: عن أبي سعيد الخدري، وأبي أمامة - رضي الله عنهما - . وأسانيدنا ضعاف، انظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (٣/١١٤).

(٣) في «ت»: «الصدقة».

﴿ وَيَكْفُرُ ﴾ يخفف.

﴿ عَنْكُمْ مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ يعني: الصغائر من الذنوب. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وأبو بكر: بالنون، ورفع الراء؛ أي: ونحن نكفر، وابن عامر، وحفص: بالياء والرفع؛ أي: ويكفر الله، ونافع، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو جعفر: بالنون وجزم الراء نسقاً على الفاء التي في قوله: ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾؛ لأن موضعها جزمٌ بالجزء<sup>(١)</sup>.

﴿ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴾ ترغيب في الأسرار.

قال سعيد بن جبير: كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمة، فلما كثر فقراء المسلمين، قال رسول الله ﷺ: «لا تتصدقوا إلا على أهل دينكم» فنزل قوله تعالى<sup>(٢)</sup>:

\*\*\*

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢٩١/١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٧-١٤٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٢)، و«الكشف» لمكي (٣١٦-٣١٧)، و«الغيث» للصفاقي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (٢٩٤/١)، و«تفسير القرطبي» (٣/٣٣٥-٣٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٦)، و«تفسير الرازي» (٢/٣٥٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/٣٢٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢١٢-٢١٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/٢٩٥)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/٦٣١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/٨٧).



﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نُفْسِكُمْ ۖ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ ﴾ ﴿١٧٦﴾ .

[٢٧٢] ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ ﴾ أي : لا يلزمك .

﴿ هُدَاهُمْ ﴾ هدى التوفيق، وعلبك هدى البيان، فلا تمنعهم الصدقة ليُسَلِّمُوا .

﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ فأعطوهم بعد نزول الآية .

﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ ﴾ أي : مالٍ .

﴿ فَلَا نُفْسِكُمْ ﴾ ثوابه لا لغيركم .

﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ ﴾ (ما) بمعنى النهي ؛ أي : لا تنفقوا .

﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ ﴾ في أهل الذمة، (ما) هذه شرط كالأول، ولذلك حذف النون منها .

﴿ يُؤَفَّفَ ﴾ أي : يؤدِّ .

﴿ إِلَيْكُمْ ﴾ ثوابه .

﴿ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ ﴾ تُنْقِصُونَ من ثواب أعمالكم شيئاً، هذا في صدقة التطوع توضع في المسلمين وأهل الذمة بالاتفاق، أما المفروضة فلا توضع إلا في المسلمين في الأصناف الثمانية، وجوز أبو حنيفة وحده وضع صدقة الفطر في أهل الذمة .

\*\*\*

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَتِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [٢٧٣].

[٢٧٣] ﴿ لِلْفُقَرَاءِ ﴾ أي: صدقاتكم للفقراء.

﴿ الَّذِينَ أَحْصَرُوا ﴾ أي: حبسوا نفوسهم عن التصرف للتعبّد.

﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وهم أهل الصّفة كانوا زهاء أربع مئة يسكنون المسجد، يرضخون النوى نهاراً؛ أي: يكسرونه ويأخذون عليه الأجرة، ويصرفونها في النفقة، ويقروون القرآن ليلاً، يخرجون في كلّ سرية يبعثها النبي ﷺ.

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا ﴾ سيراً.

﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ لكثرة أعدائهم من كثرة ما جاهدوا.

﴿ يَحْسَبُهُمُ ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم، وحمزة: بفتح السين، والباقون: بالكسر<sup>(١)</sup>.

﴿ الْجَاهِلُ ﴾ بحالهم.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٣)، و«الكشف» لمكي (١/٣١٧-٣١٨)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/٢٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢١٤).

## جنة السنة

﴿ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ عن السؤال وقناعتهم، والعِفَّةُ: هي حصولُ حالةٍ للنفس تمتنعُ بها عن غلبةِ الشهوةِ.

﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ بعلامتهم التواضع.

﴿ لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ أي: إلحاحاً.

﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ وعليه مُجازٍ.

\*\*\*

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٢٧٤﴾.

[٢٧٤] ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ نزلت في عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه -، كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها، فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية<sup>(١)</sup>.

﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ تلخيصه: من أنفقَ لله يُثَبَّ مع الأمنِ والفرحِ.

\*\*\*

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٤٧)، و«تفسير البغوي» (١/٢٩٨)، و«العجاب» لابن حجر (١/٦٣٤).

## جنة السنة

وَحَرَّمَ الرِّبَاَ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ  
وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ .

[٢٧٥] ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَاَ﴾ أي: يعاملون به، وخصَّ بالأكل؛  
لأنه معظم المقصود، والربا لغة: الزيادة. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف:  
(الرِّبَا) بالإمالة حيث وقع (١).

﴿لَا يَقُومُونَ﴾ من قبورهم .

﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُونَ﴾ أي: إلا قياماً مثل قيام .

﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾ أي: يضربه ويصرعه .

﴿الشَّيْطَانُ﴾ والخبط: الضربُ على غير استواء .

﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ أي: الجنون . ومعناه: أن آكل الربا يُبعث يومَ القيامة وهو  
كمثلِ المصروع .

﴿ذَلِكَ﴾ أي: العذابُ النازلُ بهم .

﴿يَأْتَهُمْ قَالُوا﴾ أي: بسبب قولهم :

﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَاِ﴾ لأنه كان إذا حلَّ على رجلٍ مالٌ، يقولُ لغريمه:  
زِدْنِي فِي الْأَجْلِ، وَأَزِيدُكَ فِي الرِّبْحِ، فيفعلان ذلك، ويقولان: سواءٌ علينا  
الزيادةُ في أولِ البيعِ وعندَ المحلِّ لأجلِ التأخيرِ، فكذبهم الله تعالى بقوله:

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَاَ﴾ هذا تصريحٌ أن القياسَ يبطله النصُّ؛ لأنه

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير الرازي» (١/٣٥٧)،  
و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢١٥).

## جنة السنة

جعلَ الدليلَ على بطلانِ قياسهم تحليلَ الله وتحريمه .

﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ ﴾ أي : بلغه موعظةٌ تذكيرٌ وتخويفٌ .

﴿ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى ﴾ عن أكلِ الربا .

﴿ فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ أي : مضى من ذنبه قبل النهي مَعْفُوٌّ عنه .

﴿ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ فيما يأمره وينهاه ، وليس له شيء من أمر نفسه .

﴿ وَمَنْ عَادَ ﴾ إلى الربا بعد النهي .

﴿ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ عن جابر قال : « لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكَلَ الرَّبَا وَمُوكَلَّهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ ، وَقَالَ : هُمْ سَوَاءٌ »<sup>(١)</sup> ، وقد اتفق الأئمة على تحريم الربا ، وجواز البيع ؛ لنص الكتاب والسنة فيهما ، والبيع مصدرٌ بعثٌ ، يقال : باعَ يبيعُ بمعنى : ملك ، واشتقاقه من الباع ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ من المتعاقدين يمدُّ باعه للأخذ والعطاء ، ومعناه لغةً : إعطاء شيء ، وأخذ شيء ، وشرعاً : مبادلة المال بالمال لغرض التملك ، ويصحُّ بالإيجاب والقبول بالاتفاق ، فيقولُ البائعُ : بعْتُك ، أو مَلَكَتُك ، ويقولُ المشتري : ابْتَعْتُ ، أو قَبِلْتُ ونحوهما ، واختلفوا في المعاوضة مثل أن يقول : أَعْطِنِي بهذا الدينار خُبْزاً<sup>(٢)</sup> ، فيعطيه ما يُرضيه ، أو يقولُ البائعُ : خذْ هذا بدرهم ، فيأخذه ، فقال الشافعيُّ : لا يصحُّ ، وقال الثلاثة : يصحُّ ؛ لأنه يدلُّ على الرضا المقصود من الإيجاب والقبول .

\*\*\*

(١) رواه مسلم (١٥٩٨) ، كتاب : المساقاة ، باب : لعن أكل الربا ومؤكله ، عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - .

(٢) «خبزاً» ساقطة من «ش» .

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ ﴿٢٧٦﴾ .

[٢٧٦] ﴿ يَمْحَقُ ﴾ أي: ينقصُ .

﴿ اللَّهُ الرِّبَا ﴾ وَيُذْهِبُ بَرَكَتَهُ .

﴿ وَيُرِي ﴾ أي: يزيدُ .

﴿ الصَّدَقَتِ ﴾ وَيُبَارِكُ فِيهَا . في الحديث: «ما نقصت زكاةً من مالٍ قَطُّ»<sup>(١)</sup> .

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ ﴾ بتحريم الربا .

﴿ أَثِيمٍ ﴾ مُصِرٌّ عَلَى الْإِثْمِ<sup>(٢)</sup> ، فَاجِرٌ بِأَكْلِهِ .

\*\*\*

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٢٧٧﴾ .

[٢٧٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ من آتٍ .

﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على فائتٍ .

\*\*\*

ونزل في المنع من المطالبة ببقايا الربا قوله تعالى:

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو

والتواضع، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - بلفظ: «ما نقصت صدقة من مال» .

(٢) في «ن»: «الربا» .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [٢٧٨]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أي كاملي الإيمان.

\*\*\*

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [٢٧٩]

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾ تَذَرُوا ما بقي من الربا.

﴿ فَأْذَنُوا ﴾ . قرأ حمزة، وأبو بكرٍ عن عاصم: (فَأْذَنُوا) بالمدِّ على وزنِ أَمِنُوا؛ أي: فَأَعْلَمُوا غيركم أنكم حربُ الله ورسوله، وقرأ الباقر: مقصوراً بفتح الذال؛ أي: فاعلموا أنتم وأيقنوا<sup>(١)</sup>.

﴿ بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ عن ابن عباس: «يُقَالُ لَأَكِلِ الرَّبَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: خُذْ سِلَاحَكَ لِلْحَرْبِ»<sup>(٢)</sup>، وَحَرْبُ اللَّهِ النَّارُ، وَحَرْبُ رَسُولِهِ السَّيْفُ. وَإِن تُبْتُمْ ﴾ عن الربا.

﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾ التي أُرْبَيْتُمْ بها.

﴿ لَا تَظْلِمُونَ ﴾ بطلب الزيادة.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٣)، و«الكشف» لمكي (١/٣١٨)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/٣٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢١٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/١٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/٥٥٠).

## جنة السنة

﴿ وَلَا تَظْلَمُونَ ﴾ بأن تنقصوا عن رأس المال، وهذا خبرٌ بمعنى النهي .  
فلما نزلت هذه الآية، قال المُزَيَّبُونَ: لا طاقةَ لنا بحربِ اللهِ ورسوله،  
ورَضُوا برأسِ المالِ، فشكا بنو المغيرةِ العسرةَ، وقالوا: أَخْرُونَا إِلَى أَنْ  
تَدْرِكَ الغلَّالُ، فَأَبُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ (١):

\*\*\*

﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ  
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨٠).

[٢٨٠] ﴿ وَإِنْ كَانَ ﴾ أي: الذي عليه الدينُ .

﴿ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ يعني: معسراً، والعسرُ: ضدُّ اليُسْرِ . قرأ أبو جعفرٍ: بضم  
السين، والباقون: بالجزم (٢) .

﴿ فَنَظِرَةٌ ﴾ أي: إمهال .

﴿ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ إلى وقتِ يُسْرِ . قرأ نافعٌ: بضم السين، والباقون: بالفتح (٣) .

﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا ﴾ بتركِ رؤوسِ الأموالِ، أو بعضها للمعسرِ .

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحيدي (ص: ٤٩) .

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣٠٤/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري  
(٢/٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٥)، و«معجم القراءات  
القرآنية» (١/٢١٨) .

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٩٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص:  
١٠٣)، و«الكشف» لمكي (١/٣١٩)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٠)،  
و«تفسير البغوي» (١/٣٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في  
القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي  
(ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢١٩) .



﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه خيرٌ لكم، فتعملون به، فجعل من علم ولم يعمل كمن لم يعلم. قرأ عاصمٌ: (تَصَدَّقُوا) بتخفيف الصاد، والباقون: بتشديدها<sup>(١)</sup>، قال عليه السلام: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>، فإذا أقام المفلس البيّنة بإعساره، فقال أبو حنيفة: لا يحولُ القاضي بينه وبين غرمائه بعدَ خروجه من الحبس، ويلازمونه، ولا يمنعونه من التصرفِ والسفر، ويأخذونَ فضلَ كسبه بينهم بالحِصص، وقال أصحابه: إذا فَلَلسَهُ القاضي، حالَ بينه وبين الغرماء، وهذا بناءً على صحة القضاء بالإفلاس<sup>(٣)</sup>، فيصحُّ عندهما؛ خلافاً لأبي حنيفة؛ لأن الإفلاسَ عنده لا يتحقَّق، وقال الأئمة الثلاثة كقولِ الصاحبين، ولا تُقبل بينة الإعسار عند أبي حنيفة إلا بعدَ الحبس، وعند الثلاثة: تُقبل قبله.

\*\*\*

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾<sup>(٢٨١)</sup>.

[٢٨١] ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوبُ:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٣)، و«الكشف» لمكي (٣١٩/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (٣٠٤/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٢٠).

(٢) رواه مسلم (١٥٦٣)، كتاب: المساقاة، باب: فضل إنظار المعسر، عن أبي قتادة - رضي الله عنه -.

(٣) في «ش»: «بالفلاس».

(تَرْجِعُونَ) بفتح التاء؛ أي: تصيرون إلى الله، وقرأ الباقون بالضم وفتح الجيم؛ أي: تُرَدُّون إلى الله<sup>(١)</sup>.

﴿ثُمَّ تَوُفَّ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقصِ ثوابٍ، وتضعيفِ عقاب. قال ابن عباس: «هذه آخرُ آيةٍ نزلت على رسولِ الله ﷺ»<sup>(٢)</sup>، فقال جبريلُ: ضَعَفَهَا عَلَى رَأْسِ مِثْتَيْنِ وَثَمَانِينَ آيَةً مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ<sup>(٣)</sup>، وعاش بعدها رسولُ الله ﷺ أحدًا وعشرين يوماً، ومات يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيعِ الأولِ حينَ زاغتِ الشمسُ سنةً إحدى عشرة من الهجرة، وله ثلاثٌ وستون سنةً.

\*\*\*

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٣)، و«الكشف» لمكي (١/٣١٩-٣٢٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/٣٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٢٠).

(٢) رواه البخاري (٤٢٧٠)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/٣٠٦).

## جنة السنة

إِحْدَهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبُ الشُّهْدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٨٢﴾ .

[٢٨٢] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ تعاملتُم .

﴿بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مدة معلومة، قال ابن عَبَّاسٍ: «لَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ الرَّبَّيَا، أَبَاحَ السَّلَمَ، وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ السَّلْفَ الْمَضْمُونِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَدْ أَحَلَّهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَأَذِنَ فِيهِ»<sup>(١)</sup>، واختلف الأئمة في السلم على حكم الحلول، فقال الشافعي: يصح، وقال الثلاثة: لا يصح إلا مؤجلاً، فعند أبي حنيفة وأحمد يكون الأجل له وقع في الثمن؛ كالشهر ونحوه، وعند مالك إلى مدة تختلف فيها الأسواق عُرفاً؛ كخمسة عشر يوماً.

﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ دَيْناً كَانَ أَوْ قَرْضاً، وهذا أمرٌ استحباب عند الأكثر.

﴿وَلْيَكْتُبْ﴾ كاتب الدين .

﴿بَيْنَكُمْ﴾ أي: بين الخصمين .

﴿كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ أي: بالحق .

(١) رواه الإمام الشافعي في «مسنده» (ص: ١٣٨)، وعبد الرزاق في «المصنف»

(١٤٠٦٤)، والحاكم في «المستدرک» (٣١٣٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى»

(١٨/٦).

﴿ وَلَا يَأْبَ ﴾ لا يمتنع .

﴿ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ هذا نهى عن الامتناع من الكتابة .

﴿ فَلَيْكَتُبَ ﴾ تلك الكتابة .

﴿ وَلِيُمَلِّبَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴾ بأن يُقَرَّرَ بلسانه ليعلم ما عليه .

﴿ وَلِيَسْتَقِيَ ﴾ المُملِي .

﴿ اللَّهُ رَبُّهُ وَلَا يَبْخَسُ ﴾ أي : لا ينقص .

﴿ مِنْهُ ﴾ أي : من الحق .

﴿ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا ﴾ أي : جاهلاً بالإملاء .

﴿ أَوْ ضَعِيفًا ﴾ عن الإملاء لصغيرٍ أو كبيرٍ .

﴿ أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَلِّهُ ﴾ لخرسٍ أو عَجْمَةٍ ونحو ذلك ، المعنى : إذا

عجزَ مَنْ عليه الحقُّ عن الإملاء . قرأ أبو جعفرٍ : (أَنْ يُمَلِّهُ هُوَ) بسكون الهاء<sup>(١)</sup> .

﴿ فَلِيُمَلِّبَ وَلِيُتَّبِعْ ﴾ أي : قِيَمُهُ أو تَرْجُمَانُهُ .

﴿ بِالْعَدْلِ ﴾ بالصدق ، والحق ، وقيل : وليُّه : صاحبُ الحقِّ ؛ لأنه

أعلم<sup>(٢)</sup> بحقِّه .

﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا ﴾ اطلبوا .

(١) انظر : «إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (٦٩/١) ، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣٤٥/٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٦٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٢٢/١) .

(٢) «أعلم» ساقطة من «ش» .

## جنة السنة

﴿ شَهِدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ الأحرارِ البالغينَ العقلاءِ المسلمينَ يَشْهَدَانِ عَلَى الدَّيْنِ، وَجَوَّزَ أَحْمَدُ شَهَادَةَ الْعَبْدِ حَتَّى فِي حَدٍّ وَقَوْدٍ، وَشَهَادَةَ الذَّمِّيِّ عَلَى الْمُسْلِمِ، وَالذَّمِّيُّ فِي الْوَصِيَّةِ فِي السَّفَرِ، وَسَيَأْتِي فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى -، وَجَوَّزَ أَبُو حَنِيفَةَ شَهَادَةَ الْكُفَّارِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ عَلَى اخْتِلَافٍ مِلَلِهِمْ، وَخَالَفَهُمَا مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ.

﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا ﴾ أَي: الشَّاهِدَانِ.

﴿ رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ ﴾ أَي: فليشهد رجلٌ.

﴿ وَأَمْرَأَتَانِ ﴾ وَشَهَادَةُ النِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ فِي الْأَمْوَالِ جَائِزَةٌ بِالِاتِّفَاقِ، وَعِنْدَ الثَّلَاثَةِ يَثْبُتُ الْمَالُ بِالشَّاهِدِ الْيَمِينِ؛ خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ، وَعِنْدَ مَالِكٍ يَثْبُتُ الْمَالُ بِشَهَادَةِ امْرَأَتَيْنِ وَيَمِينِ الْمُدَّعِي؛ خِلَافًا لِلثَّلَاثَةِ، وَمِئَةُ امْرَأَةٍ عِنْدَهُ كَامْرَأَتَيْنِ، وَتَقْبَلُ شَهَادَةُ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ لِلْآخَرِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ؛ خِلَافًا لِلثَّلَاثَةِ، وَأَمَّا فِي غَيْرِ الْأَمْوَالِ، فَتَجُوزُ شَهَادَةُ النِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ فِي غَيْرِ الْعُقُوبَاتِ؛ كَالنِّكَاحِ وَنَحْوِهِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ فَقَطْ، وَمَا لَا يَطَّلَعُ عَلَيْهِ الرِّجَالُ غَالِبًا؛ كَعِيُوبِ النِّسَاءِ تَحْتَ الثِّيَابِ، وَالرِّضَاعِ، وَالِاسْتِهْلَالِ، وَالْبِكَارَةِ، وَالشِّيْبَةِ، وَنَحْوِهَا يَثْبُتُ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ بِشَهَادَةِ رَجُلٍ وَامْرَأَتَيْنِ، وَشَهَادَةِ أَرْبَعِ نِسْوَةٍ، وَعِنْدَ مَالِكٍ بِشَهَادَةِ امْرَأَتَيْنِ، وَيَثْبُتُ مَا عَدَا الرِّضَاعَ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ بِشَهَادَةِ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَمَّا الرِّضَاعُ، فَلَا يُقْبَلُ فِيهِ شَهَادَةُ النِّسَاءِ مُفْرَدَاتٍ، وَيَثْبُتُ الْجَمِيعُ حَتَّى الرِّضَاعُ عِنْدَ أَحْمَدَ بِشَهَادَةِ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَوْ كَانَتْ هِيَ الْمَرْضِعَةَ، وَاتَّفَقُوا عَلَى عَدَمِ جَوَازِ شَهَادَةِ النِّسَاءِ فِي الْعُقُوبَاتِ.

﴿ مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ أَي: مَنْ كَانَ مَرَضِيًّا فِي دِيَانَتِهِ وَأَمَانَتِهِ.

﴿ أَنْ تَصِلَ ﴾ أَي: لِأَنَّ تَصِلَ، أَي: تَنْسَى.

## جنة السنة

﴿إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ المعنى: إذا نسيت إحداهما، ذكَّرتُها الأخرى. قرأ عاصمٌ، وابن عامرٌ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وروحٌ عن يعقوبَ (الشَّهْدَاءِ أَنْ) بتحقيقِ الهمزتين، وقرأ نافعٌ، وأبو عمرو، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، ورؤيسٌ عن يعقوبَ: بتحقيقِ الأولى وتسهيلِ الثانية بأن تبدلَ ياءً محضَةً، وقرأ حمزةٌ: (إِنْ) بكسرِ الألفِ، (فَتُذَكَّرُ) برفعِ الراءِ مشدداً، ويعقوبُ: (فَتُذَكَّرُ) بالتخفيفِ وفتحِ الراءِ، وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وعاصمٌ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَتُذَكَّرُ) بفتحِ الذالِ والتشديدِ وفتحِ الراءِ، مع اتفاقهم على فتحِ الألفِ في: (أَنْ تَضِلَّ) سوى حمزة كما تقدَّم<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ لتحتمُّلِ الشهادة. قرأ عاصمٌ، وحمزةٌ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، وروحٌ عن يعقوبَ: (الشُّهَدَاءُ إِذَا) بتحقيقِ الهمزتين، والباقون: بالتسهيلِ، وهو إبدالِ الثانيةِ واواً خالصةً مكسورة<sup>(٢)</sup>، فتحتمُّلُ الشهادةِ فرضُ كفايةٍ، وأداؤها إذا تعينت فرضُ عينٍ، ولا يحلُّ أخذُ أجرَةٍ عليها بالاتفاق.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٤)، و«الكشف» لمكي (١/٣٢٠-٣٢١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٠-١٧١)، و«تفسير البغوي» (١/٣٠٩-٣١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٢٢-٢٢٤). وضبط في «معجم القراءات» قراءة يعقوب: فَتُذَكِّرُ، بضم التاء.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٢٤).

## جنة السنة

فعند أبي حنيفة إذا طلبه المدعي، وكان قريباً من القاضي، لزمه المشي إليه، وإن كان بعيداً أكثر من نصف يوم لا يأثم بتخلُّفه؛ لأنه يلحقه الضرر، وإن كان الشاهد يقدر على المشي، فأركبه المدعي من عنده، لا تُقبل شهادته؛ وإن كان لا يقدر، فأركبه، لا بأس به.

وعند مالك يلزمه الأداء من نحو البريدين، وإن كانا اثنين، ولا تحلُّ إحالته على اليمين، وإن لم يجتز الحاكمُ باثنين، فعلى الثالث، ولا يلزم من أبعد، ولا يجوز أن ينتفع منه فيما يلزمه إلا في ركوب إن لم يكن له دابة، وعسر مشيه، ويجوز فيما لا يلزمه<sup>(١)</sup> أن يقام بما يتكلفه من دابة ونفقة، عجزاً أو لم يعجز.

وعند الشافعي إن كان القاضي معه في البلد، لزمه المشي إليه، وإن كان يأتيه من مسافة العَدوى فما فوقها، فله طلبُ نفقة المراكب.

قال البغويُّ من أصحابه: وكذا نفقة الطريق.

وعند أحمد إذا دُعي إليها وقدر بلا ضرر يلحقه، لزمه الأداء، فعليه أن يقوم بها على القريب والبعيد، و<sup>(٢)</sup> لا يسعه التخلُّف عن إقامتها، ويحرم أخذ أجره وجُعِلَ عليها مطلقاً، ولكن إن عجز عن المشي، وتأذى به، فله أخذ أجره مركوب<sup>(٣)</sup>.

وتشترطُ عدالة الشاهد<sup>(٤)</sup> عند الثلاثة.

(١) في «ش»: «ويجوز فيما يلزمه».

(٢) الواو زيادة من «ت».

(٣) في «ت»: «مركب».

(٤) في «ن»: «العدالة للشاهدين».

## جنة السنة

وقال أبو حنيفة: يقتصر في المسلم على ظاهر عدالته إلا في الحدود والقصاص، فإن طعن الخصم فيه، سأل عنه.

وقال صاحبه: يُسأل عنهم في جميع الحقوق سراً وعلانيةً، وعليه الفتوى.

﴿ وَلَا تَسْمُوا ﴾ أي: تملؤا.

﴿ أَنْ تَكْتُوبُوهُ ﴾ أي: الحق.

﴿ صَغِيرًا ﴾ كان الحق.

﴿ أَوْ كَبِيرًا ﴾ قليلاً كان أو كثيراً.

﴿ إِلَىٰ أَجَلِهِ ﴾ المعلوم.

﴿ ذَلِكُمْ ﴾ الكتاب.

﴿ أَقْسَطُ ﴾ أعدل.

﴿ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ لأنه أمر به.

﴿ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ ﴾ أي: أعون؛ لأن الكتابة تُذكرُ الشهود.

﴿ وَأَدْنَىٰ ﴾ أقرب.

﴿ أَلَّا تَرْتَابُوا ﴾ تشكوا في الشهادة.

﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً ﴾ قرأ عاصم: بالنصب فيهما على خبر كان؛ أي:

إلا أن تكون التجارة تجارةً.

وقرأ الباقر: بالرفع، وله وجهان: أحدهما: أن يُجعلَ الكونُ بمعنى

الوقوع، معناه: ألا تقع تجارةً، والثاني: أن يُجعلَ الاسمُ في التجارة،



## جنة السنة

والخبرُ في الفعل<sup>(١)</sup>، وهو قوله:

﴿ حَاصِرَةٌ تُدِيرُونَهَا ﴾ المعنى: إلا أن تكون التجارة حاضرةً يداً بيدٍ تُديرونها.

﴿ بَيْنَكُمْ ﴾ ليس فيها أجلٌ.

﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُوبُوهَا ﴾ يعني: التجارة.

﴿ وَأَشْهَدُوا ﴾ على التبايع.

﴿ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ فإنه أَدْفَعُ للاختلاف، وهذا أمرٌ ندبٌ عند الأكثر.

﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ نهى عن مُضَارَّةِ الكَاتِبِ<sup>(٢)</sup> والشَّهِيدِ،

المعنى: إذا كانا مشغولين ويوجدٌ غيرُهما، فلا يُضَارَّانِ بإبطالِ شُغْلِهِمَا.

قرأ أبو جعفرٍ (يُضَارُّ) بإسكانِ الراء، والباقون: بالنصبِ والتشديد<sup>(٣)</sup>.

﴿ وَإِنْ تَفْعَلُوا ﴾ الضَّرَارَ.

﴿ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ ﴾ أي: معصيةٌ.

﴿ بِكُمْ ﴾ وخروجٌ عن الأمرِ.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٠٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٣)، و«الكشف» لمكي (١/٣٢٢-٣٢١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (١/٣١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٢٥).

(٢) في «ت»: «الكتاب».

(٣) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢/٣٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٢٥).

## جنة السنة

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ المعنى: اجتنبوا معصية الله يُعَرِّفْكُمْ طُرُقَ فَلَاحِكُمْ . تلخيصه: من راقب الله، أرشده .

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ كرَّرَ لفظَ الله في الجمل الثلاث لاستقلالها؛ فإن الأولى حثُّ على التقوى، والثانية وَعْدٌ بِإِنْعَامِهِ، والثالثة تَعْظِيمٌ لَشَأْنِهِ .

\*\*\*

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ أَمْنَتَهُ وَيَلْتَقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ دَخَلَ إِثْمًا فَكَانَ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [٢٨٣]

[٢٨٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ مسافرين .

﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ﴾ أي: فالتوثق رهنًا .

﴿مَقْبُوضَةً﴾ مسلَّمةٌ إلى المرتهن، ولا بدَّ من القبض، فلا يتم الرهنُ بدونَه، بالاتفاق، واستدامةُ القبضِ شرطٌ للزومِ عند مالكٍ وأحمد، فمتى خرجَ عن يدِ المرتهنِ باختياره، زالَ لزومه، وبطلَ الرهنُ، وعندَ أبي حنيفةٍ والشافعيِّ إذا أعادَهُ المرتهنُ مع بقاءِ الرهنِ، فلزومه باقٍ، والرهنُ صحيحٌ، ونقلَ الزمخشري في «كشافه» عن مالكٍ: أنه يصحُّ عنده الارتهانُ بالإيجابِ والقبولِ بدونِ القبضِ<sup>(١)</sup>، وهو وهم . قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو: (فَرِهَنْ) بضمِ الراءِ والهاءِ من غيرِ ألف، والباقون: (فَرِهَانٌ) بكسرِ الراءِ وفتحِ الهاءِ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٤)، و«تفسير البغوي» (١/٣١١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٢٧).

## جنة السنة

وَأَلْفٍ بَعْدَهَا، وَهُوَ جَمْعُ رَهْنٍ؛ كَبَغْلٍ وَبِغَالٍ<sup>(١)</sup>.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ أي: وَثِقَ إِلَيْهِ لِأَمَانَتِهِ.

﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِينَ الَّذِينَ أَوْتُمِنَ آمَنَتُهُ﴾ أي: فليَقْضِ الْمَدْيُونُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ،

وَسُمِّيَ أَمَانَةً؛ لِتَعَلُّقِهِ بِالذَّمَّةِ؛ كَتَعَلُّقِ الْأَمَانَةِ.

﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ فِي أَدَاءِ الْحَقِّ، ثُمَّ التَّفَتَ مُخَاطَبًا لِلشُّهُودِ فَقَالَ:

﴿وَلَا تَكْفُرُوا بِالشَّهَادَةِ﴾ إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى إِقَامَتِهَا، ثُمَّ تَهَدَّدَهُمْ فَقَالَ:

﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ تَاءِثٌ﴾ أَي: يَأْتُمُّ.

﴿قَلْبُهُ﴾ لِأَنَّ الْكُتْمَانَ يُقْرَأُ فِيهِ، وَلِأَنَّ الْقَلْبَ هُوَ رِئِيسُ الْأَعْضَاءِ،

وَالْمُضَعَةُ الَّتِي إِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِنْ فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ

كُلُّهُ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: قَدْ تَمَكَّنَ الْإِثْمُ فِي أَصْلِ نَفْسِهِ، وَمَلَكَ أَشْرَفَ مَكَانٍ فِيهِ،

وَالْقَلْبُ هُوَ مَحَلُّ تَحْمُلِ الشَّهَادَةِ وَالْعَقَائِدِ وَالنِّيَّاتِ.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ،

وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَكُتْمُ الشَّهَادَةِ»<sup>(٢)</sup> وَالشَّهَادَةُ حُجَّةٌ شَرْعِيَّةٌ تُظْهِرُ الْحَقَّ

وَلَا تُوجِبُهُ، فَهِيَ الْإِخْبَارُ بِمَا عَلِمَهُ بِلَفْظٍ خَاصٍّ.

\*\*\*

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ

تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٥﴾.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٠٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/١٤١).

## جنة السنة

[٢٨٤] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا.

﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا﴾ تَعْلِنُوا.

﴿مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوْهُ﴾ تَسْرُوْهُ.

﴿يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ وَالصَّحِيْحُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ عَامَةٌ، تَلْخِيْصُهُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحَاسِبُ بِكُلِّ عَيْدِهِ.

﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ الذَّنْبَ الْعَظِيْمَ.

﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ عَلَى الذَّنْبِ الْحَقِيْرِ، وَكُلُّ مَا يَفْعَلُهُ عَدْلٌ - سَبْحَانَهُ -. قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَعَاصِمٌ، وَيَعْقُوبُ: (فَيَغْفِرُ) وَ(يُعَذِّبُ) بَرَفْعِ الرَّاءِ وَالْبَاءِ عَلَى الْاِبْتِدَاءِ؛ أَي: فَهُوَ يَغْفِرُ وَيُعَذِّبُ، وَالْبَاقُونَ: بِالْجَزْمِ عَطْفًا عَلَى جَوَابِ الشَّرْطِ<sup>(١)</sup>، وَأَدْغَمَ الرَّاءَ فِي اللَّامِ أَبُو عَمْرٍو، وَأَظْهَرَ الْبَاءَ عِنْدَ الْمِيْمِ بَعْدَ سَكُونِهَا وَرَشَّ، وَابْنُ كَثِيْرٍ، بِخِلَافٍ عَنِ الثَّانِي، وَأَدْغَمَهَا الْبَاقُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْإِسْكَانِ فِي الْمِيْمِ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾ فَيَقْدِرُ عَلَى الْإِحْيَاءِ وَالْمَحَاسِبَةِ.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٠٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٥)، و«الكشف» لمكي (١/٣٢٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (١/٣١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٢٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/٣٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٣٠).

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ  
وَمَلَائِكَتِهِ ۚ وَكُتُبِهِ ۚ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا  
وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ۝ .

[٢٨٥] ﴿ ءَامَنَ ﴾ صدق .

﴿ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾ فهو جازمٌ في أمره غيرُ شكٍّ فيه .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ﴾ أي : كلُّ واحدٍ منهم .

﴿ ءَامَنَ بِاللَّهِ ﴾ ولذلك وَحَدَّ الفعل .

﴿ وَمَلَائِكَتِهِ ﴾ لتحقيقِ كمالِ العظمةِ في خلقهم وانقيادهم ودخولهم في  
الملك ، وتقديمِ الملائكةِ لا إشعاراً<sup>(١)</sup> فيه بأفضليَّتهم على الرُّسُلِ بواسطةِ  
تأخيرهم ذِكْرًا ؛ لأنَّ الغرضَ المسوقَ له الكلامُ مدحٌ من صدقَ بالغيبِ ، فما  
كانَ أدخَلَ في الغيبِ كانَ تقديمه أهمَّ ، والمدحُ عليه أتمُّ ، رعايةً للمقامِ باعتبارِ  
ما سبقَ له المقالُ ، فتقديمُ ما اشتدَّ فيه الغيبُ حقُّ السياقِ ، وصرحَ بالرسْلِ  
دونَ الأنبياءِ ، مع أن الإيمانَ بالأنبياءِ مستلزمُ الإيمانِ بالرسْلِ ، ولا عكسَ ،  
لأنَّ بالتبليغِ قامتِ الحجَّةُ ، واستقامتِ المحجَّةُ ، وهم المخبرونَ عن المستترِ  
علمه بأمر الله لهم ، فالتنصيصُ عليهم أنسبُ بالحال .

﴿ وَكُتُبِهِ ﴾ لما اشتملتُ عليه من إرشادِ العبيدِ إلى معبودهم . قرأ حمزةُ ،  
والكسائيُّ ، وخلفٌ : ( وَكُتَابِهِ ) بالألفِ على التوحيدِ ، يعني : القرآنُ ،  
والباقونَ : بغيرِ ألفٍ على الجمعِ ؛ لقوله : ﴿ وَمَلَائِكَتِهِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) في «ت» : «لا شعار» .

(٢) انظر : «الحجة» لأبي زرعة (ص : ١٥٢) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ١٩٦) ، =

﴿وَرُسُلِهِ﴾ أي: بما جاءت به عن الله، فبان أن المصير إليه سبحانه في سائر الأشياء، وجميع الأحوال، فالرسول والمؤمنون يقولون:

﴿لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض؛ كاليهود والنصارى. قرأ يعقوب: (لا يُفَرِّقُ) بالياء، فيكون خبراً عن الرسول، ومعناه: لا يفرق الكل، وقرأ الباقون: بالنون على المعنى الأول<sup>(١)</sup>.

﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا أَجْبِنًا.

﴿وَأَطَعْنَا﴾ دَخَلْنَا فِي الطاعة، وهذا تمام المدح لهم؛ حيث ضَمُّوا إِلَى الاعتقاد بِالْجَنَانِ التُّطَقَ بِاللِّسَانِ، رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَ جَبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ فَسَلِّ تَعْطَهُ، فَقَالَ بِتَلْقِينِ جَبْرِيلَ إِيَّاهُ: غُفْرَانَكَ»<sup>(٢)</sup>؛ أي: اغفر.

= و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٥)، و«الكشف» لمكي (١/١٧١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (١/٣١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٣١).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/٣١٥)، و«الكشاف» للزمخشري (١/١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٣٢).

(٢) روى ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣/١٥٣)، عن حكيم بن جابر - رضي الله عنه - قال: لما أنزلت على رسول الله ﷺ: «أمن الرسول...» قال جبريل: «إن الله عز وجل قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك، فسل تعطه، فسأل: «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها». انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان عند تفسير الآية (١٣١) من سورة البقرة، و«روح البيان» للآلوسي عند تفسير الآية (٢٨٤) من السورة، وذكر الآلوسي قول الزمخشري بأنه طعن - على عادته - في القراءات =

## جنة السنة

﴿عَفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ المرجعُ بعدَ الموتِ، وهي عبارةٌ عامَّةٌ شاملةٌ لمآلِ العبدِ في كلِّ أمرٍ وكلِّ نازلةٍ.

\*\*\*

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٢٨٦).

[٢٨٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: طاقتها، والوسعُ: خلافُ الضيقِ، وهو ما يسعُ الشيءَ ولا يضيِّقُ عليه، قال ابنُ عباسٍ: «هُمُ الْمُؤْمِنُونَ خَاصَّةً، وَسَعَ عَلَيْهِمْ أَمْرَ دِينِهِمْ، وَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ إِلَّا مَا يَسْتَطِيعُونَ»<sup>(١)</sup>، والتكليفُ: إلزامُ الكلفةِ على المخاطبِ، فلا يكلفُ معدومٌ حالَ عدمه بالاتفاق، ونكَّرَ نَفْسًا؛ لأنه أوفى بالشيوع، وأولى بالشُّمول. قرأ أبو عمرو: (المَصِيرُ لَا يُكَلِّفُ) بإدغامِ الراءِ في اللام.

﴿هُمَا﴾ أي: للنفسِ.

﴿مَا كَسَبَتْ﴾ من أعمالِ البرِّ.

﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من اقترافِ ما يُوقِعُها في الحرجِ، وكان بنو

= السبع إذا لم تكن على قواعد العربية، ومن قواعدهم أن الراء لا تدغم إلا في الراء؛ لما فيها من التكرار الفائق بالإدغام في اللام. ثم قال الألوسي: وقد يجاب بأن القراءات السبع متواترة، والنقل بالمتواتر إثبات علمي، وقول النحاة نفي ظني. وقد أجاب أبو حيان بأن قول الزمخشري الذي ذكره ليس مجمعاً عليه عند النحاة. والله أعلم.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣١٦/١).

## جنة السنة

إسرائيل إذا نسوا شيئاً مما أمروا به، أو أخطؤوا، عَجَلَتْ لهم العقوبة، فأمر المسلمون بالدُّعاءِ برفع ذلك عنهم بقولهم:

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا ﴾ تعاقبنا.

﴿ إِن نَسِينَا ﴾ غفلنا.

﴿ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ جهلنا.

﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا ﴾ ثِقلاً، وأصل الإِصْرِ: العَقْدُ والإِحْكَامُ.

﴿ كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ يعني: اليهود، فلم يقوموا به، فعذبتهم.

﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا ﴾ تكلفنا.

﴿ مَا لَأَطَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ من الأعمالِ الشاقَّةِ، وهو كلُّ ما نضعفُ عن حمليهِ.

﴿ وَأَعْفُ عَنَّا ﴾ بمحو ذنوبنا، فلا يبقى لها أثرٌ.

﴿ وَأَغْفِرْ لَنَا ﴾ تَفَضَّحْنَا. قرأ أبو عمرو: (وَأَغْفِرْ لَنَا) بإدغام الراء في

اللام<sup>(١)</sup>.

﴿ وَأَرْحَمْنَا ﴾ بإيصالِ فضلك، وإتصالِ كرمك، وعن ابنِ عباسٍ: «أَنَّ

النبي ﷺ لما دعا بهذه الدعواتِ قِيلَ لَهُ عِنْدَ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا: قَدْ فَعَلْتُ»<sup>(٢)</sup>.

﴿ أَنْتَ مَوْلَانَا ﴾ سيدنا ووليُّنا.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ١٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٣٣).

(٢) رواه مسلم (١٢٦)، كتاب: الإيمان، باب: بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق.



﴿ فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ فما النصرُ إلا من عندك؛ لأنك سيدٌ، والسيدُ ينصرُ عبده، وصرَّحَ بوصفهم بالكفر؛ لأنه الحاملُ على المباينة، والداعي إلى المقاتلة، ولا يخفى ما في طلب ذلك من إرشاد المؤمن إلى ترك الكافر وموادته والإبعاد عن مصادقته، وفي الآية إشعارٌ بأن المعادة في الدين مطلوبة، وأن الهجران في الله ليس من التقاطع المذموم، بل ورد في الحديث: عَدُّ الْبُغْضِ فِي اللَّهِ مِنَ الْإِيمَانِ.

قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْفِي عَامٍ، فَأَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَلَا تُقْرَأُ فِي دَارٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبَهَا شَيْطَانٌ»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ، كَفَتَاهُ»<sup>(٢)</sup>.

وكان مُعَاذٌ إِذَا خَتَمَ الْبَقْرَةَ يَقُولُ: آمِينَ<sup>(٣)</sup>، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: هَذَا يُنْظَرُ بِهِ أَنَّهُ رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ، فَكَمَالٌ، وَإِنْ كَانَ بِقِيَاسِ عَلَى سُورَةِ الْحَمْدِ مِنْ حَيْثُ هُنَاكَ دَعَاءٌ، وَهُنَا دَعَاءٌ، فَحَسَنٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ<sup>(٤)</sup>.

\* \* \*

(١) رواه الترمذي (٢٨٨٢)، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في آخر سورة البقرة، وقال: حسن غريب، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٠٣)، وغيرهما عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه -.

(٢) رواه البخاري (٤٧٢٢)، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل سورة البقرة، ومسلم (٨٠٧)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، عن أبي مسعود البدي - رضي الله عنه -.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧٩٧٦).

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣٩٥ / ١).



مدينة آيها مئتا آية، وحروفها أربعة عشر ألفاً، وخمسة مئة، وخمسة وعشرون حرفاً، وكلمتها ثلاثة آلاف وأربع مئة وثمانون كلمة، وحكى النقاش أن اسم هذه السورة في التوراة: طيبة<sup>(١)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قدم وفد نجران<sup>(٢)</sup> من النصارى على رسول الله ﷺ، وزعموا أن عيسى ابن الله، فكذبهم رسول الله ﷺ، فخاصموا جميعاً في أمره، فقطع حجتهم بالأدلة الواضحة، فأنزل الله صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها<sup>(٣)</sup>، فقال - عز وجل -:

﴿الْعَمَّ﴾ .

[١] ﴿الْعَمَّ﴾ تقدم تفسيره، ومذهب أبي جعفر في تقطيع الحروف أول

سورة البقرة.

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/١٤٠).

(٢) جاء على هامش «ظ»: «نجران» مدينة بالحجاز.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/٣٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤).

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ﴿٢﴾ .

[٢] ﴿ اللَّهُ ﴾ ابتداء .

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ خبرٌ . قرأ أبو جعفر، وأبو بكر، بخلافٍ عن الثاني : بسكون الميم، الله : بقطع الألف للابتداء على لغةٍ من يقطعُ ألفَ الوصل<sup>(١)</sup>، وإذا قرىء (الماللة) بالوصل على مذهب العامة، جاز لكلٌ من القراء في الياء من (ميم) المدِّ والقصر، وفتح الميم وصلاً لالتقاء الساكنين تخفيفاً<sup>(٢)</sup> .

﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ نعتٌ له، وتقدّم تفسيرُهُما في آية الكرسي .

\*\*\*

﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ ﴿٣﴾ .

[٣] ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ أي : القرآن .

﴿ بِالْحَقِّ ﴾ بالصدق . قرأ أبو عمرو : (الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) بإدغام الباء، في الباء واختلف عن رويس .

﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ لما قبله من الكتب .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (١/٣٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٠٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص : ١٠٥)، و«الكشاف» للزمخشري (١/١٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢) .

## جنة السنة

﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ ﴾ الضياء والنور. قرأ نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وابن ذكوان: (التَّوْرَةَ) بالإمالة كيف أتت في جميع القرآن، بخلاف عن قالون<sup>(١)</sup>.

﴿ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ إفعال من النَّجَل: الأصل، فهو أصل العلوم والحكم، وإنما قال في القرآن: (نَزَلَ) لأنه نزل مفصلاً، والتنزيل للتكثير، وقال في التوراة والإنجيل: (أَنْزَلَ)؛ لأنهما أنزلا جملة واحدة<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

﴿ مِنْ قَبْلِ هُدَى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾.

[٤] ﴿ مِنْ قَبْلِ ﴾ متعلق بـ «أنزل».

﴿ هُدَى لِّلنَّاسِ ﴾ أي: هادٍ لمن تبعه، والمراد بالناس: موسى وعيسى وأتباعهما.

﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ القرآن المفروق بين الحق والباطل، وكرّره تفخيماً له.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ من كتبه المنزلة.

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ بسبب كفرهم.

﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ غالبٌ ذلّ له كلُّ شيء.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص:

١٠٥)، و«الكشف» لمكي (١/١٨٣-١٨٤)، و«الغيث» للصفاسي (ص:

١٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/٣٢٠).

﴿ ذُو أَنْقَامٍ ﴾ عقوبة شديدة .

\*\*\*

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْفِي عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ ﴿٥﴾ .

[٥] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْفِي عَلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ من الأشياء .

﴿ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ عَبَّرَ عن إدراك جميع الأشياء بذكر الأرض والسماء؛ لأنهما محلُّ لها .

\*\*\*

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٦﴾ .

[٦] ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ من الصور المختلفة من الذكورة والأنوثة .

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ وهذا ردُّ على وفدِ نجران من النصارى حيث قالوا: عيسى ولدُ الله، أو الله؛ لأنَّ من صوَّرَ في الرحمِ يمتنعُ أن يكونَ إلهاً أو ولداً لله؛ لكونه مُرَكَّباً وحالاً في مركَّب، ولتعاقُبِ الفناءِ عليه، قال ﷺ: «يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَمَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فيقولُ: يَا رَبِّ! أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فيُكْتَبانِ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فيُكْتَبانِ، ويُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَثَرُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ، ثُمَّ يَطْوِي الصُّحُفَ، فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ»<sup>(١)</sup> .

(١) رواه مسلم (٢٦٤٤)، كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الأدمي، عن حذيفة بن أسيد - رضي الله عنه - .

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ ﴾ .

[٧] ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ متقنات<sup>(١)</sup> مفصلات،

من الإحكام، فلم يدخل فيها شيء من الاشتباه، والمُحْكَمُ: ما ازداد ووضوحاً على المفسر.

﴿ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أي: أصله الذي تُعْمَلُ عليه الأحكام، وقوله: ﴿ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ولم يقل: أمّهات جمعاً؛ لأن الآيات في الحكم بها بمنزلة آية واحدة.

﴿ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ المتشابهة: ضد المحكم، وهو ما استأثر الله بعلمه؛ لأنه اشبه مراد المتكلم على السامع؛ لاحتمال وجوده، وحكمه التوقف فيه أبداً، فإن قيل: كيف فرق هاهنا بين المحكم والمتشابه وقد جعل كل القرآن محكماً في قوله: ﴿ الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ﴾ [هود: ١] وجعل كله متشابهاً في قوله: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ [الزمر: ٢٣]؟ فالجواب عن الأول: إن المراد أنه كله حق ليس فيه عيب، وعن الثاني: أنه يشبه بعضه بعضاً في الحسن والصدق، وجعل بعضه هنا محكماً وبعضه متشابهاً أراد بالمحكم: الذي يُعْمَلُ به، ولا يدخله تغيير كالناسخ والمتشابه المنسوخ.

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أي: ميل عن الحق.

(١) في «ن»: «منقاة».

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾ المعنى: الزائغون يتعلقون من المتشابه بما يوافق هواهم ظاهراً، وهم وفدُ نجران، خاصموا النبي ﷺ في عيسى، وقالوا: ألسنتُ تزعمُ أنه كلمةُ الله وروحُ منه؟ قال: «بلى» قالوا: حَسْبُنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ (١).

﴿أَتَبَعَاءَ﴾ طلب.

﴿الْفِتْنَةَ﴾ الشُّرْكَ.

﴿وَأَتَبَعَاءَ تَأْوِيلَهُ﴾ أي: تفسيره بما يشتهون.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ أي: المتشابه.

﴿إِلَّا اللهُ﴾ والخلقُ متعبِدُونَ في المتشابهِ بالإيمانِ به، وفي المحكمِ بالإيمانِ به والعملِ، ويحرّمُ تفسيره برأيٍ واجتهادٍ بلا أصلٍ. والوقفُ التأمُّ على قوله: (إلا الله) عند الأكثر (٢).

﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ المتمكّنون.

﴿فِي الْعِلْمِ﴾ هم الذين ثبتوا فيه، وتمكّنوا منه؛ لأن أصلَ الرسوخِ الثبوتُ.

﴿يَقُولُونَ أَمْثَلَهُ﴾ معناه: الراسخون لا يعلمون تأويله، بل يؤمنون به.

﴿كُلٌّ مِّنَ﴾ المحكمِ والمتشابهِ من.

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣/١٧٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/٥٩٦)، عن الربيع.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/٣٢٤).

## جنة السنة

﴿عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ يَتَعَطُّ بِمَا فِي الْقُرْآنِ .

﴿إِلَّا أَوْلُوا آلَ الْبَيْتِ﴾ ذُوو الْعُقُولِ .

\*\*\*

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿رَبَّنَا﴾ أي : ويقول الراسخون : ربنا .

﴿لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا﴾ أي : ثَبِّتْهَا عَلَى الْإِيمَانِ ، وَلَا تَمِلْنَا عَنِ الْحَقِّ .

﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ وَفَقَّتْنَا .

﴿وَهَبْ لَنَا﴾ أَعْطِنَا .

﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾ مِنْ عِنْدِكَ .

﴿رَحْمَةً﴾ تَوْفِيقًا .

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ لِكُلِّ سُؤْلِ .

\*\*\*

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلَفُ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ أي : فِي يَوْمٍ .

﴿لَا رَيْبَ﴾ أي : لَا شَكَّ .

﴿فِيهِ﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ .

﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلَفُ﴾ الْمَوْعِدَ ، وَحَكَى الْبَغْوِيُّ قَوْلًا أَنَّ الرَّاسِخَ



## جنة السنة

في العلم مَنْ وُجِدَ فِيهِ أَرْبَعَةٌ أَشْيَاءَ: التَّقْوَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَالتَّوَضُّعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلْقِ، وَالزَّهْدُ فِي الدُّنْيَا، وَالمَجَاهِدَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ (١).

\*\*\*

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ (١٠).

[١٠] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ ﴾ تنفع.

﴿ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ أي: لن تدفع عنهم الأموال شيئاً من الله. يسكت حمزة في: (شَيْءٌ وَشَيْءٌ وَشَيْئًا) حيث وقع.

﴿ وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ اسم لما يُوقَدُ، والمراد: من كفر بالنبي ﷺ. تلخيصه: لا مخلص للكفار من النار.

\*\*\*

﴿ كَذَابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١١).

[١١] ﴿ كَذَابٍ ﴾ كعادة.

﴿ ءَالٍ فِرْعَوْنَ ﴾ والدَّابُّ مصدرٌ دَابَّ فِي الْعَمَلِ: جَدَّ فِيهِ، وَأَصْلُهُ الْمَلَاذِمَةُ وَالدَّوَامُ. تلخيصه: عادة أو لاء كعادة أولئك.

﴿ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ من كفار الأمم الماضية.

﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ أي: كلهم كفروا.

﴿ فَأَخَذَهُمْ ﴾ أي: فعاقبهم.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/٣٢٥).

## جنة السنة

﴿ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ تهويلٌ للمخالفة.

\*\*\*

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (١٢).

[١٢] ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني: كفار مكة.

﴿ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بالياء فيهما؛ أي: إنهم يُغلبون ويُحشرون، والباقون بالتاء على الخطاب؛ أي: قل لهم: إنكم ستُغلبون وتُحشرون<sup>(١)</sup>، والغلبة: القهر، والحشر: السوق. المعنى: إنهم يُقهرون في الدنيا يوم بدر، ويُساقون في الأخرى.

﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾ من الجهنام، وهي البئر العميقة.

﴿ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ الفراش.

فلما نزلت هذه الآية، قال لهم النبي ﷺ يوم بدر: «إِنَّ اللَّهَ غَالِبُكُمْ وَحَاشِرُكُمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ»<sup>(٢)</sup>.

ثم خاطب كفار قريش مشيراً إلى وقعة بدر فقال:

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٦)، و«الكشف» لمكي (١/٣٢٥-٣٢٦)، و«تفسير البغوي» (١/٣٢٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩/٢).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٥١)، و«تفسير الطبري» (٣/١٩٢)، و«تفسير البغوي» (١/٣٢٧).

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ ولم يقل: كانت، والآية مؤنثة؛ لأنه ردها إلى البيان؛ أي: قد كان لكم بيان، فذهب إلى المعنى؛ أي: قد ظهر لكم دلالة على صدق قولي<sup>(١)</sup>: أنكم تغلبون.

﴿ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ فِرْقَتَيْنِ. قرأ أبو جعفر: (فَيْتَيْنِ) و(فِيَّة) بفتح الياء بغير همز<sup>(٢)</sup>.  
﴿ الْتَقَتَا ﴾ يوم بدر، إحداهما.

﴿ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي: في طاعته، وهم النبي ﷺ وأصحابه، وكانوا ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً، معهم فرس للمقداد ابن عمرو، وفرس لمرثد بن أبي مرثد، وسبعون بغيراً، وستة أدرع، وثمانية سيوف، وأكثرهم رجالة.

﴿ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ وهم كفار قريش، كانوا تسع مئة وخمسين رجلاً من المقاتلة، وكان حرب بدر أول مشهد شهدته رسول الله ﷺ.

﴿ يَرَوْنَهُمْ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب: بالتاء خطاباً لليهود؛ لأن منهم من حضر الواقعة ينظر لمن الكفرة، وقرأ الباقر: بالغيب؛ أي: يرونهم المسلمون<sup>(٣)</sup>.

(١) «قولي»: ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩/٢).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٢)، =

﴿ مَثَلِيهِمْ ﴾ كان المسلمون يرون المشركين مثلي عدد أنفسهم، قلَّ لهم اللهُ في أعينهم حتى رأوهم [سِتِّ مِئَةٍ وَسِتَّةَ وَعَشْرِينَ رَجُلًا، ثُمَّ قَلَّلَهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ فِي حَالَةٍ أُخْرَى حَتَّى رَأَوْهُمْ مِثْلَ عَدَدِ أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ قَلَّلَهُمْ أَيْضًا فِي أَعْيُنِهِمْ حَتَّى رَأَوْهُمْ] <sup>(١)</sup> عددًا يسيراً أقلَّ من أنفسهم، وقيل غير ذلك، وهذا التأويل هو الأصح.

﴿ رَأَى أَلْعَيْنَ ﴾ بارزاً ظاهراً.

﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ ﴾ يُقَوِّي .

﴿ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ قرأ أبو جعفر، وورش: (يُؤَيِّدُ) بفتح الواو وبغير همز، واختلف عن عيسى صاحب أبي جعفر <sup>(٢)</sup>.

﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ ﴾ الذي ذكرت.

﴿ لَعِبْرَةً ﴾ لاعتباراً.

﴿ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ لذوي العقول والنظر، وتقدّم اختلاف القراء في حكم <sup>(٣)</sup> الهمزتين في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣] وكذلك اختلافهم في قوله: ﴿ مَنْ يَشَاءُ ابْتِغَاءً ﴾.

= و«تفسير البغوي» (٣٢٨/١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٣٨/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠/٢).

(١) ما بين معكوفتين ساقط من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٣)، و«إملاء ما من به الرحمن» للعكبري

(١/٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١/٢).

(٣) «حكم»: ساقطة من «ن».

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ ﴾ ﴿١٤﴾ .

[١٤] ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ جمع شهوة، وأصل الشهوة: نزوع النفس إلى ما تريده .

﴿ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ بدأ بهنَّ؛ لأنهنَّ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ .

﴿ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ ﴾ جمع القنطار<sup>(١)</sup>، وهو المال الكثير، وَسُمِّيَ قَنْطَارًا مِنَ الْإِحْكَامِ، يُقَالُ: قَنْطَرْتُ الشَّيْءَ: إِذَا أَحْكَمْتَهُ، وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْقَنْطَرَةُ .

﴿ الْمُقَنْطَرَةُ ﴾ المضعفة .

﴿ مِنَ الذَّهَبِ ﴾ سمي ذهباً؛ لأنه يذهب ولا يبقى .

﴿ وَالْفِضَّةِ ﴾ لأنها تنفض؛ أي: تتفرق .

﴿ وَالْخَيْلِ ﴾ من الخيلاء، لا واحد له من لفظه، وواحدُها فَرَسٌ .

﴿ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ المعلّمة، والسّيما: العلامة .

﴿ وَالْأَنْعَامِ ﴾ جمع النّعم؛ أي: الإبل والبقر والغنم .

﴿ وَالْحَرْثِ ﴾ الزرع .

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: المذكور .

﴿ مَتَاعٌ ﴾ يتمتع به يسيراً في .

﴿ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ثم يزول .

(١) في «ن»: «القناطر» .

## جنة السنة

﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ المرجع، وهذا تزهيدٌ في الدنيا، وترغيبٌ في الآخرة<sup>(١)</sup>. قرأ أبو عمرو: (وَالْحَرْثُ ذَلِكَ) بإدغام التاء في الذال، وأدغم النون في اللام من: (زَيْنٌ لِلنَّاسِ)<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

﴿ قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [١٥].

[١٥] ﴿ قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ ﴾ أخبركم. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورؤيس: بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية، وقرأ الباقون: بتحقيق الهمزتين، وفصل بينهما بألف أبو جعفر، واختلَفَ عن أبي عمرو وقالون، وهشام<sup>(٣)</sup>.

﴿ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ من الأقدار.  
﴿ وَرِضْوَانٌ ﴾ أي: رضا.

﴿ مِّنَ اللَّهِ ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم: (وَرُضْوَانٌ وَرُضْوَانًا) بضمّ الراء

(١) في «ش»: «الآخرة».

(٢) انظر: «الإتقان» للسيوطي (١/١١٣)، في النوع الحادي والثلاثين.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرة (ص: ١٥٧)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٤)، و«إملاء ما من به الرحمن» للعكبري (١/٧٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/٣٩٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٢).

## جنة السنة

حيث وقع، إلا قوله: ﴿مَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَكُمْ﴾ ثاني المائة، والباقون:  
بالكسر، وهما لغتان؛ كالعُدوان والعُدوان<sup>(١)</sup>.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ فيثيب المحسن، ويعاقب المسيء.

\*\*\*

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ  
النَّارِ﴾ [١٦].

[١٦] ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا﴾ صدقنا.

﴿فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ استرّها علينا، وتجاوز عنا.

﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ صفة للمتقين

\*\*\*

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ  
بِالْأَسْحَارِ﴾ [١٧].

[١٧] ﴿الصَّابِرِينَ﴾ عن ارتكاب المعاصي والشهوات.

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في السرِّ والعلانية.

﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ المطيعين.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٣)،  
و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٦)، و«الكشف» لمكي (١/٣٣٧)، و«الغيث»  
للصفاقي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/٣٣٠)، و«التيسير» للداني  
(ص: ٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٨)، و«إتحاف  
فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٣).

## جنة السنة

﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ أموالهم في طاعة الله .

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ أي: المصلين .

﴿بِالْأَسْحَارِ﴾ جمع سَحَرٍ، وهو من ثلث الليل الآخر إلى الفجر،  
وأصله: الخفاء؛ للطفه. المراد: الإعلام أن الجنة أُعدت لجميع  
المذكورين .

\*\*\*

ونزل في نصارى نجران:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا  
إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨)

[١٨] ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ أي: بيّن وأعلم .

﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ أي: وشهدت الملائكة .

﴿وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ هم الأنبياء والمؤمنون المثبتون التوحيد، شهدوا بذلك،  
وأقرّوا به اعتقاداً، والعلم: هو إدراك الشيء على ما هو به .

﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ أي: مقيماً بالعدل وتدبير الخلق، ونصبه حال مؤكدة  
من الله، ونظم الآية: شهد الله قائماً بالقسط، وتقدّم الكلام على تغليظ  
اللام من اسم الله في (شهد الله) وشبهه في أول سورة الفاتحة<sup>(١)</sup> .

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فهو الموصوفُ بهما .

\*\*\*

(١) في «ن»: «البقرة» .



﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ﴿١٩﴾ .

[١٩] ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ يعني: الدين المرضي الصحيح، والإسلام هو الدخول في السلم، والانقياد والطاعة. المعنى: الإسلام: العدل والتوحيد، وهما الدين عند الله لا غير. قرأ الكسائي: (أَنَّ الدِّينَ) بفتح الألف ردًّا على أَنَّ الأولى، تقديره: شهد الله أَنَّهُ لا إلهَ إِلاَّ هُوَ، وشهدَ أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ، وقرأ الباقون: بكسر الألف على الابتداء<sup>(١)</sup>. ونزل<sup>(٢)</sup> في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام:

﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ في نبوة محمد ﷺ .

﴿ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ في التوراة أنه نبيُّ حَقٍّ، فكذبوا، وأشركوا؛ بأن ثلث<sup>(٣)</sup> النصارى، وقالت اليهود: عزيز ابن الله .

﴿ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ أي: طلباً للملك والرياسة، فسلب الله عليهم الجبارة .

﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ وعيد لمن كفر بسرعة

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٧)، و«الكشف» لمكي (١/٣٣٨)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/٣٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٥).

(٢) في «ت»: «ونزلت» .

(٣) في «ن»: «وثلث» .

## جنة السنة

مجيء<sup>(١)</sup> يوم القيامة والحساب؛ إذ هي متيقنة الوقوع، وكلُّ آتٍ قريبٌ.

\*\*\*

﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلَمْتُ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

[٢٠] ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ ﴾ أي: خاصمك يا محمدُ أهل الكتاب في الدين .

﴿ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ ﴾ أي: أخلصت عبادتي .

﴿ لِلَّهِ ﴾ وانقدت إليه بجميع جوارحي، وخصَّ الوجه بالذكر؛ لأنه أكرمُ جوارح الإنسان، وفيه بهاؤه، وإذا خضع وجهه، خضع سائر جوارحه. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وحفصٌ: (وَجْهِيَ) بفتح الياء، والباقون: بالإسكان<sup>(٢)</sup>.

﴿ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ أي: أسلم كما أسلمت. أثبت نافعٌ، وأبو عمرو، وأبو جعفرٍ الياء في قوله: (اتَّبَعَنِي) حالة الوصل، وأثبتها يعقوبٌ وصلًا ووقفًا، وحذفها الباقون في الحالين؛ لأن رسمها في المصحف بغير ياء<sup>(٣)</sup>.

(١) «مجيء» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٢)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦/٢).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٣)، و«الكشف» لمكي (١/٣٧٤)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/٣٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات =

## جنة السنة

﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ اليهود والنصارى .

﴿ وَالْأُمِّيِّينَ ﴾ مشركي العرب .

﴿ ءَاسَلَمْتُمْ ﴾ استفهام، ومعناه أمر؛ أي: أسلموا؛ كقوله: ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]، وتقدم اختلاف القراءة في حكم الهمزتين من كلمة في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ءَأَنْذَرْتَهُمْ ﴾ [البقرة: ٦]، وكذلك اختلافهم في قوله: ﴿ ءَاسَلَمْتُمْ ﴾ .

﴿ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدْ أَهْتَدَوْا ﴾ لخروجهم من الضلال إلى الهدى .

﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ عن الإيمان .

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ ﴾ بتبليغ الرسالة دون الهداية .

﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ بمن يؤمن ومن لا يؤمن، ثم نسخت الآية

السيف .

\*\*\*

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّكَ بِغَيْرِ حَقٍّ  
وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ  
أَلِيمٍ ﴾ (٢١)

[٢١] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ ﴾ يجحدون .

﴿ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ يعني: القرآن، وهم اليهود والنصارى .

= العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص:

١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٦).

﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّيِّكَ بِعَيْرِ حَقِّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ قرأ حمزة: (وَيَقَاتِلُونَ الَّذِينَ) بـألف<sup>(١)</sup> مع ضم<sup>(٢)</sup> الياء وكسر التاء من القتال، وقرأ الباقون: بغير ألف مع فتح الياء وضم التاء، من القتل<sup>(٣)</sup>، معناه: إن كفار بني إسرائيل قتلوا أنبياءهم وأتباعهم عناداً.

﴿ فَبَشِّرْهُمْ ﴾ أخبرهم.

﴿ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ وجيع.

\*\*\*

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴾ ﴿٢٢﴾ .

[٢٢] ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ ﴾ بطلت.

﴿ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴾ بدفع العذاب عنهم، فبطلان العمل في الدنيا عدم القبول، وفي الآخرة عدم المجازاة عليه. ونزلت في اليهود لما دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، فأبوا:

\*\*\*

(١) «بألف» ساقطة من «ش».

(٢) «ضم» ساقطة من «ش».

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣١٧)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٨)، و«الكشف» لمكي (١/٣٣٨-٣٣٩)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/٣٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٨-٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨/٢).

﴿ أَلَزَّتْ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٢٣).

[٢٣] ﴿ أَلَزَّتْ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا ﴾ خطأ.

﴿ مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ أي: التوراة.

﴿ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ قرأ أبو جعفر: (لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ) بضم الياء وفتح الكاف، والباقون: بفتح الياء وضم الكاف<sup>(١)</sup>، وتقدم توجيهه قراءتهم في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [الآية: ٢١٣].

﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ عن قبول الحق.

\*\*\*

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴾ (٢٤).

[٢٤] ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: التولي والإعراض.

﴿ بِأَنَّهُمْ قَالُوا ﴾ أي: بسبب قولهم:

﴿ لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ فَسَهَّلُوا أَمْرَ الْعَذَابِ بِاعْتِقَادِهِمْ الزَّائِعِ<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/١٨٢)، و«تفسير القرطبي» (٤/٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٩) و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٨).

(٢) «فسهلوا... الزائع» ساقط من «ش».

## جنة السنة

﴿ وَعَرَّهْمُ ﴾ والغرّ: الطمعُ فيما لا يحصلُ منه شيءٌ.  
﴿ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ والافتراءُ: اختلاقُ الكذبِ.

\*\*\*

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ  
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [٢٥].

[٢٥] ﴿ فَكَيْفَ ﴾ يصنعون.

﴿ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ وهو يومُ القيامةِ .  
﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ من أهلِ الكتابِ وغيرهم<sup>(١)</sup>.  
﴿ مَا كَسَبَتْ ﴾ من خيرٍ أو شرٍّ.

﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ لا يزدادُ في سيئاتِهِمْ، ولا يُنقصُ من حسناتِهِمْ. قال  
ابنُ عباسٍ وأنسُ بنُ مالكٍ: «لما افتتحَ رسولُ الله ﷺ مكةَ، وعدَّ أُمَّتَهُ مُلْكَ  
فارسَ والرومِ، فقالَ المنافقونَ واليهودُ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، مَنْ أَيْنَ لمحمدٍ  
ملكٌ؟! فارسُ والرومُ أعزُّ وأمنعُ من ذلكَ، ألم يكفِ محمداً مكةُ والمدينةُ  
حتى طمعَ في ملكِ فارسَ والرومِ؟! فأنزلَ الله<sup>(٢)</sup>»:

\*\*\*

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ  
وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٢٦].

(١) «وغيرهم» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي» (ص: ٥٢)، و«تفسير البغوي» (١/٣٣٧).

## جنة السنة

[٢٦] ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ الْمِيمُ عَوْضٌ مِنْ حَرْفِ النِّدَاءِ ، وَشَدَّدَتْ لِقِيَامِهَا مَقَامَ حَرْفَيْنِ . مَعْنَاهُ : يَا اللَّهُ .

﴿ مَلِكِ الْمَلِكِ ﴾ أَي : مَالِكِ الْعِبَادِ وَمَا مَلَكُوا .

﴿ تُؤْتِي الْمَلِكِ ﴾ أَي : النُّبُوَّةَ .

﴿ مِنْ تَشَاءُ ﴾ مِنْ خَلْقِكَ .

﴿ وَتَنْزِعُ ﴾ أَي : تُزِيلُ وَتَقْلَعُ .

﴿ الْمَلِكِ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ مِنْهُمْ .

﴿ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾ بِالْمَلِكِ .

﴿ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾ بِنَزْعِهِ مِنْهُ .

﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ أَي : وَالشَّرُّ ، فَكَتَفَى بِذِكْرِ أَحَدِهِمَا ، وَلِأَنَّ الْآيَةَ فِي ذِكْرِ مَا أَعَدَّ لِلْمُؤْمِنِينَ .

﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَى قُدْرَتِهِ الْبَاهِرَةِ بِقَوْلِهِ :

\*\*\*

﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ﴿٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿ تُولِجُ ﴾ تَدْخُلُ .

﴿ أَلَيْلَ فِي النَّهَارِ ﴾ حَتَّى يَصِيرَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَاعَةً ، وَاللَّيْلُ تِسْعَ سَاعَاتٍ .

﴿ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ حَتَّى يَصِيرَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَاعَةً ، وَالنَّهَارُ تِسْعَ

سَاعَاتٍ ، فَمَا نَقَصَ مِنْ هَذَا ، زَيْدٌ فِي هَذَا .

## جنة السنة

﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ أي: الحيوان من التُّفْطَةِ .

﴿ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ عكسُ الأول، وقيل: المؤمن من الكافر، وعكسه، وقيل غير ذلك. قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وحفص، وخلف: (مِنَ الْمَيِّتِ) (وتخرج الميت) بتشديد الياء حيث وقع (١).

﴿ وَتَرْزُقُ مَنْ نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ من غير تضيق ولا تقدير.

\*\*\*

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾

[٢٨] ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ نزلت نهياً عن مباطنة من يُبْطِنُ الكفرَ ويُظْهِرُ الإيمانَ، وعن مواليتهم. المعنى: اجتنبوا موالاة الكفار، فلکم غُنِيَّةٌ عن مواليتهم بموالاة المؤمنين؛ لأنهم أعداءُ الله، ومن والاهم فقد دخل في عداوة الله، ثم تَهَدَّدَ بهم فقال:

﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴾ أي: ولاء (٢) الكفار.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٧)، و«الكشف» لمكي (١/٣٣٩-٣٤٠)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/٣٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٨).

(٢) في «ن»: «موالاة».



﴿ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ ﴾ أي: من دينه.

﴿ فِي شَيْءٍ ﴾ لأنه منسلخٌ عن ولايةِ الله تعالى ودينه. قرأ الليثُ عن الكسائيِّ: (يَفْعَلُ ذَلِكَ) يادغام اللام في الذال<sup>(١)</sup>، ثم استثنى فقال:

﴿ إِلَّا أَنْ تَكْفُوا مِنْهُمْ تَقَنَّةً ﴾ المعنى: إلا لأجلِ خوفكم منهم أمراً يجبُ الاحترارُ منه، فيداريهم المؤمنُ بلسانهِ وقلبه مُطْمَئِنٌّ بالإيمان. قرأ يعقوبُ: (تَقِيَّةً) بفتح التاء وكسر القافِ وتشديد الياء بعدها، والباقون: بضم التاء وفتح القاف وألف بعدها، وحمزة، والكسائيُّ، وخلفٌ يُميلون الألفَ على أصلهم<sup>(٢)</sup>.

﴿ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ أي: يُخَوِّفُكُمْ عقوبتهُ بأن يغضبَ عليكم بموالاته الكفار.

﴿ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ تحذير أيضاً.

\*\*\*

﴿ قُلْ إِنْ تُخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوْهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٢٩﴾ .

- (١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩/٢).
- (٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٧)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (٣٤٠/١)، و«تفسير القرطبي» (٥٧/١)، و«تفسير الرازي» (٤٣٥/٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٣٩/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠-١٩/١).

## جنة السنة

[٢٩] ﴿ قُلْ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ ﴾ قلوبكم من مودة الكفار .

﴿ أَوْ تُبَدُّوهُ ﴾ من موالاتهم .

﴿ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴾ ويجازيكم به .

﴿ وَيَعْلَمُ ﴾ رَفَعٌ عَلَى الاستئناف .

﴿ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فكيف يخفى عليه موالاتكم الكفار؟

﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فيقدر على عقوبتكم .

\*\*\*

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

[٣٠] ﴿ يَوْمَ تَجِدُ ﴾ أي : اذكروا واتقوا يوم تجد .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا ﴾ لم تبخس منه شيئاً .

﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ ﴾ أي : ودَّت .

﴿ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ ﴾ يعني : وبين السوء .

﴿ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ مسافة واسعة .

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ إشارة إلى أنه تعالى إنما

نهاهم وحذّرهم رافة بهم ، ومراعاةً لصلاحهم .

\*\*\*

## جنة السنة

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٣١]

[٣١] ونزل في اليهود والنصارى حيث قالوا: ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّواهُ ﴾ [المائدة: ١٨]: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد:

﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ فأنا رسوله إليكم، فحُبُّ المؤمنين لله أتباعهم أمره، وابتغاء مرضاته، وحُبُّ الله المؤمنين ثوابه لهم، وعفوه عنهم، فذلك قوله تعالى:

﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ لمن تحبب إليه بطاعته.

فلما نزلت هذه الآية، قال عبد الله بن أبي لأصحابه: إن محمداً يجعل طاعته كطاعة الله، يأمرنا أن نحبه كما أحببت النصارى المسيح، فنزل<sup>(١)</sup>:

\*\*\*

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴾ [٣٢]

[٣٢] ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أعرضوا عن طاعتيهما.

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴾ لا يرضى فعلهم، ولا يغفر لهم.

\*\*\*

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَىٰ ابْنَهُ وَمَا عَمَرَٰنَ عَلَىٰ

الْعٰلَمِينَ ﴾ [٣٣]

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدى (ص: ٥٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٤١).

## جنة السنة

[٢٣٣] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَتِ الْيَهُودُ<sup>(١)</sup>: نَحْنُ أَبْنَاءُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَنَحْنُ عَلَى دِينِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ﴾ اختارَ.

﴿آدَمَ﴾ وهو أبو البشر.

﴿وَنُوحًا﴾ واسمُه عبدُ الغفَّارِ بنُ لامخِ بنِ متوشلحِ بنِ حنوخِ - وهو إدريسُ - وُلدَ بعدَ مضيِّ ألفِ وستِّ مئةٍ واثنتينِ وأربعينَ سنةً من هبوطِ آدمَ - عليه السلامِ -، وسُمِّيَ نُوحًا؛ لكثرةِ نُوحِهِ على نفسه، وهو أولُ نبيٍّ بُعثَ إلى كفارٍ، وهو أبونا الأصغرُ، عاشَ ألفاً وأربعَ مئةٍ وخمسينَ سنةً، وقبرُه بكَرْكِ نُوحٍ من أرضِ الشَّامِ.

﴿وَأَلِ إِبْرَاهِيمَ وَأَلِ عِمْرَانَ﴾ أي: إبراهيمَ وعمرانَ أنفَسَهُمَا؛ كقوله: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، وقيل: آلُ إبراهيمَ: إسماعيلُ وإسحاقُ وأولادُهُما، ومحمدٌ ﷺ من أولادِهِما، وآلُ عمرانَ: موسى وهارونُ؛ لأنَّ موسى بنَ عمرانَ بنِ يَصْهَرَ بنِ لاوي بنِ يعقوبَ، والآلُ في اللغة: الأهلُ والقرابةُ. المعنى: اختصَّ اللهُ آدمَ والأنبياءَ المذكورينَ والأنبياءَ من أولادِهِم - عليهم الصلاة والسلامِ أجمعينَ - بالنبوةِ.

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قرأ ابنُ ذكوانَ بخلافِ عنه (عِمْرَانَ) بالإمالةِ حيثُ وقع<sup>(٢)</sup>.

(١) «اليهود» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٢).

﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣٤)

[٣٤] ﴿ ذُرِّيَّةً ﴾ اشتقاقها من ذرأ بمعنى : خلق .

﴿ بَعْضُهَا مِنْ ﴾ ولد .

﴿ بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ بأقوال الناس وأعمالهم .

\*\*\*

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٥) .

[٣٥] ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ ﴾ العاملُ فعلٌ مُضَمَّرٌ تقديره : اذكرُ إذ قالت ، وامرأة عمران هي حنّة بنتُ فاقود ، وعمرانُ بنُ ماثان ، وكان زمنَ زكريا ، فتزوَّجَ زكريا إيساعَ أختَ حنّة ، فكان يحيى وعيسى ابني خالته . و(امرات) رُسِمَتْ بالتاء في سبعة مواضع ، ووقفَ عليها بالهاء ابنُ كثيرٍ ، وأبو عمرو ويعقوب ، والكسائي<sup>(١)</sup> ، وليس هذا بعمران أبي موسى ، كان بينهما ألفٌ وثمان مئة سنة ، فأحبَّت حنّة<sup>(٢)</sup> الولدَ بعدما أسنَّت<sup>(٣)</sup> ، فدعتُ بذلك ، فلما حملتُ ، قالت :

﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ أي : غلاماً محرراً ، ولم تقل : محررةً ؛ لأنهم إنما كانوا يُحرِّرونَ الغلمانَ ، فنذرتُ إن رزقها اللهُ ولداً ،

(١) انظر : «البحر المحيط» لأبي حيان (٤٣٧/٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٧٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٢/٢) .

(٢) «حنّة» سقطت من «ن» .

(٣) في «ن» : «أيست» .

## جنة السنة

جعلته من سدنة بيت المقدس، والنذر: ما يوجبُه الإنسانُ على نفسه، وتقدّم الكلامُ عليه، والخلافُ فيه في سورة البقرة، والمحَرَّرُ: المُعتَقُ؛ من الحرِّ، والحرُّ في الحقيقة الذي لم يُملَكْ، فأرادتُ أن تجعله حرّاً من كلِّ شيءٍ عبداً مخلصاً لله. تلخيصه: أَوْجِبْتُ عَلَيَّ أَنْ أَلْبَسَ فِي بطني عتيقُ مفرغٌ لعبادةِ الله تعالى، لا أشغله بشيءٍ من الدنيا.

﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ ﴾ لِذُعَائِي (١).

﴿ أَلْعَلِيمُ ﴾ بِنِسْبِي، فماتَ عمرانُ وهي حاملٌ بمريمَ، وكان من رؤوسِ بني إسرائيل وأخبارهم. قرأَ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، وابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ (مِنِّي إِنَّكَ) (لِي آيَةٌ) بسكون الياء، والباقون: بفتحها (٢).

\*\*\*

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (٣٦).

[٣٦] ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ ﴾ معتردةً وظناً أن نذرها لا يُقبل؛ لأنوثته.

﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن

(١) في «ن»: ﴿ فَتَقَبَّلْ ﴾ لِذُعَائِي ﴿ مِنِّْي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٢)، و«الكشف» لمكي (١/٣٧٤)،

و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في

القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية»

(٢٢/٢).

عاصم، ويعقوب: (وَضَعْتُ) بضم التاء، جعلوها من كلام أمّ مريم، وقرأ الباقون: بجزم التاء إخباراً عن الله<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ لخدمة بيت المقدس؛ لضعفها ولما يعتريها من الحيض والنّفس وغيرهما مما يلحق النساء.

﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ ومعناه: العابدة، وكانت مريم أجمل النساء في وقتها، ولم يُذكر في القرآن امرأة باسمها سوى مريم، وبقية النساء أشير إليهن؛ كأزواج النبي ﷺ، وامرأة إبراهيم، وأمّ موسى وأخته، وامرأة نوح ولو ط و فرعون، وغيرهن من نساء الأنبياء وغيرهم.

﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا﴾ أجبرها. قرأ نافع، وأبو جعفر: (وَإِنِّي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها<sup>(٢)</sup>.

﴿بِكِ وَدُرِّيَّتَهَا﴾ أولادها.

﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ وتقدّم تفسيره في الاستعاذة، قال ﷺ: «كُلُّ

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٢٥)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٨)، و«الكشف» لمكي (١/٣٤٠-٣٤١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/٣٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٢)، و«الكشف» لمكي (١/٣٧٤)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٢).

بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانَ فِي جَنْبِهِ بِأَصْبُعِهِ حِينَ يُوَلِّدُ غَيْرَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ،  
ذَهَبَ يَطْعُنُ، فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

﴿فَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ  
عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ  
عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٣٧)</sup>.

[٣٧] ﴿فَقَبَلَهَا رَبُّهَا﴾ أي: قبل مريم من حنة.

﴿بِقَبُولٍ﴾ أي: بأمرٍ ذي قبولٍ.

﴿حَسَنٍ﴾ وأصلُ القبول: الرِّضَا؛ أي: سلك بها سبيلَ السُّعْدَاءِ.

﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ سَوَّى خَلْقَهَا، فَكَانَتْ تَنْبُتُ فِي الْيَوْمِ مَا يَنْبُتُ  
الْمَوْلُودُ فِي عَامٍ، وَلَمَّا وَضَعَتْهَا أُمُّهَا حَمَلَتْهَا وَأَتَتْ بِهَا إِلَى الْمَسْجِدِ،  
وَوَضَعَتْهَا عِنْدَ الْأَحْبَارِ وَهُمْ يَلُونُ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مَا يَلِي الْحَجَبَةَ مِنْ  
الْكَعْبَةِ، وَقَالَتْ: دُونَكُمْ هَذِهِ الْمَنْدُورَةُ، فَتَنَافَسُوا فِيهَا؛ لِأَنَّ أَبَاهَا كَانَ مِنْ  
أَثْمَتِهِمْ، فَقَالَ زَكْرِيَّا: أَنَا أَحَقُّ بِهَا؛ لِأَنَّ خَالَتَهَا زَوْجَتِي، فَقَالُوا: لَا حَتَّى  
نَقْتَرِعَ، فَفَرَعَهُمْ زَكْرِيَّا، وَأَخَذَهَا<sup>(٢)</sup>، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا﴾ أي: ضَمَّهَا إِلَيْهِ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ،  
وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (وَكَفَّلَهَا) بتخفيف الفاء (زَكْرِيَّاءُ) بالرفعِ

(١) رواه البخاري (٣١١٢)، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، عن

أبي هريرة - رضي الله عنه - .

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/٣٤٥).



## جنة السنة

على أنه فاعلٌ (وَكَفَّلَهَا)، وقرأ عاصمٌ، وحمزةٌ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَكَفَّلَهَا) بتشديدِ الفاء؛ أي: جعله اللهُ كَفِلاً لها، فأبو بكرٍ عن عاصمٍ ينصبُ الهمزة مع التشديدِ على أنه مفعولٌ به، وبقيةُ الكوفيين يقرؤون (زَكَرِيَّا) مقصوراً بغيرِ همزٍ حيثُ وقع<sup>(١)</sup>. فلما ضَمَّها زكريَّا، بنى لها غرفةً في المسجد، وانقطعت في تلكِ الغرفةِ للعبادةِ، وكان لا يدخلُ على مريمَ غيرُ زكريا فقط، وكان ﴿كَلَّمَادَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا﴾ وهو ابنُ آدَن بنِ مسلمِ بنِ صدوقٍ من أولادِ سليمانَ بنِ داود عليه السلام، عاشَ أكثرَ من مئةِ سنةٍ، وقتلَهُ اليهودُ لعنةَ الله عليهم؛ لأنه لما ولدت مريمُ المسيحَ من غيرِ بعلي، وقعَ اليهودُ في حَقِّه بما لا يليقُ ذكرُه، وطلبوه، فهربَ واختفى في شجرةٍ عظيمةٍ، فقطعوا الشجرةَ، وقطعوا زكريَّا معها، وكان ذلكَ بعدَ ولادةِ المسيحِ بقليلٍ وقبره بذيلِ جبلِ طورِ زيتا بمقابرِ الأنبياءِ بيتِ المقدسِ، وقيل: بقريةِ سبسطيةِ من أرضِ نابلس، وقيل: بجامعِ دمشق، وبينَ وفاتهِ والهجرةِ الشريفةِ الإسلاميةِ سِتُّ مئةٍ ونحو ثلاثينَ سنةً.

﴿أَلْمِحْرَابِ﴾ أي: الغرفة، والمحرابُ: أشرفُ المجالسِ، فكأنها وُضِعَتْ في أشرفِ مكانٍ من المسجدِ، وكان زكريا إذا خرجَ يغلقُ عليها سبعةَ أبوابٍ، فإذا دخلَ عليها.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٢٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦١)، و«السبعة» لابنِ مجاهد (ص: ٢٠٤)، و«الحجة» لابنِ خالويه (ص: ١٠٨)، و«الكشف» لمكي (١/٣٤١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/٣٤٥-٣٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابنِ الجزري (٢/٢٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٤-٢٥).

## جنة السنة

﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ فاكهة الصيف في الشتاء، وعكسه .

﴿ قَالَ يَمْرَمٌ أَنَّى ﴾ أي : من أين .

﴿ لَكَ هَذَا ﴾ الرزق ، والأبواب مغلقة عليك .

﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ أي : من الجنة ، تكلمت وهي صغيرة .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أي : بغير محاسبة .

\*\*\*

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [٣٨]

[٣٨] ﴿ هُنَالِكَ ﴾ أي : عند ذلك .

﴿ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾ وكان قد شاخ وأيس من الولد، فلما رأى قدرة الله، طمع في الولد، و﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي ﴾ أي : أعطني .

﴿ مِنْ لَدُنْكَ ﴾ أي : من عندك .

﴿ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ ولداً صالحاً، والذرية تقع على الواحد والجمع .

﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ سامعه .

\*\*\*

﴿ فَادَّعَاهُ الْمَلَكُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحَارِبِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [٣٩]

[٣٩] ﴿ فَادَّعَاهُ الْمَلَكُ ﴾ أجابته، والمراد جبريل وحده، جمع

تعظيمه . قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (فناداه) بألف مماله إرادة

## جنة السنة

الجمع، وقرأ الباقون: بالتاء؛ لتأنيث لفظ الملائكة<sup>(١)</sup>.

﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ﴾ أي: في المسجد. قرأ ابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ: (المِحْرَابِ) بالإمالة حيثُ وقعَ بالخفضِ، وعنه خلافٌ في غيرِ المخفوض<sup>(٢)</sup>.

﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: (إِنَّ اللَّهَ) بكسرِ الهمزة (يُبَشِّرُكَ): بضمِّ أولِهِ وكسرِ الشينِ مشدداً، وقرأ حمزةٌ: (إِنَّ اللَّهَ) كابنِ عامرٍ (يَبْشُرُكَ) بفتحِ الياءِ وضمِ الشينِ مخففاً، وقرأ الكسائي: (أَنَّ اللَّهَ) بفتحِ الهمزة (يَبْشُرُكَ) كقراءة [حمزة، وقرأ الباقون: (أَنَّ اللَّهَ) بفتحِ الهمزة (يُبَشِّرُكَ) كقراءة<sup>(٣)</sup> ابنِ عامرٍ، فالقراءةُ بكسرِ الألفِ على إضمارِ القولِ، تقديرُهُ: فنادته الملائكةُ فقالت: إن، وبالفتحِ بإيقاعِ النداءِ عليه، كأنه قال: فنادته الملائكةُ بأنَّ، والقراءةُ بضمِّ الياءِ وفتحِ الباءِ وكسرِ الشينِ مشدداً من بَشَّرَ، وهو الأوضحُ، وفتحِ الياءِ وضمِّ الشينِ مُخَفَّفاً من بَشَّرَ، وهي لغةٌ تهامة<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٢)، و«السبعة» لابنِ مجاهد (ص: ٢٠٥)، و«الحجة» لابنِ خالويه (ص: ١٠٨)، و«الكشف» لمكي (١/٣٤٣-٣٤٢)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥-١٧٦)، و«تفسير البغوي» (١/٣٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابنِ الجزري (٢/٤٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/٤٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٦-٢٧).

(٣) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٢٨)، و«السبعة» لابنِ مجاهد (ص: =

## جنة السنة

﴿يَحْيَى﴾ سُمِّيَ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ حَيَّيَ بِهِ الرَّحْمُ الْعَاقِرُ . قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو ، وَحَمْزَةٌ ، وَالْكَسَائِيُّ ، وَخَلْفٌ : (يَحْيَى) بِالْإِمَالَةِ حَيْثُ وَقَعَ (١) .

﴿مُصَدِّقًا﴾ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ؛ أَي : مُؤْمِنًا .

﴿بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ يَعْنِي : عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ أَي : بِكَلِمَةٍ كَائِنَةٍ مِّنَ اللَّهِ بِأَنَّ قَالَ لَهُ : كُنْ مِنْ غَيْرِ أَبِي ، فَكَانَ ، فَوَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ الْكَلِمَةِ ، وَكَانَ يَحْيَى أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِعَيْسَى وَصَدَّقَهُ ، وَكَانَ أَسَنَّ مِنْ عَيْسَى بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ ، وَقِيلَ : صَدَّقَهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، فَكَانَتْ أُمُّ يَحْيَى تَقُولُ لِمَرْيَمَ : إِنِّي أَجِدُ مَا فِي بَطْنِي يَسْجُدُ لِمَا فِي بَطْنِكَ تَحِيَّةً لَهُ ، وَكَانَا ابْنَا الْخَالَةِ كَمَا تَقَدَّمَ ، ثُمَّ قُتِلَ يَحْيَى قَبْلَ رَفْعِ عَيْسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِسِنَةِ وَنَصْفٍ ، وَهُوَ نَيْفٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً ، وَنُبِّيءٌ صَغِيرًا ، وَكَانَ عَيْسَى قَدْ حَزَّمَ نِكَاحَ بِنْتِ الْأَخِ ، وَكَانَ لَهْرُودُوسُ وَهُوَ الْحَاكِمُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِنْتُ أَخٍ ، وَأَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا كَمَا هُوَ جَائِزٌ فِي مِلَّةِ الْيَهُودِ ، فَنَهَاها يَحْيَى عَنْ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ بِذَبْحِ يَحْيَى ، فَذُبِحَ وَوُضِعَ رَأْسُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَكَانَ الرَّأْسُ يَتَكَلَّمُ وَيَقُولُ : لَا تَحِلُّ لَكَ ، وَاسْتَمَرَ عَلَيَانُ دَمِهِ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَلِكًا مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهُ : حَرْدُوسُ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ عَلَى دَمِ يَحْيَى سَبْعِينَ

= (٢٠٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٨)، و«الكشف» لمكي (٣٤٤-٣٤٣/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (٣٤٨-٣٤٧/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٢٨-٢٧)، ولم يذكر البغوي القراءة عن الكسائي، وذكرتها جميع المصادر عنه بكسر الهمزة (إنَّ الله). (١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٦)، و«تفسير الرازي» (١/٤٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٨٢).

## جنة السنة

ألفاً إلى أن سكنَ دمه، وقبرُهُ عندَ قبرِ والدِهِ، على الخِلافِ المتقدِّم، وبينَ وفاتِهِ والهجرةِ الشريفةِ الإسلاميَّةِ خمسُ مئةٍ ونحوُ سِتِّ وتسعينَ سنةً.

﴿وَسَيِّدًا﴾ هو مَنْ سَادَ قومَهُ، ويحيى سَادَ قومَهُ والناسَ في أَنَّهُ لم يتركبُ سيئةً قطُّ.

﴿وَحَصُورًا﴾ ممتنعاً من الوطءِ مع القدرةِ عليه، وليسَ كما قالَ بعضهم: إنه كان هَيُوباً، أو لا ذَكَرَ له؛ لأنَ هذه نقيصةٌ وعيبٌ لا تليقُ بالأنبياء، وإنما معناه: إنه معصومٌ من الذنوب لا يأتيها؛ كأنه حُصِرَ عنها.

﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

\*\*\*

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (٤٠).

[٤٠] فلما بُشِّرَ به ﴿قَالَ﴾ زكريّا:

﴿رَبِّ أَنَّى﴾ أي: كيفَ.

﴿يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ﴾ أي: نالني، وأثّرَ فيَّ.

﴿الْكِبَرُ﴾ وكان ابنَ عشرينَ ومئةِ سنةٍ، وقيلَ غيرُ ذلك.

﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ عقيمٌ لا تلِدُ، وكانت بنتَ ثمانٍ وتسعينَ سنةً، وقولُ

زكريّا لم يكنْ شكّاً في وعدِ الله، إنما شكٌّ في كيفيته؛ أي: كيف ذلك؟ يجعلُني أنا وامرأتي شايئين، أم يرزقنا ولدًا على الكِبَرِ منّا، أم يرزقني من امرأةٍ أخرى؟ فقال مستفهِماً لا شكّاً.

﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الفعل، وهو خلق الولد بين الفاني

والعاقِر.

## جنة السنة

﴿ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ من خلقِ الولدِ بين هَرَمَيْنِ وغيره .

\*\*\*

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَآذَكَرَّ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ ﴿٤١﴾ .

[٤١] ﴿ قَالَ ﴾ زكريا :

﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ ﴾ علامةً على وجودِ الحملِ ؛ لأزيدَ في الشكرِ والعبادةِ، وتقدمَ اختلافُ<sup>(١)</sup> القراءِ في (لي آيةً) .

﴿ قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ﴾ أي : تمتنعُ عن كلامِهِم .

﴿ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ إشارةً، اعتقِلَ لسانه عمَّا سوى ذكرِ الله، وكانتِ إشارتهُ بالإصبعِ المُسَبَّحَةِ، وأصلُ الرمزِ : التَّحَرُّكُ .

﴿ وَآذَكَرَّ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ ﴾ وهو من زوالِ الشمسِ إلى غروبِها .

﴿ وَالْإِبْكَرِ ﴾ وهو من طلوعِ الفجرِ الثاني إلى الضُّحَى ؛ أي : في وقتيهما .

\*\*\*

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٤٢﴾ .

[٤٢] ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ ﴾ يعني : جبريلَ عليه السلام .

﴿ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ﴾ اختاركِ .

---

(١) في «ت» : «خلاف» .

## جنة السنة

﴿ وَظَهَرَكَ ﴾ من مَسِيسِ الرَّجَالِ وَالْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ ، وكانت لا تَحِيضُ .

﴿ وَأَصْطَفَيْتَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ عَالَمِي زَمَانِهَا ؛ لَوْلَادَتَهَا (١) بِمَا مَسَّ .

\*\*\*

﴿ يَمْرِيْمُ أَقْنِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّكْعَيْنِ ﴾ (٤٣) .

[٤٣] ﴿ يَمْرِيْمُ أَقْنِي ﴾ أَطِيعِي وَأَطِيبِي الْقِيَامَ ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ فِي الصَّلَاةِ ، فَقَامَتْ حَتَّى وَرَمَتْ قَدَمَاهَا وَسَالَتْ قِيحًا .

﴿ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي ﴾ إِنَّمَا قَدَّمَ السُّجُودَ عَلَى الرَّكْعَةِ ؛ لِأَنَّ الْوَاوَ لَيْسَتْ لِلتَّرْتِيبِ .

﴿ مَعَ الرَّكْعَيْنِ ﴾ أَي : صَلَّى جَمَاعَةً ، وَلَمْ يَقْل : الرَّكْعَاتِ ، لِعُمُومِ الرَّكْعَيْنِ الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ .

\*\*\*

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (٤٤) .

[٤٤] ﴿ ذَلِكَ ﴾ أَي : الْمَذْكُورُ مِنْ أَمْرِ زَكْرِيَا وَيَحْيَى وَمَرْيَمَ وَعِيسَى .

﴿ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ نَلْقَاهُ إِلَيْكَ .

﴿ وَمَا كُنْتَ ﴾ يَا مُحَمَّدُ .

﴿ لَدَيْهِمْ ﴾ أَي : عِنْدَهُمْ . قَرَأَ حَمْزَةً ، وَيَعْقُوبُ : بِضَمِّ الْهَاءِ ، وَقَرَأَ ابْنُ

---

(١) فِي «ت» : «لَوْلَادَهَا» .

## جنة السنة

كثير، وأبو جعفر، وورث: (لَدَيْهِمْ إِذْ) بضم الميم وصلتها بواو، وكذا شبهه حيث وقع، واختلف عن قالون.

﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ ﴾ أي: سهامهم في الماء للاقتراع، وسُمِّي القلم؛ لأنه يُقْلَمُ كالظفر.

﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ يحضنها ويربِّيها.

﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ في كفالتها.

\*\*\*

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٤٥).

[٤٥] ﴿ إِذْ ﴾ أي: واذكر إذ.

﴿ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي: (يُبَشِّرُكِ) بفتح الياء وضم الشين مخففاً، والباقون: بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشدداً<sup>(١)</sup>.

﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ وقوله: ابنُ مريمَ إعلَامٌ لها أنها تلدُ من غير أب، فلا يُنسَبُ إلا لأمه، والمسيحُ لقبٌ لعيسى، معناه: الصِّدِّيق، وقيل: معناه بالعبرانية: المبارك، وقيل غير ذلك.

﴿ وَجِيهًا ﴾ ذا جاهٍ وقدر.

(١) كما تقدم قريباً. انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٣٠).



## جنة السنة

- ﴿ فِي الدُّنْيَا ﴾ بالنبوة والتقديم على الناس .  
﴿ وَالْآخِرَةِ ﴾ بالشفاعة وارتفاع درجته في الجنة .  
﴿ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ بارتفاعه إلى السماء ، وصحبه الملائكة .

\*\*\*

﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾ .

[٤٦] ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ صغيراً قبل وقت الكلام معجزةً .

﴿ وَكَهْلًا ﴾ بعد نزوله من السماء بالوحي للرسالة كما سيأتي عند ذكر رفعه إلى السماء ، فالطفل : مَنْ لَمْ يُمَيِّزْ ، والمميزُ : مَنْ بَلَغَ <sup>(١)</sup> سبعاً ، والصبيُّ والغلامُ واليافعُ واليتيمُ : مَنْ لَمْ يَبْلُغْ ، والمراهقُ : مَنْ قَارَبَ البلوغَ ، والشابُّ والفتى : مِنْهُ إِلَى الثَّلَاثِينَ ، والكَهْلُ مَنْ تَجَاوَزَ الثَّلَاثِينَ إِلَى الخَمْسِينَ ، وَقَارَبَ الشَّيْبَ ، مَنْ اكْتَهَلَ النَّبْتُ : قَارَبَ الْيَسَرَ ، وَحَالُ الْكَهْوَلَةِ الَّتِي يَسْتَحْكَمُ فِيهَا الْعَقْلُ ، وَيَسْتَنْبَأُ فِيهَا الْأَنْبِيَاءَ ، وَالشَّيْخُ : مِنَ الْخَمْسِينَ إِلَى السَّبْعِينَ ، ثُمَّ هَرَمٌ .

﴿ وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ أي : هو من العباد الصالحين .

\*\*\*

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٤٧﴾ .

[٤٧] ﴿ قَالَتْ رَبِّ ﴾ سيدي ، تقوله لجبريل عليه السلام .

(١) «من بلغ» ساقطة من «ن» .

﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ﴾ زوجٌ قالت تعجباً؛ إذ لم تكن جرت العادة بأن يولد ولدٌ لا أب له .

﴿ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ﴾ أراد كون شيء .

﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ كما يريد . قرأ عاصمٌ، وحمزة، والكسائي، وخلف، وابنُ عامرٍ، وروحٌ عن يعقوبَ: (يَشَاءُ إِذَا) بتحقيق الهمزتين، والباقون: بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية، وهي أن تبدل واواً خالصةً مكسورة<sup>(١)</sup>، وقرأ ابنُ عامرٍ: (فَيَكُونُ) بنصب النون، والباقون: بالرفع<sup>(٢)</sup>، وتقدم توجيهُ قراءتهم في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧] .

\*\*\*

﴿ وَيَعْلَمُ الْكِنَبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ .

[٤٨] ﴿ وَيَعْلَمُ الْكِنَبَ ﴾ أي: الخطَّ . قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وعاصمٌ، ويعقوبُ (وَيَعْلَمُهُ) بالياء؛ لقوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٤٧] وقرأ الباقون: بالنون على التعظيم<sup>(٣)</sup>؛ لقوله تعالى:

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣١/٢).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣١/٢).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣٣٤/١)، و«الحجة» لأبي زرة (ص: ١٦٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٩)، و«الكشف» لمكي (٣٤٤/١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٦)، =

## جنة السنة

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ [آل عمران: ٤٤].

﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ العلم والفقه.

﴿ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ علمه الله التوراة والإنجيل.

\*\*\*

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ .

[٤٩] ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ وكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف، وآخرهم عيسى عليهما السلام، فلما بُعث قال: ﴿ أَنِّي ﴾ أي: بأني.

﴿ قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ ﴾ علامة.

﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ على صِدْقِي، فلما قال ذلك لبني إسرائيل، قالوا: وما هي؟ قال:

﴿ أَنِّي ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر: بكسر الألف على الاستئناف؛ أي: قال: (إِنِّي أَخْلَقْتُ)، وقرأ الباقون: بالفتح على معنى بـ(أَنِّي أَخْلَقْتُ)<sup>(١)</sup>،

= «تفسير البغوي» (١/٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٣٢).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٩)، و«الكشف» لمكي (١/٣٤٤-٣٤٥)، =

وقراءة الكوفيين، وابنِ عامرٍ: بإسكان الياء، والمدنيين، والبصريين، وابنِ كثيرٍ: بفتحها<sup>(١)</sup>.

﴿أَخْلُقُ لَكُمْ﴾ أي: أشكّلُ شيئاً.

﴿مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةٍ﴾ كصورة.

﴿الطَّيْرِ﴾ قرأ أبو جعفرٍ بخلافٍ عنه (كَهَيْئَةٍ) بتسهيل الهمزة؛ وعنه وجهٌ آخرُ (كَهَيْئَةٍ) بتشديد الياء بغيرِ همز<sup>(٢)</sup>، وقرأ أيضاً الطائرُ بـألفٍ بعدَ الطاءِ.

﴿فَأَنْفَخُ فِيهِ﴾ أي: في الشيء المُشكَّلِ.

﴿فَيَكُونُ﴾ أي: فيصيرُ.

﴿طَيْرًا﴾ قرأ أبو جعفرٍ، ونافعٌ، ويعقوبُ (طَائِرًا) بالألف، وسَهَّلَ أبو جعفرٍ همزةَ الطائرِ و(طَائِرًا) بخلافٍ عنه<sup>(٣)</sup>، فَمَنْ قرأ: (طَيْرًا) على

= و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (١/٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٣٤).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٢)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٣٤).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٣٤)، و«تفسير البغوي» (١/٣٥٣)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/٧٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/٤٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٣٤).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٣٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٦)، و«الكشف» لمكي (١/٣٤٥)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (١/٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٨)، و«النشر في =

الجمع؛ أي: طيراً كثيرةً، ومَنْ قرأ طائراً على الأفراد؛ لأنه لم يخلق سوى الخفّاش، وإنما خصّ الخفّاش؛ لأنه أكمل الطير خلقاً؛ لأنّ لها ثدياً وأسناناً، وتحيض وتضحك، وتضع ولدها، وتبول كما تبول ذوات الأربع<sup>(١)</sup>.

﴿يَا ذِينَ اللَّهِ وَأَبْرِيءُ﴾ أي: أشفي.

﴿الْأَكْمَمَةَ﴾ هو الذي يولد أعمى.

﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ هو الذي به وضح، وخصّ بالذكر؛ لأنهما داء أعيا؛ لأنه بُعث زمن الطب، وكان يداويهم بالدعاء بشرط الإيمان، قالوا: أبرأ في يوم واحدٍ خمسين ألفاً.

﴿وَأَخِي الْمَوْتَى﴾ أحيا أربعة أنفس عازر، وابن العجوز، وابنة العشار، وسام بن نوح، فأما عازر، فكان صديقاً له، فانطلق إلى قبره، فدعا الله، فخرج من قبره، وبقي، وولد له، وأما ابن العجوز مرّت به ميتاً على عيسى على سريرٍ يُحمَل، فدعا الله، فجلس على سريرهِ، ونزل عن أعناق الرجال، ولبس ثيابه، وحمل سريرهُ على عنقه، ورجع إلى أهله، وبقي، وولد له، وأما ابنة العشار، كان رجلاً يأخذ العشور، ماتت له بنتٌ بالأمس، فدعا الله عز وجل، فأحياها، فبقيت وولد لها، وأما سام بن نوح، فإن عيسى أتى قبرهُ، فدعا باسم الله الأعظم، فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفاً

= القراءات العشر لابن الجزري (٢/٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ١٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٣٥).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٣٦).

## جنة السنة

من قيام الساعة، ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان، فقال: قد قامت القيامة؟ قال: لا، ولكن دعوتك باسم الله الأعظم، ثم قال له: مُت، قال: بشرط أن يعيدني الله من سكرات الموت، فدعا الله، ففعل.

﴿ يَا ذنِ اللَّهِ ﴾ كَرَّرَهَا لِنَفِي تَوْهَمِ الْأُلُوْهِيَّةِ فِيهِ .

﴿ وَأَنْبِئُكُمْ ﴾ أَخْبِرْكُمْ .

﴿ يَمَانًا كُونُ ﴾ مِمَّا لَمْ أُعَايِنُهُ .

﴿ وَمَا تَنْخِرُونَ ﴾ أَي : تَخْبَثُونَ .

﴿ فِي يُؤْتِيكُمْ ﴾ كَانَ يَخْبِرُ الشَّخْصَ بِمَا أَكَلَ قَبْلُ، وَبِمَا يَأْكُلُ بَعْدُ، وَيَخْبِرُ الصَّبِيَانَ وَهُوَ فِي الْمَكْتَبِ بِمَا يَصْنَعُ أَهْلُهُمْ، وَبِمَا يَأْكُلُونَ .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ الَّذِي ذَكَرْتُ .

﴿ لآيَةٍ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ مُؤَقِّقِينَ لِلْإِيمَانِ .

\*\*\*

﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَإِلْحَالَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ ﴿٥٠﴾ .

[٥٠] ﴿ وَمُصَدِّقًا ﴾ حَالٌ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿ بِآيَةٍ ﴾ أَي : جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ، وَجِئْتُكُمْ مُصَدِّقًا .

﴿ لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ ﴾ لِمَا تَقَدَّمَ مِنِّي .

﴿ مِنَ التَّوْرَةِ وَإِلْحَالَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ مِنَ اللَّحُومِ وَالشُّحُومِ .

﴿ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ كَرَّرَهَا تَأْكِيدًا .

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ لِمَا جِئْتُمْ بِهِ <sup>(١)</sup>.

﴿ وَأَطِيعُوا ﴾ فِيمَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ . قرأ يعقوبُ : ( وَأَطِيعُونِي ) بِإِثْبَاتِ الْيَاءِ  
بعد النون <sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ <sup>(٥١)</sup>.

[٥١] ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ هذه الجملة هي الآية التي جاءهم

بها.

﴿ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ أي : هو الطريقُ المشهودُ له بالاستقامة .

\*\*\*

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ  
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ <sup>(٥٢)</sup>.

[٥٢] ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ ﴾ أي : علم .

﴿ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾ وأرادوا قتله ، فاستنصرَ عليهم .

﴿ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي ﴾ جمعُ نصير . قرأ نافعٌ ، وأبو جعفرٍ : ( أَنْصَارِي )

بفتح الياء ، وقرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ : ( أَنْصَارِي ) بِإِمَالَةٍ فَتَحَةَ الصَّادِ .

(١) «لما جئتم به» سقط من «ن» .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٢) ، و«الكشف» لمكي (١/٣٧٤) ،  
و«الغيث» للصفاسي (ص : ١٧٦-١٧٨) ، و«التيسير» للداني (ص : ٩٣) ،  
و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٧) ، و«إتحاف فضلاء البشر»  
للدماطي (ص : ١٧٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٣٧) .

﴿إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من أنصاري ذاهباً إلى الله؟ أي: إلى عباده؛ لأن عيسى مرّاً بالحواريين وهم يصيدون، فقال: ما تصنعون؟ قالوا: نصيّد السمك، قال: أفلا تذهبون نصيّد الناس؟ قالوا: من أنت؟ قال: عيسى.

﴿قَالَ الْخَوَارِثُونَ﴾ أي: الراجعون إلى الله، وهم صفوة الأنبياء، وحواري الرجل: خالصة<sup>(١)</sup> وقال ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَحَوَارِيَّ الرَّبِيِّ»<sup>(٢)</sup>، سُمّوا بذلك لبياض ثيابهم، وكانوا اثني عشر رجلاً، وهم: شمعون الصفا، وبطرس وأخوه أندراوس، ويعقوب بن زبدة، وفيلبس، وبرطولوماوس، وأندريوس، ومرقس، ويوحنا، ولوقا، وتوما، ومثي.

﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أي: أعوان دينه.

﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ﴾ يا عيسى.

﴿يَأْتَا مُسْلِمُونَ﴾ لتشهد لنا يوم القيامة.

\*\*\*

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾

[٥٣] ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ﴾ من كتابك.

﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ عيسى.

﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ لأنبيائك بالصدق.

(١) في «ن»: «خاصته».

(٢) رواه البخاري (٦٨٣٣)، كتاب: التمني، باب: بعث النبي ﷺ الزبير طليعة وحده، ومسلم (٢٤١٥)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل طلحة والزبير - رضي الله عنهما -، عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -.



﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴾ [٥٤].

[٥٤] ﴿ وَمَكْرُؤًا ﴾ أي: كفارُ بني إسرائيل الذين أحسَّ عيسى منهمُ الكفرَ، والمكرُ: إخفاء الكيد، ومكرُهم به: إرادة قتله.

﴿ وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ بهم؛ أي<sup>(١)</sup>: بأن ألقى شبهةً على من أراد اغتياله وقتله.

﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴾ أقدرُهم وأقواهم.

ولمَّا أعلمَ الله المسيحَ أنه خارجٌ من الدنيا، جمعَ الحواريين تلكَ الليلةَ، وأوصاهم، ثم قال: ليكفروا بي أحدكم قبل أن يصيحَ الديكُ، ويبيعني بدراهمَ يسيرةٍ، وكان اليهودُ قد جدُّوا في طلبه، فحضرَ بعضُ الحواريين إلى الحاكمِ على اليهود، واسمُه فيلاطوس، ولقبه هرودوس إلى جماعةٍ من اليهود، وقال: ما تجعلون لي إذا دللتكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثينَ درهماً، فأخذها، ودلَّهم عليه، فرفعَ اللهُ المسيحَ إليه، وألقى شبهةً على الذي دلَّهم عليه، فإنَّ اليهودَ لما قصدوه أظلمت الدنيا حتى صارت كالليل، وأظلمت الشمسُ، وظهرت النجوم<sup>(٢)</sup> الكواكبُ، وانشقتِ الصخورُ، فلذلك لم يحققوا المشبهَ من شدةِ الظلمة، وحصولِ الإرجافِ، فقتلوه وصلبوه على الخشب، وهم يظنون أنه عيسى، وأنزل اللهُ المسيحَ من السماءِ إلى أمه مريمَ وهي تبكي عليه، فقال لها: إن الله رفعني إليه، ولم يُصنبي إلا الخيرُ، وأمرها فجمعتُ له الحواريين، فبَّتهم في الأرض دُعاةً،

(١) «أي» زيادة من «ن».

(٢) «النجوم» زيادة من «ن».

## جنة السنة

ثم رَفَعَهُ إِلَيْهِ، وتلك الليلة التي تدخَّنُ فيها النصارى .

وتفرَّقَ الحواريون حيثُ أمرهم، وكسا الله عيسى الریش، وألبسه النورَ، وقطعَ عنه لذةَ الطعامِ والمشربِ، وطارَ مع الملائكة، فهو معهم حولَ العرشِ .

وكان رفعُ المسيحِ ليلةَ القدرِ من شهرِ رمضانَ بعدَ نبوته بثلاثِ سنينَ؛ فإنه (١) نُبِّيَ على رأسِ ثلاثينَ سنةً، ورفعهُ الله إليه وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً، وكان رفعهُ لمضيِّ ثلاثِ مئةٍ وستِّ وثلاثينَ سنةً من غلبةِ الاسكندرِ اليونانيِّ على أرضِ بابلَ، وبينَ رفعِهِ ومولدِ النبيِّ ﷺ خمسُ مئةٍ وخمسُ وأربعونَ سنةً، فيكونُ بينَ رفعِهِ والهجرةِ الشريفةِ النبويةِ المحمديةِ خمسُ مئةٍ وثمانٍ وتسعونَ سنةً .

أما أمُّهُ مريمٌ عليها السلامُ فإنها عاشتْ نحوَ ثلاثٍ وخمسينَ سنةً؛ لأنها حملتْ به لما صار لها من العمرِ ثلاثِ عشرةَ سنةً، وولدتَه بيتِ لحمٍ من أرضِ بيتِ المقدسِ، وعاشتْ مجتمعةً معه ثلاثاً وثلاثينَ سنةً وكسراً، وبقيت بعدَ رفعِهِ ستَّ سنينَ، وللمؤرخينَ في ذلكِ خلافٌ، والله أعلم .

وكان رفعهُ من طورِ زيتا جبلِ شرقيِّ بيتِ المقدسِ .

وروي أنه دعا وقتَ رفعِهِ الله بهذا الدعاءِ، وهو دعاءُ مُستجابٌ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْقَرِيبُ فِي عُلُوكَ، الْمُتَعَالِي فِي دُنُوكَ، الرَّفِيعُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ، أَنْتَ الَّذِي نَفَذَ بَصْرُكَ فِي خَلْقِكَ، وَحُسِرَتِ الْأَبْصَارُ دُونَ النَّظَرِ إِلَيْكَ، وَغُشِيَتْ دُونَكَ، وَسَبَّحَ لَكَ الْفَلَقُ فِي النُّورِ (٢)، أَنْتَ الَّذِي جَلَيْتَ الظُّلَمَ

(١) في «ت»: «وأنه» .

(٢) «في النور» سقطت من «ت» .

بُنُورِكَ، فَتَبَارَكَتَ اللَّهُمَّ أَنْتَ خَالِقُ الْخَلْقِ بِقُدْرَتِكَ، مُقَدِّرُ الْأُمُورِ بِحِكْمَتِكَ، مُبْدِعُ الْخَلْقِ بِعَظَمَتِكَ، الْقَاضِي فِي كُلِّ شَيْءٍ بِعِلْمِكَ، الَّذِي خَلَقْتَ سَبْعًا فِي الْهَوَاءِ بِكَلِمَاتِكَ مُسْتَوِيَاتِ الطَّبَاقِ، مُذْعِنَاتِ لِبَطَاعَتِكَ، سَمَاءَ بِيَهِنَّ الْعُلُوقُ بِسُلْطَانِكَ، فَأَجَبْنَ وَهَنَّ دُخَانٌ مِنْ خَوْفِكَ، فَاتَيْنَ طَائِعِينَ بِأَمْرِكَ، فِيهِنَّ الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَكَ وَيُقَدِّسُونَكَ، وَجَعَلْتَ فِيهِنَّ نُورًا يَجْلُو الظُّلَامَ، وَضِيَاءً أَضْوَاءً مِنَ الشَّمْسِ، وَجَعَلْتَ فِيهِنَّ مَصَابِيحَ نَهْتَدِي بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، فَتَبَارَكَتَ اللَّهُمَّ فِي مَفْطُورِ سَمَاوَاتِكَ، وَفِي مَا دَحَوْتَ مِنْ الْأَرْضِ، وَدَحَوْتَهَا عَلَى الْمَاءِ، فَأَذَلَّتْ لَهَا الْمَاءَ الطَّاهِرَ، فَذَلَّ لِبَطَاعَتِكَ، وَأَذَعْنَ لِأَمْرِكَ، وَخَضَعَ لِقُوَّتِكَ أَمْوَاجُ الْبِحَارِ، فَفَجَّرْتَ فِيهَا بَعْدَ الْبِحَارِ الْأَنْهَارَ وَبَعْدَ الْأَنْهَارِ الْعِيُونَ الْغِزَارَ وَالنِّيَابِيغَ، ثُمَّ أَخْرَجْتَ مِنْهَا الْأَشْجَارَ بِالثَّمَارِ، ثُمَّ جَعَلْتَ عَلَى ظَهْرِهَا الْجِبَالَ أَوْتَادًا، فَأَطَاعَتِكَ أَطْوَادُهَا، فَتَبَارَكَتَ اللَّهُمَّ صِفَاتِكَ، وَمَنْ يَبْلُغُ صِفَةَ قُدْرَتِكَ، وَمَنْ يَنْعَتُ نَعْتَكَ؟ تَنْزِلُ الْغَيْثَ، وَتُنْشِئُ السَّحَابَ، وَتَفُكُّ الرِّقَابَ، وَتَقْضِي الْحَقَّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، إِنَّمَا يَخْشَاكَ مِنْ عِبَادِكَ الْعُلَمَاءُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ لَسْتَ بِإِلَهِ اسْتَحْدَثْنَاكَ، وَلَا رَبَّ لَنَا سِوَاكَ نَذْكُرُهُ، وَلَا كَانَ لَكَ شُرَكَاءُ يَقْضُونَ مَعَكَ نَدْعُوهُمْ وَنَدْعُكَ، وَلَا أَعَانَكَ أَحَدٌ عَلَى خَلْقِكَ فَنَشْكُ فِيكَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ أَحَدٌ صَمَدٌ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، وَلَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، اجْعَلْ لِي مِنْ أَمْرِي فَرَجًا وَمَخْرَجًا»، فَلَمَّا تَمَّ دَعَاؤُهُ، رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/٤٧٣-٤٧٤)، عن وهب بن منبه.

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [٥٥].

[٥٥] ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ ﴾ ظرف لـ (مَكَرَ اللَّهُ).

﴿ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ أي: مُنِيْمُكَ، من: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِأَيْتِلٍ ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وكان عيسى قد نام، فرفعه الله نائماً إلى السماء.

﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ إلى سمائي، ومَقَرِّ ملائكتي، قال جماعة: في الآية تقديم وتأخير، معناه: إني رافعك إليّ.

﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ومتوفِّيك بعد إنزالك من السماء، وقيل: بل توفاه الله ثلاث ساعاتٍ من النهار، ثم رفعه إليه.

﴿ وَمُطَهِّرُكَ ﴾ مُنَجِّيك.

﴿ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ مُخْرِجُكَ من بينهم.

﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ ﴾ هُمُ أَهْلُ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ صَدَّقُوهُ وَاتَّبَعُوا دِينَهُ فِي التَّوْحِيدِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ، فهُمْ ﴿ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ظَاهِرِينَ عَلَيْهِمْ يَغْلِبُونَهُمْ بِالسِّيفِ وَالْبِرْهَانِ ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ لِأَنَّهُ لَا شَرِيعَةَ بَعْدَ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ فِي الْآخِرَةِ.

﴿ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ فِي الدُّنْيَا مِنَ الدِّينِ، وَأَمْرٍ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

\*\*\*

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

[٥٦] ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا ﴾ بالقتل والسبي والجزية .

﴿ وَالْآخِرَةَ ﴾ بالنار ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ .

\*\*\*

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

[٥٧] ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ أي : جزاء أجورهم ؛ لأنهم عملوا خيراً ، فأعطاهم الجنة . قرأ حفص عن عاصم ، ورؤيس عن يعقوب : (فَيُوَفِّيهِمْ) بالياء ، والباقون : بالنون<sup>(١)</sup> .

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ لا يرحم الكافرين ، ولا يثني عليهم بالجميل .

\*\*\*

(١) انظر : «إعراب القرآن» للنحاس (٣٣٨/١) ، و«الحجة» لأبي زرعة (ص : ١٦٤) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٠٦) ، و«الحجة» لابن خالويه (ص : ١١٠) ، و«الكشف» لمكي (٣٤٥/١) ، و«الغيث» للصفاسي (ص : ١٧٦) ، و«تفسير البغوي» (٣٦١/١) ، و«التيسير» للداني (ص : ٨٨) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٠) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٧٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٨/٢) ، ولم يذكر «يعقوب» في مطبوعة «تفسير البغوي» ، وذكرت القراءة عنه في باقي المصادر : «فنوفهم» بالنون .

﴿ ذَلِكَ نَتَلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

[٥٨] ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: هذا الذي ذكرته لك من خبر عيسى ومريم والحواريين .

﴿ نَتَلُوهُ عَلَيْكَ ﴾ نخبرك به بتلاوة جبريل عليه السلام .  
﴿ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ القرآن المحكم الممنوع من كل خلل .

\*\*\*

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۗ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

[٥٩] ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ في كونه خلقاً من غير أب .

﴿ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ في كونه خلقاً من غير أب وأم، وتم الكلام على قوله:  
﴿ آدَمَ ﴾ ثم قال: ﴿ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ قَدَرَهُ جَسَداً من طين . نزلت لما قال  
وفد نجران للنبي ﷺ: تشتم أصحابنا تقول إنه عبد؟! قال: «أجل إنه عبد الله  
ورسوله» قالوا: هل رأيت ولداً من غير أب؟! فنزلت الآية<sup>(١)</sup>، فشبه عيسى  
بآدم من حيث إن آدم خلق بغير أب ولا أم، وهذا من تشبيه الغريب  
بالأغرب؛ لأن خلق آدم أغرب من خلق عيسى؛ ليكون أقطع للخصم،  
وأوقع في النفس، والمعنى: خلق قالبه من التراب<sup>(٢)</sup> .

﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ يعني: فكان؛ أي: أنشأه بشراً؛ كقوله تعالى:  
﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ [المؤمنون: ١٤] .

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحيدي (ص: ٥٥) .

(٢) في «ت»: «بالتراب»، وفي «ن»: «على التراب» .

﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ﴿٦٠﴾ .

[٦٠] ﴿ الْحَقُّ ﴾ أي : هو الحق .

﴿ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ أي : الشاكين ، الخطاب مع النبي ﷺ ،

والمراد منه غيره .

\*\*\*

﴿ فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا  
وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ  
اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ ﴿٦١﴾ .

[٦١] ﴿ فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ ﴾ أي : جادلَكَ من النصارى في عيسى .

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ أي : الدلالات الموجبة للعلم .

﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا ﴾ هلمُّوا .

﴿ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا ﴾ حَسَنًا وَحُسَيْنًا ﴿ وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ وَنِسَاءَنَا ﴿ فَاطِمَةَ .

﴿ وَنِسَاءَكُمْ ﴾ وَأَنْفُسَنَا ﴿ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

﴿ وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ ثُمَّ نَبْتَهِلْ ﴿ نَتَضَرَّعُ فِي الدُّعَاءِ .

﴿ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ ﴾ تَلْخِيصُهُ : لِنَجْتَمِعَ نَحْنُ وَأَنْتُمْ جَمِيعًا ، ثُمَّ نَتَضَرَّعُ

فِي اللَّعْنِ وَالِدُّعَاءِ .

﴿ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ مَنَا وَمِنْكُمْ فِي شَأْنِ عَيْسَى ، فَلَمَّا قَرَأَهَا النَّبِيُّ ﷺ

عَلَى وَفِدِ نَجْرَانَ ، قَالُوا : حَتَّى نَنْظَرَ فِي أَمْرِنَا ، وَنَأْتِيكَ غَدًا ، فَقَالَ عَبْدُ

الْمَسِيحِ مِنْهُمْ ، وَكَانَ ذَا رَأْيِهِمْ : لَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيُّ حَقٍّ ، وَأَنَّهُ وَاللَّهِ

مَا لَاعَنَ قَوْمٌ فَطُّ نَبِيِّهِمْ فَعَاشَ كَبِيرُهُمْ ، وَلَا نَبَتْ صَغِيرُهُمْ ، فَوَادِعُوا الرَّجُلَ ،

## جنة السنة

وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا النبي ﷺ من الغد، وقد غدا محتضناً الحسن<sup>(١)</sup>، آخذاً بيد الحسين<sup>(٢)</sup>، وفاطمة خلفه، وعلي خلفها، ويقول لهم: «إِذَا دَعَوْتُ فَأَمَّنُوا»، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى! إني لأرى وجوهاً لو سألوها الله أن يزيل جبالاً عن مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلِكوا ولا يبق على وجه الأرض نصراني، فأبوا المباهلة، فصالحهم ﷺ على مال يؤدونه إليه في كل عام، وهو ألفاً حلة، ألف في صفر، وألف في رجب، وانصرفوا إلى بلادهم، فقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّ الْعَذَابَ قَدْ تَدَلَّى عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ، وَلَوْ لَاعْنُوا، لَمْ سُخُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ، وَلَا ضَطَّرَمَ عَلَيْهِمُ الْوَادِي نَارًا، وَلَا سَتَأَصَلَ اللَّهُ نَجْرَانَ، حَتَّى الطَّيْرَ عَلَى رُؤُوسِ الشَّجَرِ، وَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ عَلَى النَّصَارَى كُلِّهِمْ حَتَّى هَلَكُوا»<sup>(٣)</sup>، وأما رسم (لعنت) هنا، وفي النور، فإنه بالتاء، وقف عليها بالهاء ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب.

\*\*\*

﴿إِنَّ هَذَا لَهُو الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٦٢)</sup>.

[٦٢] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: المذكور من خبر عيسى.

﴿لَهُو الْقَصَصُ﴾ أي: الخبر.

(١) في «ش» «الحسين».

(٢) في «ش»: «الحسن».

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٥٥)، و«تفسير البغوي»

(١/٣٦٢-٣٦٣)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (٢/٦٨٢).



﴿ الْحَقُّ ﴾ الذي لا شك فيه .

﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ ﴾ (من) زائدة ؛ أي : وما إله .

﴿ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ لا أحد يُساويه في القدرة  
والحكمة .

\*\*\*

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ (٦٣) .

[٦٣] ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أي : أعرضوا عن الإيمان .

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ الذين يعبدون غير الله .

\*\*\*

﴿ قُلْ يَتَّاهِلَ الْكَتَّابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا  
اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا  
فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦٤) .

[٦٤] ولما قدم وفد نجران المدينة، والتقوا مع اليهود، اختصموا في  
إبراهيم عليه السلام، فزعمت النصارى أنه كان نصرانياً، وهم على دينه،  
وقالت اليهود: بل كان يهودياً، ونحن على دينه، فقال لهم رسول الله ﷺ:  
«كَلَا الْفَرِيقَيْنِ مِنْهُ بَرِيءٌ، بَلْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَأَنَا عَلَى دِينِهِ» فنزل:  
﴿ قُلْ يَتَّاهِلَ الْكَتَّابُ ﴾<sup>(١)</sup> هم أهل الكتابين .

﴿ تَعَالَوْا ﴾ هَلُّوْا .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣٦٣/١)، و«العجاب» لابن حجر (٢/٦٨٧) .

## جنة السنة

﴿إِلَى كَلِمَةٍ﴾ العربُ تسمِّي كلَّ قصةٍ لها شرحٌ: كلمةً، ومنه سُمِّيتِ القصيدةُ كلمةً ﴿سَوَاءٌ﴾ عدلٍ .

﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ المعنى: هَلُمُّوا إلى كلمةٍ يستوي طرفاها، تنصفُ بيننا وبينكم، ليعطي كلُّ النَّصْفَةِ من نفسه، وهي:

﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: لا نسجدُ لغير الله .

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن التوحيد .

﴿فَقُولُوا﴾ أنتم لهم:

﴿أَشْهَدُوا﴾ أي: اعلموا ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ .

\*\*\*

﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ .

[٦٥] ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ تزعمون أنه على دينكم، وقد حدثت اليهودية بعد نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الإنجيل .

﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ لأن بين إبراهيم وموسى ألف سنة، وبين موسى وعيسى ألفي سنة، قاله البغوي وغيره، وبين المؤرخين في ذلك خلافٌ .

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بطلان ما تقولون؟! .

\*\*\*

﴿ هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءَ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٦٦].

[٦٦] ﴿ هَتَأْتُمْ ﴾ . قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، ونافع: بتسهيل الهمزة بينَ بينَ، وقرأ عاصمٌ، وحمزة، والكسائي، وخلف، وابنُ كثير، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: بتحقيقِ الهمزةِ بعدَ الألفِ<sup>(١)</sup>، وروي عن ورشٍ (هَأْتُمْ) مدّاً بلا همزة، وعنه وجهٌ ثانٍ: (هَأْتُمْ) بهمزةٍ مقصورةٍ بينَ الهاءِ والنونِ، مثلَ سألتُم<sup>(٢)</sup>، وروي عن قنبلٍ كالوجهِ الثاني عن ورشٍ، أصلها: (أَأْتُمْ) قلبتِ الهمزةُ الأولى هاءً؛ كقولهم: هَرَقَتْ وَأَرَقَتْ<sup>(٣)</sup>.

﴿ هَتُؤَلَاءَ ﴾ أصله: أولاء، دخلتُ عليه هاءُ التنييه، وهو في موضعِ النداء، يعني: يا هؤلاء! أنتم.

﴿ حَجَجْتُمْ ﴾ جادلتم.

﴿ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ أي: فيما علمتموه من التوراة والإنجيل من أمرِ موسى وعيسى.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٠)، و«الكشف» لمكي (١/٣٤٦-٣٤٧)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (١/٣٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٣٩-٤٠).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/٤٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٠).

(٣) انظر: مصادر التعليق رقم (١).

## جنة السنة

﴿ فَلَمْ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ من أمر إبراهيم، وليس (١) في كتابكم ذكره؛ لأنه قبلكم؟ أي: أنتم تجادلون فيما علمتم وفيما لم تعلموه.  
﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وأنتم جاهلون به.

\*\*\*

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦٧).

[٦٧] ثم برأ تعالى إبراهيم فقال: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا ﴾ أي: مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين المستقيم.  
﴿ مُسْلِمًا ﴾ ثم وبَّخهم مؤكداً براءته فقال: ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

\*\*\*

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦٨).

[٦٨] ثم أوماً إلى بعدهم عنه فقال: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ ﴾ أي: أقربهم وأحقهم.

﴿ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ في زمانه وبعده.

﴿ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾ يعني: محمداً ﷺ.

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ من هذه الأمة.

﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ينصرهم.

(١) «وليس» ساقطة من «ت».

## جنة السنة

﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ  
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾ .

[٦٩] ونزل في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين  
دعاهم اليهود إلى دينهم :

﴿ وَدَّتْ ﴾ (١) تمنَّت .

﴿ طَائِفَةٌ ﴾ جماعة .

﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ يعني : اليهود .

﴿ لَوْ يُضِلُّوكُمْ ﴾ عن دينكم .

﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ﴾ أي : وما يضلُّون إلا أمثالهم .

﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ بذلك .

\*\*\*

﴿ يَتَّأْهِلِ الْكِنَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ ﴿٧٠﴾ .

[٧٠] ﴿ يَتَّأْهِلِ الْكِنَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ يعني : القرآن ، وبيان

نعت محمد ﷺ .

﴿ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ أن نعته في التوراة والإنجيل .

\*\*\*

---

(١) انظر : «أسباب النزول» للواحيدي (ص: ٥٨) . وقد مضت القصة في سورة  
البقرة .

﴿ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَلِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٧١﴾ .

[٧١] ﴿ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَلِسُوا ﴾ تَخْلُطُونَ .

﴿ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ الإسلام باليهودية والنصرانية .

﴿ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ ﴾ أي : نعت محمد ﷺ .

﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه حق؟! .

\*\*\*

﴿ وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا ءَاخِرُهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿٧٢﴾ .

[٧٢] ﴿ وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ فيما بينهم ، وهم اليهود .

﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ هو القرآن .

﴿ وَجَهَ النَّهَارِ ﴾ أوله .

﴿ وَكَفَرُوا ءَاخِرُهُ لَعَلَّهُمْ ﴾ أي : لعل المسلمين يقولون : ما رجع هؤلاء عن

الإسلام وهم أهل علمٍ ودرايةٍ إلا أنهم علموا بطلانه ، فيشككون فيه ، ثم يَرْجِعُونَ ﴿ عنه بعدما دخلوا فيه .

\*\*\*

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٧٣﴾ .

[٧٣] ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا ﴾ هذا متصلٌ بالأول ؛ أي : وقالت : لا تؤمنوا .

## جنة السنة

﴿إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ أي: وافق ملتكم.

﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ يهدي من يشاء إلى الإيمان.

﴿أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ﴾ قرأ ابن كثير (أَنَّ يُؤْتَى) بهمزتين على الاستفهام، والثانية منهما مسهلة<sup>(١)</sup>؛ أي: ولا تصدقوا بأن يؤتى أحدًا.

﴿مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ إلا من تبع دينكم.

﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ عطف على ﴿يُؤْتَى﴾ أي: يوم القيامة تكون لهم الحجة عليكم، والغلبة. تلخيصه: ما يؤتون مثله، ولا يحاجونكم، والكلام<sup>(٢)</sup> كله من قول الطائفة لأتباعهم، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ اعتراض بين الكلامين.

﴿قُلْ إِنْ أَلْفَضَلْ﴾ الهداية والتوفيق.

﴿بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ﴾ غني.

﴿عَلِيمٌ﴾ بالنيات.

\*\*\*

﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

[٧٤] ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ﴾ أي: بنبوته.

- (١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٠-١١١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (١/٣٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٣/٢).
- (٢) «الكلام» ساقطة من «ش».

﴿ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ رَدُّ لِمَا زَعَمُوا مِنْ أَنْ نُبُوَّةَ مُوسَى مُؤَبَّدَةٌ، وَلَنْ يُؤْتِيَ اللَّهُ أَحَدًا مِثْلَ مَا آتَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالشَّرْفِ .

\*\*\*

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتِينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [٧٥] .

[٧٥] ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ ﴾ هو المال الكثير .

﴿ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ هو عبدُ اللهِ بنُ سلام، استودعه<sup>(١)</sup> رجلٌ ألفاً ومئتي أوقية ذهباً، فأداه إليه .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ ﴾ هو القليل .

﴿ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ هو كعبُ بنُ الأشرف<sup>(٢)</sup>، وقيل : فنحاص بن عازوراء، استودعه قرشيٌّ ديناراً، فلم يرده إليه، وجحده . قرأ أبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر : (يُؤَدِّهِ) (لا يُؤَدِّهِ) بإسكانِ الهاء، وكذلك (نُؤْتَهُ) و(نُؤَلِّهُ) و(نُصَلِّهُ)، واختلفَ عن أبي جعفرٍ، وهشامٍ، وقرأ يعقوبُ، وقالونُ، وأبو جعفرٍ بخلافٍ عنه : بالاختلاسِ كسراً، والباقون : بالإشباعِ كسراً، فمن سَكَّنَ الهاءَ، قال : لأنها وضعت في موضعِ الجزمِ، وهو الياءُ الذاهبُ، ومن اختلسَ، اكتفى بالكسر عن الياءِ، ومن أشبعَ، فعلى الأصل ؛ لأن الأصل في الهاءِ الإشباعُ .

(١) في «ت» : «استودعه» .

(٢) انظر «العجائب في بيان الأسباب» لابن حجر (٢/٦٩٥) .



## جنة السنة

﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ مُلِحًا فِي الْمَطَالِبَةِ .

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي : تركهم أداء الحق .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي : بسبب أنهم .

﴿ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ ﴾ أي : العرب .

﴿ سَكِيلٌ ﴾ أي : إثم ؛ لأن اليهود كانوا يستحلون أموال العرب ومن خالف دينهم .

﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ لادعائهم أن ذلك في كتابهم .

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ بكذبهم .

\*\*\*

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٧٦﴾

[٧٦] ﴿ بَلَىٰ ﴾ إثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الأمين ؛ أي : بلى

عليهم سبيل ، وتمّ الوقف هنا .

﴿ مَنْ ﴾ شرط مبتدأ ، خبره :

﴿ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ ﴾ أي : بعهد الله الذي عهد إليه في التوراة من الإيمان

بمحمد ﷺ وأداء الأمانة .

﴿ وَاتَّقَىٰ ﴾ الشرك والخيانة ، وجواب الشرط .

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ قال ﷺ : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ،

وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدْعَاهَا : إِذَا

أَوْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ »<sup>(١)</sup> .

(١) رواه البخاري (٣٤) ، كتاب : الإيمان ، باب : علامة المنافق ، ومسلم (٥٨) ، =

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٧٧]

[٧٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ ﴾ يستبدلون .

﴿ بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ إليهم في أداء الأمانة .

﴿ وَأَيْمَانِهِمْ ﴾ الكاذبة .

﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ من حطام الدنيا، قيل: نزلت لما بدّل اليهود نعتَ محمدٍ ﷺ، وعَهْدَ اللَّهِ الذي عهدَه إليهم في التوراة، وكتبوا غيرهما<sup>(١)</sup>، وقيل: أرادَ بعضُ الصحابةِ أخذَ مالٍ بيمينٍ كاذبةٍ، أو باعَ رجلٌ سلعةً في السوقِ، فحلفَ بالله لقد<sup>(٢)</sup> أُعْطِيَ ما لم يُعْطَ ليوَقَعَ فيها مسلماً، فنزلت<sup>(٣)</sup> .

﴿ أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ ﴾ لا نصيب .

﴿ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ ونعيمها .

﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ غضباً عليهم .

﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ لا يطهّرهم من الذنوب .

= كتاب: الإيمان، باب، بيان خصال المنافق، عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - .

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٠) .

(٢) في «ن»: «لو» .

(٣) رواه البخاري (١٩٨٢)، كتاب: البيوع، باب: ما يكره من الحلف في البيع، عن عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - .

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ على فعلهم، قال ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ حَلَفَ يَمِينًا عَلَى مَالٍ مُسْلِمٍ، فَاقْتَطَعَ الْمَالَ، وَرَجُلٌ حَلَفَ يَمِينًا بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ أَنَّهُ أُعْطِيَ فِي سِلْعَتِهِ أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ، وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٧٨)</sup>.

[٧٨] ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ ﴾ أي: اليهود.

﴿ لَفَرِيقًا ﴾ أي: طائفة، منهم: كعب بن الأشرف، وحبيبي بن أخطب، ومالك بن الصيف، وغيرهم.  
﴿ يَلُؤْنَ ﴾ أي: يعطفون.

﴿ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾ والمراد: تحريفهم؛ كآية الرجم، وصفة محمد ﷺ وغيرهما ﴿ لِتَحْسَبُوهُ ﴾ أي: لتظنوا ما حرّفوا.  
﴿ مِنْ الْكِتَابِ ﴾ الذي أنزل الله.

(١) رواه البخاري (٧٠٠٨)، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، ومسلم (١٠٨)، كتاب: الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف...، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

﴿ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ الْمُنزَلِ .

﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ ثم نفى ذلك ، فقال :

﴿ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ ثم أكد كذبهم بقوله :

﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم كاذبون ، وعن ابن عباس : « إِنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى جَمِيعاً ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ حَرَّفُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَالْحَقُّوْا بِكِتَابِ اللَّهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ »<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾<sup>(٧٩)</sup> .

[٧٩] ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ يعني : محمداً ﷺ .

﴿ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ ﴾ يعني : القرآن .

﴿ وَالْحُكْمَ ﴾ الفهم والعلم .

﴿ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ المنزلة الرفيعة<sup>(٢)</sup> بالإنبياء<sup>(٣)</sup> .

﴿ ثُمَّ يَقُولَ ﴾ نَصْباً عَطْفاً عَلَى ﴿ يُؤْتِيَهُ ﴾ .

﴿ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ نزلت لما قال أبو رافع القرظي من اليهود ، والرئيس من نصارى أهل نجران للنبي ﷺ : يا محمداً! تريد أن

(١) انظر : «تفسير البغوي» (١/٣٧٤) .

(٢) في «ن» : «المرتفعة» .

(٣) في «ت» و«ن» : «بالأنبياء» .

نَعْبَدَكَ وَنَتَّخِذُكَ رَبًّا، فقال: «مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، مَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي اللَّهُ، وَمَا بِذَلِكَ أَمَرَنِي»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ<sup>(١)</sup>، والبشر: جميع بني آدم.

﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ﴾ علماء بالله فقهاء.

﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾ أي: بما أنتم؛ كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾

[مريم: ٢٩]؛ أي: مَنْ هو في المهد.

﴿تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ، وحمزةٌ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (تَعْلَمُونَ) بضمِّ التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة؛ أي: تعلمون غيركم، وقرأ الباقون: بالتخفيف مع فتح التاء واللام وإسكان العين، من العلم؛ لقوله:

﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ تقرأون<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[٨٠] ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ، وحمزةٌ، ويعقوبُ:

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٠)، و«تفسير البغوي» (١/٣٧٤)، و«تخریج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/١٩١).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٣٤٦)، و«الحجة» لأبي زرة (ص: ١٦٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٢)، و«الكشف» لمكي (١/٣٥١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (١/٣٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٤٦).

بنصب الرء عطفاً على قوله: ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ﴾ والمعنى: ولا له أن يأمركم،  
وقرأ الباقون: بالرفع على الاستئناف<sup>(١)</sup>، وأبو عمرو على أصله في إسكان  
الرء واختلاسها على اختلاف<sup>(٢)</sup> الرواية عنه<sup>(٣)</sup>، معناه: ولا يأمركم الله.

﴿أَنْ تَنَحِّذُوا الْمَلَائِكَةَ﴾ كقريش والصابئين حين قالوا: الملائكة بنات الله.

﴿وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا﴾ كاليهود والنصارى، وقولهم في العزير والمسيح.  
المعنى: ما ينبغي لمن أعطي النبوة أن يأمر بعبادة غير الله، بل يأمرهم  
بمعرفة ومعرفة أحكامه وعبادته.

﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ تعجب وإنكار بمعنى: لا يقول هذا.

\*\*\*

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ  
جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣٤٧/١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (١/٣٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٧/١).

(٢) في «ت»: «الاختلاف».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤٧/٢).

وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ .

[٨١] ﴿وَإِذْ﴾ أي: وأذكر يا محمد حين .

﴿ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ وأممهم بما تقدم، وبما يأتي .

﴿ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ ﴾ قرأ حمزة: (لِمَا) بكسر اللام للجرّ، وهي متعلقة بأخذ؛ أي: أخذنا الميثاق لذلك فتكون (ما) بمعنى الذي، وقرأ الباقون: بفتحها<sup>(١)</sup>، فتكون (ما) بمعنى الذي، واللام للابتداء، ودخلت لتؤكد معنى القسم؛ لأن أخذ الميثاق قسم في المعنى، والعائد محذوف؛ أي: الذي آتيتكموه، وقرأ نافع، وأبو جعفر: (آتَيْنَاكُمْ) بالنون على التعظيم، وقرأ الباقون: بالياء؛ لموافقة الخط، ولقوله: ﴿ وَأَنَا مَعَكُمْ ﴾، وخبر المبتدأ ﴿ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾، ثم عطف على (آتيتكم):

﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ﴾ من العلم، وجواب القسم .

﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ﴾ أي: بالرسول .

﴿ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ عطف على (الرسول)، والمراد: محمد ﷺ، والذين

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٣-٢١٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١١)، و«الكشف» لمكي (١/٣٥٢-٣٥١)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (١/٣٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٨-٤٩) .

## جنة السنة

أخذ عليهم الميثاق النبيون عليهم السلام. المعنى: أخذ الميثاقُ على من تقدّمك يا محمدُ أن يؤمنوا بك، وإن أدركوك، نصروك.

﴿ قَالَ ﴾ اللهُ تعالى للأنبياء حين استخرجَ الذرّيّةَ من صُلْبِ آدَمَ عليه السلام والأنبياءُ فيه كالمصاييحِ والشُّرُجِ، وأخذَ عليهم الميثاقَ في أمرِ محمدٍ ﷺ:

﴿ أَأَقْرَرْتُمْ ﴾ بذلك؟ وتقدّم التنبيهُ على اختلافِ القراءة في الهمزتين من كلمةٍ عند قوله تعالى: ﴿ أَأَسْلَمْتُمْ ﴾ وكذلك اختلافهم في قوله: ﴿ أَأَقْرَرْتُمْ ﴾. ﴿ وَأَخَذْتُمْ ﴾ أي: قبلتم. قرأ ابنُ كثيرٍ وحفصٌ ورويسٌ (وَأَخَذْتُمْ) بإظهارِ الذالِ عندَ التاء، والباقون: بالإدغام<sup>(١)</sup>.

﴿ عَلَى ذَالِكُمْ إِصْرِي ﴾ عهدي.

﴿ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ ﴾ اللهُ تعالى:

﴿ فَأَشْهَدُوا ﴾ على أنفسكم وأتباعكم.

﴿ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ عليكم وعليهم.

قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي اللهُ عنه -: «لم يبعث اللهُ نبيّاً من لدُنْ آدَمَ فَمَنْ بعدهُ إلا أخذَ عليه العهدُ في محمدٍ ﷺ: لئن بُعثَ وهو حيٌّ، ليؤمننَّ به ولينصرنَّهُ، وبأخذِ العهدِ بذلك على قومه»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ١٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥٠).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٣٢).



﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾ .

[٨٢] ﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ الإقرار .

﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ العاصون الخارجون عن الإيمان .

\*\*\*

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٨٣﴾ .

[٨٣] اختلف أهل الكتابين، فادعى كل واحد أنه على دين إبراهيم، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «كِلَا الْفَرِيقَيْنِ بَرِيءٌ مِنِّي مِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»، فغضبوا، وقالوا: لا نرضى بقضائِكَ، ولا نأخذُ بدينِكَ، فأنزل الله تعالى:

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> دخلتِ الهمزةُ على الفاءِ العاطفةِ على محذوفٍ تقديرُهُ: أيتولونَ دينَ الله ييغونَ . قرأ أبو عمرو، وحفصٌ عن عاصم، ويعقوبُ (يَبْغُونَ) بالغيب؛ لقوله: ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ وقرأ الباقون: بالخطاب؛ لقوله: ﴿ لَمَّا آتَيْتُكُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ ﴾ خضعَ وانقادَ .

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦١)، و«تخریج أحاديث الكشاف» للزليعي (١/٩٢١) .

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٢)، و«الكشف» لمكي (١/٣٥٣)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (١/٣٧٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٥١) .

﴿ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا ﴾ بسهولة<sup>(١)</sup>.

﴿ وَكَرْهًا ﴾ بمشقة، فأهل السموات يسجدون طَوْعًا، وأهل الأرض يسجدُ بعضهم طَوْعًا، وبعضهم كَرْهًا؛ كالمنافقين.

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ قرأ حفص، ويعقوب: بالغيب، فحفص: بضم الياء ونصب الجيم، ويعقوب على أصله في فتح الياء وكسر الجيم، والباقون: بالخطاب مع ضم الياء ونصب الجيم<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

﴿ قُلْ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾.

[٨٤] ﴿ قُلْ ﴾ الخطابُ للنبيِّ ﷺ.

﴿ ءَأَمَنَّا ﴾ أي: أنا والمؤمنون.

﴿ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ مُتَقَادُونَ، ذكر الملل والأديان، واضطراب الناس فيها، ثم أمر رسول الله ﷺ أن يقول: ﴿ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ الآية.

\*\*\*

(١) في «ت» و«ن»: «سهولة».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣٧٨/١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٥١٦/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٢/٢). وانظر تنمة المصادر في التعليق السابق.

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ ﴿٨٥﴾ .

[٨٥] ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ ﴾ أي: التوحيد.

﴿ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ نزلت في جماعة ارتدوا عن الإسلام، وخرجوا من المدينة إلى مكة كفاراً، منهم الحارث بن سويد الأنصاري.

﴿ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ هذه الآية قطعت عمل كل عاملٍ على غير ملّة الإسلام.

\*\*\*

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٨٦﴾ .

[٨٦] ﴿ كَيْفَ ﴾ استفهام إنكار.

﴿ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ﴾ أي: كيف يهديهم بعد اجتماع الأمرين.

﴿ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ على صدق محمد ﷺ.

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ بوضع الكفر موضع الإيمان، فكيف بمن عرف الحق ثم أعرض<sup>(١)</sup> عنه؟

\*\*\*

(١) في «ن»: «عرض».

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ  
أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ .

[٨٧] ﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ .

﴿جَزَاؤُهُمْ﴾ مبتدأ ثانٍ، خبره :

﴿أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ﴾ أي : عذابه .

﴿وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ والمراد بالناس : المؤمنون .

\*\*\*

﴿خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ .

[٨٨] ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا﴾ أي : في اللعنة .

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي : يؤخرون، ولا راحة إلا في

التخفيف أو التأخير، فهما مرتفعان عنهم .

\*\*\*

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٨٩﴾ .

[٨٩] وكان الحارث بن سويد لما لحق بالكفار، ندم، فأرسل إلى قومه

أن اسألوا رسول الله هل لي من توبة؟ ففعلوا ذلك، فأنزل الله :

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لما كان منهم،

فحملها إليه رجل من قومه، وقرأها عليه، فقال<sup>(١)</sup> الحارث: «والله

ما علمتكم إلا صدوقاً، وإن رسول الله ﷺ لأصدق منك، وإن الله لأصدق

(١) «فقال» ساقطة من «ت» .

الثلاثة»، فرجع الحارث إلى المدينة، وأسلم وحسن إسلامه<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعَدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾<sup>(١٦)</sup>.

[٩٠] نزل في اليهود: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بعيسى.

﴿ بَعَدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ بموسى.

﴿ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا ﴾ بمحمد ﷺ.

﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ إذا وقعوا في الحشرجة؛ أي: التزع.

﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ الثابتون على الضلال.

\*\*\*

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ تَصْرِينٍ ﴾<sup>(١٦)</sup>.

[٩١] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ

الْأَرْضِ ﴾ قرأ ورش عن نافع، وأبو جعفر، (مِلءُ الْأَرْضِ) بالنقل<sup>(٢)</sup>؛ أي: ما يملؤها من شرقها إلى غربها.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣/٣٤٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦١)،

و«تفسير البغوي» (١/٣٧٩)، و«العجاب» لابن حجر (٢/٧٠٨).

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢/٢٥٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٥٣).

﴿ ذَهَبًا ﴾ نصب على التمييز .

﴿ وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِهِ ﴾ المعنى : لن يُقبل من أحدهم فديةً، ولو افتدى بملء الأرض ذهباً .

﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴾ في رفع العذاب، قال ﷺ :  
« يَقُولُ اللَّهُ لِأَقْلَلِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ ، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ : أَلَا تُشْرِكُ بِي ، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ » (١) .

\*\*\*

﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ نُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ وَمَا نُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ .

[٩٢] ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ ﴾ الجنة .

﴿ حَتَّىٰ نُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ ﴾ أي : من أحبِّ أموالكم إليكم .  
﴿ وَمَا نُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ يعلمه ويجازي عليه .

\*\*\*

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَأَتَوْهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

(١) رواه البخاري (٣١٥٦)، كتاب: الأنبياء، باب: خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ومسلم (٢٨٠٥)، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - .

[٩٣] ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا﴾ أي: حلالاً.

﴿لَيْسَ إِسْرَائِيلَ﴾ نزلت لما قال اليهود للنبي ﷺ: تزعم أنك على ملة إبراهيم، وأنت تأكل لحوم الإبل، وتشرب ألبانها، وإبراهيم ما كان كذلك! فنزلت الآية ردّاً عليهم، وتكذيباً لهم<sup>(١)</sup>.

﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ﴾ وهو يعقوب عليه السلام.

﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ وهو لحوم الإبل وألبانها؛ فإنهما كانا أحب الطعام إليه، فنذر تحريمهما إن شفاه الله من مرض أصابته، وهو عرق النساء، ولم يأكله ولده أتباعاً له.

﴿مِن قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ المعنى: إن المحرّم عليكم إنما حرّم بعد إبراهيم قبل نزول التوراة، فلمّا أضافوا تحريمه إلى الله، كذبهم الله، فقال عز وجل:

﴿قُلْ﴾ يا محمد:

﴿فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَأَتَلُوهَا﴾ ليتبين صدقكم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تزعمون، فبُهِتُوا، ولم يأتوا بها.

\*\*\*

﴿فَمَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[٩٤] فقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ بعد لزوم الحجّة.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٢)، و«تفسير البغوي» (١/٣٨٢)، و«العجاب» لابن حجر (٢/٧١٦).

## جنة السنة

﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ الذين لا يُنصفون .

\*\*\*

﴿ قُلْ صدَقَ اللهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٩٥) .

[٩٥] ﴿ قُلْ صدَقَ اللهُ ﴾ تعريضُ بكذبهم .

﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ التي أنا عليها، وهي ملةُ الإسلام .

﴿ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ بالله .

\*\*\*

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٩٦) .

[٩٦] ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ ﴾ أي : مسجد .

﴿ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ سببُ نزولها أن اليهودَ قالوا للمسلمين : بيتُ المقدسِ قبلتنا، وهو أفضلُ من الكعبةِ وأقدمُ، فأنزل اللهُ الآيةَ (١) :

﴿ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ هي مكة، والباءُ والميمُ يتعاقبان، وسميت بَكَّةً؛ لبكَّها؛ أي: دَفَّها أعناقَ الرجال، وسميت مكة؛ لقلعة مائها؛ لقول العرب: مَكُّ الفصيلُ ضَرَعُ أمِّه، وامتكَّه: إذا امتصَّ كلَّ ما فيه من اللبن، وأهلُ مكة كانوا يمتكُّون الماءَ فيها؛ أي: يستخرجونه .

﴿ مُبَارَكًا ﴾ كثيرَ البركة .

﴿ وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ لأنه قبلتهم .

\*\*\*

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٢)، و«تفسير البغوي» (١/٣٨٤)، و«العجاب» لابن حجر (٢/٧١٧) .



﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ  
الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [٩٧].

[٩٧] ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ ثم بيّن الآيات فقال :

﴿ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ هو الحجر الذي يصلّى خلفه ركعتا الطواف، وهو الذي  
قام عليه إبراهيم وقت رفعه القواعد من البيت لما طال البناء، فكان كلما  
علا الجدار، ارتفع به الحجر في الهواء، فما زال يبني وهو قائم عليه،  
وإسماعيل يناوله الحجارة والطين حتى أكمل الجدار، وكان أثر قدميه فيه،  
فاندرس من كثرة المسح بالأيدي، ومن تلك الآيات الحجر الأسود،  
والحطيم، وزمزم، والمشاعر كلها، ومنها أن الطير يطير فلا يعلو فوقه،  
وقد شاهدت ذلك عياناً.

﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ من أن يهاج فيه؛ لدعاء إبراهيم عليه السلام:  
﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، والضمير في قوله: ﴿ وَمَنْ  
دَخَلَهُ ﴾ عائد على البيت في قول الجمهور، ويفهم من معناه أن من دخل  
الحرم، فهو في الأمن؛ لأنه جزء من البيت إذ هو لسببه ولحرمته.

واختلف الأئمة رضي الله عنهم في الجاني الملتجئ للحرم، فقال  
مالك والشافعي: يُقتَصَّ منه في الحرم، وقال أبو حنيفة وأحمد: إن جنى  
في الحرم، اقتَصَّ منه، وإن جنى خارج الحرم، ثم لجأ إليه، لم يُقتَصَّ منه،  
لكن يُضَيَّقُ عليه بترك البيع والشراء حتى يخرج إلى الحِلِّ، فيقام حينئذ.

وأما الكلام في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ فقد روى  
المحدثون عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ مَسْجِدٍ  
وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ:

## جنة السنة

«المسجد الأقصى»، قلتُ: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة، ثمَّ أينما أدركتكَ الصلاة بعدُ فصلِّه؛ فإنَّ الفضل فيه»<sup>(١)</sup>.

وقد روي أن الملائكة بنوا المسجد الحرام قبل خلق آدم بألفي عام، فكانوا يحجُّونه.

قال الإمام أبو العباس القرطبي: يجوز أن يكون بناه يعني: مسجد بيت المقدس الملائكة بعد بنائها البيت بإذن الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

وقد روي أن أول من بنى مسجد بيت المقدس وأري موضعه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، روي أن أباه إسحاق أمره ألا ينكح امرأة من الكنعانيين، وأمره أن ينكح من بنات خاله، وكان مسكن يعقوب بالقدس، فلما توجه إلى خاله لينكح ابنته، أدركه الليل في بعض الطريق، فبات متوسداً حجراً، فرأى فيما يرى النائم أن سلماً منصوباً إلى باب من أبواب السماء، والملائكة تعرج فيه وتنزل، فأوحى الله تعالى إليه: إني إلهك وإله أبيك<sup>(٣)</sup> إبراهيم، وقد ورثت هذه الأرض المقدسة لك ولذريتك من بعدك، وباركت فيك وفيهم، وجعلت لكم الكتاب والحكم والنبوة، ثم أنا معك أحفظك حتى أردك إلى هذا المكان، فاجعله بيتاً تعبدني فيه أنت وذريتك<sup>(٤)</sup>.

وقد تأول بعض العلماء معنى الحديث الشريف الوارد أن بناء المسجد

(١) رواه البخاري (٣١٨٦)، كتاب: الأنبياء، باب: ﴿يَرْفُونَ﴾، ومسلم (٥٢٠)، في أول كتاب: المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٣٨/٤).

(٣) في جميع النسخ «آبائك»، والمثبت هو الصواب.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣٨٤/١).

## جنة السنة

الأقصى كانَ بعدَ بناءِ المسجدِ الحرامِ بأربعين سنةً على أن المرادَ بناءُ يعقوبَ عليه السلامَ لمسجدِ بيتِ المقدسِ بعدَ بناءِ إبراهيمَ عليه السلامَ الكعبةَ الشريفةَ، والله أعلم .

وأما بناءُ داودَ وسليمانَ عليهما السلامَ لمسجدِ بيتِ المقدسِ، فإنه بعدَ ذلك بأزمنةٍ متطاولةٍ على أساسٍ قديمٍ، فهما مجدّدان لا مؤسّسان .

﴿وَلِلَّهِ﴾ فرضٌ واجب .

﴿عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ، وخلفٌ: (حِجٌّ) بكسر الحاء، والباقون: بالفتح، وهي لغة أهل الحجاز، وهما لغتان فصيحتان معناهما واحد<sup>(١)</sup> .

والحجُّ أحدُ أركانِ الإسلامِ، قال ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»<sup>(٢)</sup> .

﴿مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ والاستطاعةُ: القدرةُ بالمالِ والبدنِ، فمن وجدَ الزادَ والراحلةَ ونفقةَ العيالِ قدرَ الذهابِ والرجوعِ، مع التمكنِ، وجبَ

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٢)، و«الكشف» لمكي (٣٥٣-٣٥٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (٣٨٦/١)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٥٥) .

(٢) رواه البخاري (٨)، كتاب: الإيمان، باب: الإيمان وقول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»، ومسلم (١٦)، كتاب: الإيمان، باب: بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - .

الحجُّ عليه بالاتفاق، فعند أبي حنيفة وأحمد يجبُ على الفور، وعند الشافعيِّ ومالكٍ يجبُ على التراخي، وقيد مالكٌ بما إذا لم يخشَ الفوت، وعند مالكٍ فقط يجبُ على الفقيرِ القادرِ على المشي، فلو تكلفَ غيرُ القادرِ فحجَّ، سقطَ عنه الفرض بالاتفاق، والمرأةُ كالرجلِ، واختلفوا في شرطِ آخرَ في حَقِّها، وهو وجودُ المحرمِ، فقال أبو حنيفةً وأحمدُ: يُشترطُ، وهو زوجُها، أو من تحرَّمُ عليه على التأييدِ بنسبٍ أو سببٍ مُباحٍ؛ كرضاعٍ<sup>(١)</sup> ومصاهرة، وقال مالكٌ والشافعيُّ: لا يُشترطُ إذا وجدتِ رُفقةً مأمونين، قال مالكٌ: رجالٌ أو نساء، وقال الشافعيُّ: نساءٌ ثقاتٌ.

﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ جحدَ فرضَ الحجِّ.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْ عِبَادِهِ﴾ في الحديث<sup>(٢)</sup>: «مَنْ أَمَكَّنَهُ الْحَجَّ فَلَمْ يَحُجَّ، فَلَيْمَتْ إِنْ شَاءَ يَهُودِيًّا، وَإِنْ شَاءَ نَصْرَانِيًّا»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) في «ت»: «الرضاع».

(٢) «الحديث» ساقطة من «ت».

(٣) رواه الترمذي (٨١٢)، كتاب: الحج، باب: ما جاء في التغليظ في ترك الحج، عن علي - رضي الله عنه -. وقال: حديث غريب، وفي إسناده مقال، وهلال بن عبد الله مجهول، والحاتر يضعف في الحديث. ورواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧٢/٥)، والرويان في «مسنده» (١٢٤٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣٣٤/٤) وضعفه، عن أبي أمامة - رضي الله عنه -. وفي الباب عن غيرهما من الصحابة - رضي الله عنهم -. وانظر: «الدراية» لابن حجر (٢٩٢/٢).

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ [٩٨].

[٩٨] ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الدالّة على صدق محمد .

﴿ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ فتجاوزون به!؟

\*\*\*

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبِعُونَهَا ءَوْجًا وَٱنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَفِيلٍۭ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [٩٩].

[٩٩] ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ عن دين الإسلام .  
﴿ مَن ءَامَنَ ﴾ بتغييركم صفة النبي ﷺ ليرتابوا، وذكركم وقائع الجاهلية ليقتلوا .

﴿ تَبِعُونَهَا ﴾ تطلبونها .

﴿ ءَوْجًا ﴾ ميلاً عن الاستقامة .

﴿ وَٱنتُمْ شُهَدَآءُ ﴾ بما في التوراة من صدق محمد ﷺ .

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَفِيلٍۭ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ وعيد لهم . يسكت حمزة قبل الهمز إذا كان الساكن آخر كلمة والهمزة أول كلمة أخرى، نحو (مَن ءَامَنَ) و(قُلْ إِنِّي) وشبهه حيث وقع، ويسهل بالنقل إذا وقف بخلاف عنه<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٨٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥٦/٢).

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ ﴿١٠٠﴾ .

[١٠٠] ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ الذين يريدون كفركم .

﴿ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ نزلت في نفرٍ من الأوس والخزرج ، وكانوا جلوساً يتحدثون ، فمر بهم شاسُ بنُ قيسِ اليهوديِّ ، فغاضه تألُّفُهُم واجتماعُهُم بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة ، فأمر شاباً من اليهود أن يجلسَ إليهم ، ويذكرهم يومَ بعث ، وينشدهم بعضَ ما قيلَ فيه من الأشعار ، وكان يوماً اقتتلت فيه الأوسُ والخزرج ، وكان الظفرُ فيه للأوس ، ففعل ، فتنازعَ القومُ وتغاضبوا ، وقالوا: السلاحَ السلاحَ ، فبلغَ النبيَّ ﷺ ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرينَ والأنصار ، فقال : « أَتَدْعُونَ الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ بَعْدَ إِذْ أَكْرَمَكُمُ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَلْفَ بَيْنِكُمْ؟! » فعلموا أنها نزغةٌ من الشيطان ، وكيدٌ من عدوِّهم فألقوا السلاحَ ، واستغفروا ، وعانقَ بعضهم بعضاً ، وانصرفوا مع رسولِ الله ﷺ ، فما كان<sup>(١)</sup> يومٌ أقبحَ أولاً وأحسنَ آخرأً من ذلكَ اليومِ<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

(١) «كان» ساقطة من «ن» .

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/٤) ، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٢-٦٣) ، و«تفسير البغوي» (٣٩٠/١) ، و«العجاب» لابن حجر (٧٢١/٢) ، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢٧٨/٢) .

## مُحتَوَى المجلدِ الأوَّل

5	* مقدمة التحقيق
9	* الفصل الأول: ترجمة الإمام العليمي
11	- المبحث الأول: اسمه ونسبه وولائه، ونشأته وطلبه للعلم
14	- المبحث الثاني: شيوخه
19	- المبحث الثالث: تلامذته
20	- المبحث الرابع: تصانيفه
23	- المبحث الخامس: ثناء العلماء عليه، ووفاته
24	- المبحث السادس: مصادر ترجمته
25	* الفصل الثاني: دراسة الكتاب
27	- المبحث الأول: تحقيق اسم الكتاب
28	- المبحث الثاني: بيان صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه
29	- المبحث الثالث: منهج المؤلف في الكتاب
35	- المبحث الرابع: موارد المؤلف في الكتاب
38	- المبحث الخامس: منزلة الكتاب العلمية
41	- المبحث السادس: وصف النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق
47	- المبحث السابع: بيان منهج التحقيق
51	* صور المخطوطات

[فتح الرحمن في تفسير القرآن]

٣	.....	* مقدمة
٦	.....	فصل: في ذكر ما ورد في فضائل القرآن العظيم
٨	.....	فصل: في فضل تفسير القرآن
٩	.....	فصل: في الكلام في تفسير القرآن وتأويله
		فصل: في معنى قول النبي ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة
١٠	.....	أحرف...»
١٢	.....	فصل: في ذكر جمع القرآن وكتابته
٢٠	.....	فصل: في ذكر شكل القرآن ونقطه
٢٢	.....	فصل: في ذكر عدد سور القرآن وآياته وحروفه وكلماته وأحزابه ونقطه
		فصل: في ذكر معنى المصحف والكتاب والسورة والآية والكلمة
٢٦	.....	والحرف
٢٩	.....	فصل: وأما كيف يقرأ القرآن؟
٣٣	.....	فصل: في الاستعاذة
٣٥	.....	* الكلام في تفسير البسملة
٤٠	.....	* سورة فاتحة الكتاب
٤٨	.....	* تفسير سورة البقرة
٤١٤	.....	* تفسير سورة آل عمران
٤٩٩	.....	* محتوى المجلد الأول

\* \* \*